خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام

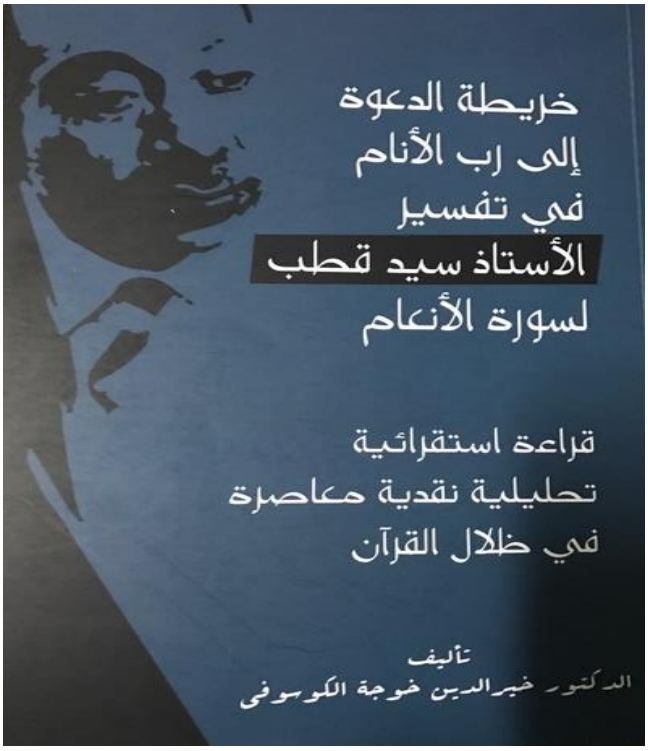

قراءة استقرائية تحليلية نقدية معاصرة
في ظلال القرآن
تأليف
الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

2022

بسم الله الرحمـن الرحيم

العنوان: خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام - قراءة استقرائية تحليلية نقدية معاصرة في ظلال القرآن

تأليف: الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

عدد الصفحات:

قياس الصفحة:

عدد النسخ:

ISBN:

الطبعة الأولى
2015
مِترُو ويتسا - كوسوفا

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الطرق إلا بإذن خطي من المؤلف.

البريد الإلكتروني:
drhafezi68@gmail.com
الموقع الشخصي: www.drhafezi.net

خريطة الدعوة إلى رب الأنام في تفسير
الأستاذ سيد قطب لسورة الأنعام

قراءة استقرائية تحليلية نقدية معاصرة في ظلال القرآن

تأليف

الدكتور خيرالدين خوجة الكوسوفي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن والثقافة الإسلامية & ومستشار أكاديمي معهد تدريب قوات الدفاع الجوي الأميري القطري

(وكلية المجتمع بقطر وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي، وكلية المجتمع بجامعة طيبة بالمدينة المنورة، وكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا) سابقا

ملخص البحث

يستهدف هذا البحث[1] دراسة منهج الأستاذ سيد قطب في فهمه لآيات الدعوة من خلال تفسيره **في ظلال القرآن**، سورة الأنعام أنموذجاً. لوحظ أن هناك انحرافاً عن منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله عز وجل وبالتالي كان لزاما علينا القيام ببيان خطوات منهج القرآن في الدعوة إلى الله. برز في ميدان الدعوة دعاة كثيرون. منهم من فقه فلسفة الدعوة ومبادئها، ومنهم من لم يوفق لذلك. ومن الذين نحسبهم أنهم فهموا الدعوة وفق منهج قرآني سليم هو الأستاذ سيد قطب رحمه الله. هذا وقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي التحليلي النقدي، لاستخلاص آراء الأستاذ سيد قطب حول هذا الموضوع من مختلف كتاباته مع التركيز على تفسيره لسورة الأنعام. توصلت من هذه الدراسة إلى إبراز منهج الأستاذ سيد قطب في فهمه للدعوة. ينطلق هذا المنهج من مبدأ التركيز على أساليب الدعوة المختلفة الواردة في القرآن الكريم، ثم دعوة المسلمين إلى

[1] هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية بعنوان: **منهج سيد قطب في فهم آيات الدعوة – سورة الأنعام أنموذجاً)** نلتُ بها درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية –كوالا لمبور بماليزيا في يناير عام 2000م. لم أطبع الرسالة في تلك الفترة التي كتبتهاحتى أفهم وأستوعب أكثر فأكثر فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله. عكفت عليها خمسة عشر عاما أقرأ وأجمع وأتابع عن كثب الدراسات عن فكر ومنهج الأستاذ. لقد أضفت الشيء الكثير من الفوائد العلمية مع الصور الوثائقية الضرورية، ثم قررت تحديث عنوان الرسالة وطباعتها وتقديمها لطلبة العلم الشرعي والدعاة إلى الله والدراسين لفكره عامة. والله الموفق والهادي إلى سواء اللسبيل.

إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية، ثم دعوتهم إلى إصلاح حياتهم وفق منهج قرآني، وبيان منهج القرآن في القضاء على التصورات الجاهلية ثم تصحيح مناهجهم الفكرية والنظرية ودعوتهم إلى منهج معرفي وتربوي. هذا المنهج علاوة على ما ذكر يتطلب أيضاً دعوة الكافرين إلى الإسلام بطرق مختلفة؛ منها طريق النظر والتأمل في آيات الكون والمجادلة بالتي هي أحسن، مع مراعاة أحوالهم وفقه واقعهم وانتمائهم الديني والثقافي والاجتماعي. هذا المنهج يفرض على الداعية أن يشرع أولاً بالدعوة إلى الله تعالى دون الدعوة إلى المبادئ القومية أو الأسس الأخلاقية والاجتماعية أو غيرها. وكشف هذا المنهج جملة من الصفات والمؤهلات الفكرية والروحية والسلوكية والثقافية، التي يجب أن يتحلى بها الداعية قبل أن يشرع في الدعوة.

عزيزي القارئ...الداعية...طالب العلم الشرعي...المربي...تذكر هذا الكلام:

"..لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة، وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع. والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل لمنهج جديد؛ إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهج وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلا تجفل[2] كما تجفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية وأشد قابلية لها والتذاذاً بها.."[3].

– الأستاذ سيد قطب رحمه الله –

---

[2] **أَجْفَلَ** البَعِيرُ وَرَفَضَ أن يَقْطَعَ النَّهْرَ : نَفَرَ http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[3] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج5-2562 .

ABSTRACT

This study explores the methodology of prof. Sayyid Qutb in his Quranic exegesis in interpreting verses pertaining to *da'wah* with special reference to surah al An'am. Following an analytical, inductive and thematic approach, the study found that the methodology of prof. Sayyid Qutb emphasizes on various *da'wah* styles mentioned in the Noble Quran. This methodology calls Muslims to reform their belief *'aqidah* according to the principles of divinity (*Uluhiyah*) and servitude ('*Ubudiyah*). It calls them to shape their life based on Quranic teachings. Moreover, it explains to them the way the Noble Quran eliminates the *jahili* notions and corrects their intellectual and mental outlook. Sayyid Qutb's methodology, besides, requires calling non Muslims to Islam. This should be done through various means such as contemplation upon the nature and engaging in serious and polite discussion. Non Muslim's real social, cultural circumstances should be taken into consideration while calling them to Islam. Furthermore, this methodology imposes upon the Muslim scholar *(da'iyah)* to start his *da'wah* with calling people to Allah swt. Calling for nationalism or starting with moral ethics or social reforms, according to this methodology, it is not accepted. It finally outlines the important intellectual, spiritual and behavioral components that should be imbedded in the personality of Muslim scholar (*da'iyah)*.

شكر وتقدير

لله تبارك وتعالى الحمد والشكر أولاً وآخراً أن منّ عليّ بنعم لا تعد ولا تحصى، ومنها إنجاز هذا البحث وإتمامه في فترة يسيرة ومحدودة. ثم إنني أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي ومشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور سعاد يلدريم من اسطنبول الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته القيمة ولم يضق صدره ذرعاً لكثرة التردد عليه والاستفسارات المتتالية منه؛ حتى خرجت هذه الرسالة على هذا النحو التي بين أيدينا. كما أني أبدي شكري وتقديري للممتحن الثاني أ.د.جمال أحمد بشير بادي من ليبيا – شفاه الله – وجزاه الله خيراً، حيث كان له دور كبير في إنضاج فكرة الرسالة وتقويم منهجيتها حتى استوت ولله الحمد والمنة. كما أبدي شكري وتقديري للأستاذ د. عبد القهار داود العاني – رحمه الله – من العراق الذي تفضل بقراءة الرسالة وإبداء ملاحظاته القيّمة إحسانا وتطوعاً منه، مما رفع هذا العمل من شأن الرسالة وقيمتها. ولا يفوتني شكري وثنائي الخالص للأستاذ الفاضل آزاد علي من كردستان العراق الذي كان له دور كبير في تقويم الرسالة شكلياً وضمنياً. وإن أنسى فلست أنسى تقديم شكرى الخالص للمستشار الإسلامي لدى سفارة خادم الحرمين الشريفين في كوالالمبور فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن سعد الزير سلمه الله على إتاحته لي الفرصة الذهبية للاستعانة بمكتبة المستشار الإسلامي. فإلى هؤلاء جميعاً وإلى كل من قدم لي أدنى نصيحة لإنجاز هذه الرسالة العلمية أنا لهم من الشاكرين والمقدرين، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، إنه تعالى خير مسؤول وأكرم مأمول.

إهداء

إلى الوالدين العزيزين الذين غرسا في قلبي حب تعلم القرآن.

إلى إخواني الأشقاء وأخواتي الشقيقات الذين بذلوا كل غال في سبيل تعلّم الإسلام في المرحلة الإعدادية والثانوية في دمشق – سوريا.

إلى والدي المعنوي ذو الفضائل والمفاخر والتكريم سعادة الشيخ محمد إبراهيم حافظ حفظه الله وأمد له في عمره، الذي ساندني بكل سخاء وكرم؛ ماديا ومعنويا في سبيل تعلم القرآن والدين في مرحلة الدراسات العليا في كوالا لمبور – ماليزيا.

إلى أخي المعنوي الكبير وأستاذي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله حافظ – نائب مدير جامعة طيبة بالمدينة المنورة سابقا – حفظه الله وأمد له في عمره وبارك فيه، صاحب اللطائف الأُنسية والكمالات العلمية، الذي كان حلقة وصل مباركة بيني وبين شقيقه سعادة الشيخ محمد إبراهيم حافظ، حفظهما الله.

إلى رفيقة دربي التي شجعتني بقوة على مواصلة ومتابعة الدراسات العليا ووقفت بجانبي وقفة النساء المؤمنات القانتات الصالحات المخلصات.

إلى إخواني وأخواتي الشهداء الأبرار في أرض كوسوفا الذين استشهدوا على أيدي المجرمين والمحتلين الصرب وقت كتابة هذه الدراسة.

إلى روح أستاذي وشيخي المعنوي وإمام الدعوة والدعاة والمفسرين المعاصرين، الأستاذ العلامة سيد قطب رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.

إلى طلبة العلم الشرعي بالمعاهد والكليات الشرعية والدعاة إلى الله في المساجد والمراكز الإسلامية.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي باكورة عملي هذا.

المحتويات

ملخص البحث	و
ملخص البحث (إنكليزي)	ح
شكر وتقدير	ط
إهداء	ي
محتويات الكتاب	ك
الفصل الأول (التمهيدي)	1
المقدمة	1
أهمية الموضوع	9
أسباب اختيار الموضوع	9
الإشكالية و أسئلة البحث	10
الدراسات السابقة	11
منهج البحث	20
هيكل البحث	20
الفصل الثاني: سيد قطب: حياته، وفكره، وعمله	23
المبحث الأول: مولده، ونشأته، وأعماله، واستشهاده	
مولده	23
نشأته	25

خصائص طفولته	26
رحلته ونشاطه العلمي	27
انضمام سيد قطب إلى جماعة الإخوان المسلمين	32
مؤلفاته وآثاره	35
استشهاده	44
المبحث الثاني: أسس فكر سيد قطب	49
أسس وقواعد فكره	51
المبحث الثالث: منهج سيد قطب في تفسيره	68
تقاريظ العلماء لتفسيره	68
من سمات الظلال وخصائصه	80
منهج سيد قطب في تفسيره	82
الفصل الثالث: الدعوة وأسلوبها من خلال سورة الأنعام	89
أولا: أسباب اختيار سورة الأنعام	89
ثانيا: موضوعات السورة	92
ثالثا: التسمية و المناسبة	96
رابعا: ذكر ما ورد في فضل السورة و نزولها	97
خامسا: أساليب الدعوة في القرآن الكريم عموماً	99
سادسا: خصائص وسمات منهج سيد قطب في فهم الدعوة	102
المبحث الأول: دعوة المسلمين إلى الإصلاح	104

المطلب الأول: الدعوة إلى إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية و العبودية 104
مجالات تجليات الألوهية 107
المطلب الثاني: إصلاح المجتمع وفق منهج قرآني 122
المطلب الثالث: تصحيح منهج الفكر والنظر والدعوة وفق منهج معرفي و تربوي 141
المبحث الثاني: دعوة الكافرين إلى الإسلام 147
المطلب الأول: الدعوة عن طريق النظر والتأمل في آيات الكون 157
المطلب الثاني: دعوة الكافرين عن طريق الحوار الهادي و المجادلة بالتي هي أحسن 145
المبحث الثالث:منهج القرآن في القضاء على التصورات الجاهلية 162
المطلب الأول: التدرج 162
المطلب الثاني: مراعاة أحوال المخاطبين 176
المطلب الثالث: مخاطبة القرآن للفطرة البشرية 185
الفصل الرابع :صفات الداعية في المنهج القرآني 193
المبحث الأول: المكونات النفسية للداعية 193
المطلب الأول: الجانب الروحي 193
المطلب الثاني: الجانب السلوك 205
المبحث الثاني: المكونات الفكرية للداعية 215

المطلب الأول: أن يكون عالماً بما يدعو، فاهماً على الوجه الصحيح 215

المطلب الثاني: أن يكون الداعية ملماً بثقافة العصر الذي يعايشه 224

المبحث الثالث: النقد، والخاتمة واقتراحات الباحث 237

المطلب الأول: ملاحظات على منهج سيد قطب 237

المطلب الثاني: الخاتمة واقتراحات الباحث 271

المصادر و المراجع 275

الفصل الأول (التمهيدي)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين. اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد؛

فمما لا شك فيه أن سلوك طريق الدعوة إلى الله تعالى من أشرف المسالك على الإطلاق بدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت:33]، ويكون ذلك واجباً و فرض عين عند قلة الدعاة وكثرة المنكرات وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، وكل حسب طاقته[4].

هذا الدرب المبارك هو درب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه و سلم. قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..** ﴾ [الشورى:13]. إن هذا الدرب الدعوي ليس مفروشاً بالزهور والرياحين وليس طريقاً سهلاً ومستوياً يسهل على الجميع السير فيه.هذا الطريق شاء الباري جل وعلا أن يكون ذا أشواك وعقبات بحيث يصعب السير فيه، يحتاج المار إلى بذل المجهود والصبر الطويل، واللجوء والتضرع المستمر إلى الله تعالى في كل وقت وحين، في السراء والضراء، في السر والعلن حتى

[4] انظر: **من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز في الدعوة** ، دار الوطن، ط1-1413 هـ، ص :16.

يتمكن من تحقيق الهدفو تبليغ الدعوة إلى الناس. وفي هذا الشأن يقول الله تعالى مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ [الأحقاف:35]، والخطاب عام للمؤمنين.

إن هذا الطريق يتطلب من الداعية الحكمة والمنطق السليم وحسن الخطاب والجدال بالتي هي أحسن مع المدعوين حتى يكون ناجحاً وموفقاً في دعوته. ولأهمية هذا الأمر يقول الله تبارك و تعالى في محكم تنزيله: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:125].

كما أن على الداعية إلى الله التحلي بأخلاق النبوة والقرآن في أقواله وأفعاله. ولإدراك هذه الأهمية يقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[الصف :2-3]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4]، ويقول أيضاً: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة :44].

إن أسلوب القسوة والخشونة في القول والفعل ليس من شيم الدعاة الناجحين والموفقين. يؤكد هذه الحقيقة البيان الإلهي:﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: 159]. فلا مناص ولا انفكاك من اتباع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في كافة شؤوننا الدينية والدنيوية، لأن الله عز وجل جعله أسوة لنا في كل شيء، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21].

هذا، ولما كان هناك انحراف عن منهج القرآن في الدعوة إلى الله وتسبب في تنفير الناس من الإسلام، وابتعاد عن توجيهاته الدعوية لكثير من الدعاة في الوقت الراهن،لم يكن هنالك من مخرج إلا برسم طريق واضح لخطوات المنهج القرآني في الدعوة، وذلك بوضع قواعد وأسس ينبغي على الدعاة اتباعها والسير في ضوئها. ويرجع سبب هذا الانحراف إلى عدة أسباب وعوامل منها:

1) تفاوت أفهام الناس للدعوة وأبعادها التربوية والاجتماعية والدينية.
2) الإبتعاد عن المنهجية القرآنية في معالجة الظواهر العقدية السلبية.
3) عدم مراعاة أحوال المخاطبين فكريا وسلوكيا وعقديا.
4) التطاول على الناس وإصدار الأحكام عليهم وكأن الدعاة قضاة.
5) قلة العلم الشرعي والتأثر بالبيئة والمؤسسات التي درسوا فيها.

هذا، ومن الدعاة الذين برزوا في الساحة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين، وأحسبه أنه أدرك وفهم ومن ثَم فسر حقيقة منهج القرآن في الدعوة إلى الله على وجهه الصحيح، هو سعادة الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى وأدخله في مستقر رحمته. لقد انفرد هذا الأستاذ الكبير عن بقية الدعاة والمفسرين البارزين في الساحة الإسلامية بمنهجه الفريد والدقيق ذي الأبعاد التربوية والدينية والاجتماعية. يبدو ذلك واضحاً في مؤلفاته كلها وخاصة في تفسيره: "**في ظلال القرآن**". وشاء الباري تعالى أن يكون جزاء هذا الفهم الفريد والأصيل، المبني على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح هو الاستشهاد في سبيله ليكون قدوة حسنة للمسلمين عامة وللدعاة إلى الله خاصة إلى يوم القيامة.

ولا بد في هذا المقام من الجهر بهذه الحقيقة التي نؤمن بها عن فضل ومنزلة التفسير "**في ظلال القرآن**"، ونسجل هذه الشهادة لله وللتاريخ.

لقد ظُلِم هذا التفسير وصاحبُه والجماعة التي انتمى إليها ظلما كبيرا لم يُظلَم مثله قط في التاريخ البشري المعاصر من قبل بعض الطغاة والأنظمة الاستبدادية والاشتراكية في النصف الثاني من القرن العشرين، وأيضا من قبل بعض أدعياء العلم والمحسوبين على الإسلام من الدعاة والمثقفين الذي تلوثوا بالفكر الغربي والعلماني والاستشراقي أو التيار السلفي المتشدد. لقد سجل التاريخ الإسلامي تلك المقولات المرذولة وغير المقبولة والتهم الجائرة وغير المنصفة في حق هذا النجم القرآني والتفسيري والدعوي المعاصر. إنني واثق — والعلم عند الله عز وجل – بأن التاريخ لن يسامحهم إلا بالاعتذار العلني والكتابات العلنية الجديدة من قبل هؤلاء الطاعنين المغرضين، والمرجفين في المدن والدول حتى تنسخ وتنسف مقولاتهم وافتراءاتهم السابقة. وإلا فسيقيض الله من الأمة الإسلامية والعلماء وطلبة العلم من ينتقم وينصف لهذا المظلوم والمفترى عليه والذي دفع حياته ثمنا لكلمة الحق عند سلطان جائر. ألا فليستح هؤلاء من أنفسهم وأقلامهم وليخشوا ربهم! ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟ يوم يقوم الناس لرب العالمين! أنسي هؤلاء بأنهم مسؤولون وبين يدي الله موقوفون! إن كل

كلمة سطروها وكل جملة دونوها ظلما وبهتانا في حق الأستاذ سيد قطب سيكون عليهم نقمة ووبالا !؟ عجبا لأمر هؤلاء المحسوبين على العلم والإسلام! عندما يسلم أحد المفكرين الغربيين أو القسس والرهبان المشهورين، ويعتنقون الإسلام، يعتلي هؤلاء المحسوبون المنابر والفضائيات والكراسي العلمية ويعكفون على ذكر مناقب المسلمين الجدد ويثنون عليهم ويحكون تحولاتهم الفكرية والعقدية والثقافية التي مروا بها بحثا عن الحقيقة، وأخيرا هداهم الله إلى الإسلام، ويطرونهم بالثناء والمدح على كفاح هؤلاء المسلمين الجدد من أمثال الشيخ الداعية يوسف أستس و السفير الألماني مراد هوفمان و الطبيب روجيه غارودي ومحمد أسد – ليوبولد ويس سابقا –، وغيرهم كثيرون. إن هؤلاء المحسوبون على الإسلام لم أرهم قط يذكرون ماضي هؤلاء المسلمين الجدد! ولا يتعرضون على ما فعلوا وارتكبوا قبل إسلامهم! لأن الإسلام يجبّ ما قبله! هذا موقف جميل وفي غاية الروعة والحمد لله على دين الإسلام ونعمة الإيمان.

ولكنهم عندما يتناولون حياة ومؤلفات وفكر الأستاذ سيد قطب والتحولات الفكرية التي مر بها؛ فبدلا من الثناء على جهود الإستاذ سيد قطب والترحيب بهذا الجندي الإسلامي الوفي والأمين، وبدلا من الاستفادة من علم وتجربة هذا المفكر الألمعي الكبير، والإكبار لمثل هذه الخطوات الجريئة والشجاعة النادرة والوقوف الصامد الثابت، والجهر بكلمة الحق أمام ظالمين عصره وطغاة زمانه! تجد هؤلاء المحسوبين على العلم والإسلام قد صبوا غضبهم صبّا جمّا على فكر وعلم وتفسير الأستاذ سيد قطب! ونسفوا جهوده وتناسوا كفاحه وصبره! بل؛ وشككوا في نيته فداء حياته للفكرة التي آمن بها، مخلصا له الدين سبحانه وتعالى. لعَمري إن هذا لشيء عجاب! ما لهم له من علم! إن هذا إلا اختلاق! وانطلق الملأ منهم أن امشوا واطعنوا وفندوا آراء الأستاذ سيد قطب! إن هذا لشيء يراد! قالوا عن الأستاذ جاهل أديب نقاد! طاف في بلاد الأمريكان والكفر والفساد! لا علم له بالشريعة ولا بالتفسير ورجاله! ولا بالحديث

الشريف وحُفّاظه وشُرّاحه! ولم يكن على هدي ومنهج السلف الصالح! حسبي الله عليهم وأعوذ بالله من شر هذا الكلام وبطلانه! لقد جانبوا الصواب وتنكبوا الصراط. أطاعوا إبليس وجنده من الإنس بهذا الكلام و بخسوا الناس أشياءهم وأغضبوا الرحمن. أستظلوا في ظلال تفسيره؟! أشربوا من من معين بلاغته وروعة أسلوبه وقوة بيانه؟! أشهدوا مؤلفاته؟! أطلعوا على كلامه؟! أستقرؤوا عباراته من كل كتبه؟! أم إنهم استرقوا السمع من الأشرطة المسجلة وعملوا بالمتشابه من كلامه! ونقبوا في البلاد وكتبه عن هفواته وعيوبه؟! لقد تقولوا عليه بالأقاويل والأباطيل، وحملوا ألفاظه فوق ما تحتمل، وفسروا جمال أسلوبه في التفسير وحلاوة كلامه في التعبير بصاحب الفكر الإخواني والشيطاني الشرير؟! ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما أخلصوا يقينا. بل رفع الله تفسيره ومؤلفه في قلوب المسلمين والعلماء المخلصين وطلبة العلم الشرعي المنصفين وعامة الشعوب الإسلامية أجمعين، ابتداء من جنوب شرق أوربا في بلاد البلقان [5] إلى جنوب شرق آسيا في جاكرتا ودار النعيم في كلانتان[6]، ومن القاهرة ودار العلوم والمشرق العربي إلى الجزائر وشمال إفريقيا، والحمد لله أولا وآخرا.

أتريدون أن تطفوا نور تفسيره بالأقلام الزائفة والحبر الفاسد؟! كلا. لقد رفعت الأقلام وجفت الصحف، وكتب لتفسيره حسن القبول بالترجمة والطبع والنشر والتدريس[7]، فإما أن تتوبوا وتعودا إلى رشدكم، إذ لا مناص ولا انفكاك من هذه

[5] كوسوفا والبوسنة والهرسك ومقدونيا

[6] إحدى الولايات الماليزية المجاورة لتايلاند

[7] وتم تدريس تفسيره مع تفسير فتح القدير للأمام الشوكاني جنبا إلى جبنب بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الأيام التي كنت طالبا بالكلية عام 1990-1994، كان الشيخ الأستاذ الدكتور عبد العزيز القاري – وإمام وخطيب مسجد قباء – يحمله في حقيبته ويحضره إلينا في المحاضرة وكان يشرح منه ويقرأه علينا مع تفسير ابن كثير وتفسير الشوكاني، جزاه الله خيرا ورحم الله الجميع.

الحقيقة، وهذا أولى وخير لكم إن كنتم تعلمون! أو اخسؤوا ولا تُكلِّمون، وموتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

إن تفسير وكتاب " **في ظلال القرآن** " لا يُستغنى عنه بحال من الأحوال، وأن الداعية خاصة والمثقف المسلم عامة لابد بأن يقتني نسخة منه، وأنه إذا حرم منه؛ فقد حرم من خير كثير. ذلك، أن صاحب هذا الكتاب لم يترك موضوعاً دعوياً عصرياً أو قضية دينية معاصرة إلا وله حديث مباشر أو غير مباشر عنه، وله فضل السبق في معالجة كثير من المسائل والشبهات الدعوية والفكرية التي تثار في الساحة الإسلامية وبيان الحَل الإسلامي الأمثل المبني على الكتاب والسنة للخروج من الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية الراهنة والمتدهورة. لقد أبدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله عصارة فكره وخلاصة تجربته في هذا الكتاب، أي: تفسيره"**في ظلال القرآن**" حيث اعتبر هذا التفسير من قبل النظام السياسي المصري الغاشم في الستينات ثورة فكرية إصلاحية دعوية على مصر وعلى العالم العربي والإسلامي، حيث كانت سلطات عبد الناصر في ذلك الوقت تفرض عقوبات على كل المكتبات والهيئات التي تحاول طبع هذا الكتاب[8]، وفرض نظامه السياسي عقوبات جائرة على جماعة الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية الأخرى، لأن ذلك الكتاب في نظرهم دعوة إلى التطرف الديني[9]!؟

---

[8]كما كان الحال في سورية في منتصف التسعينات حيث كان من العسير جداً الحصول على نسخة من كتاب: "**في ظلال القرآن** " للأسباب التي ذكرناها آنفاً. وانظر :**سيد قطب الأستاذ الحي** للأستاذ الخالدي، ص:25-26.

[9]للمزيد حول الحركات الإسلامية المعاصرة ومشكلاتها..انظر دراسة الأستاذ الدكتور مقداد يالجن من تركيا بعنوان: **مشكلات الحركات الإسلامية وطرق معالجته**، دار عالم الكتب، ط1، 1997، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 35 – 48.

(**الأستاذ سيد قطب الثاني من اليسار)**

وأؤكد هنا مرة أخرى بأن الله عز وجل شاء أن ينال هذا الكتاب شهرة كبيرة في العالم الإسلامي، وتلقته الأمة بالقبول وأصبح له مكانة مرموقة وسامية لدى كافة الدعاة في بقاع الأرض، وبمختلف اللغات العالمية،

وأصبح له قراء وأنصار، وربما هذا الذي دفع بالمستشرق أوليفية كاريه أن يقول في مقدمة كتابه: "**في ظلال القرآن –رؤية استشراقية**"، ".. الإخوان المسلمون أو قطب والقطبيون.."[10].

إن كتاب "**في ظلال القرآن**" ومؤلفه لجديران بالدراسة والبحث والتمعن من قبل الباحثين، لأنني على يقين بأن الكتاب وصاحبه وجماعته التي انتمى إليها مظلومون ومتهمون باتهامات باطلة لا أساس لها، ولا سيما من قبل بعض الأنظمة السياسية العربية والعالمية، وحقاً كما قال الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: "قليلاً ما تنطبق الأسماء على مسمياتها تمام الانطباق! و سيد قطب من الذين تنطبق أسماؤهم عليهم تماماً، فقد كان سيدا وكان قطباً.."[11].

---

[10] أوليفية كاريه، **في ظلال القرآن –رؤية استشراقية**، ترجمة :محمد رضا عجاج، الزهراء للإعلام العربي، ط1-1993 ،ص:7.

[11] الخالدي، صلاح عبد الفتاح ،**سيد قطب–الأستاذ الحي**، عمان –الأردن، مكتبة الأقصى، ص: 11.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه من الدراسات الأولى في هذا المجال الدعوي بالتعرف على فهمه لحقيقة ومضامين الدعوة في الآياتالقرآنية والله أعلم. ويبدو لي أن الذين نالوا من قدر هذا الرجل واتهموه باتهامات باطلة؛ سببه أن الأستاذ سيد قطب لم يوفّ حقه كاملاً بالبحث والدراسة من قبل الباحثين في بيان فكره الدعوي من خلال تفسيره في ظلال القرآن، حتى يعرفوا منهجه في فهمه للآيات القرآنية التي تتحدث عن الدعوة إلى الله، كما أنهم لم يقوموا باستقراء شامل وكامل لأعماله رحمه الله تعالى. لقد تميزت قراءات هؤلاء الطاعنين بالجزئية والانتقائية، وهذا المنهج المبتور واللاعلمي لا يرقى بأصحابه إلى أدنى درجات القبول والعقلانية فضلاً عن الثقة بكلامهم بما يفترون ويكذبون، والله أعلم.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع أذكر:

1) كون الأستاذ سيد قطب من الدعاة المعاصرين وعلى فضل وقدر كبير بين أهل العلم وتلقي الأمة لكتابه "**في ظلال القرآن**" بالقبول.
2) انفراده بمنهج دعوي فريد في فهمه للآيات القرآنية المتحدثة عن الدعوة.
3) كثرة الانتقاد لفكره ومنهجه وتفسيره والنيل من قدره.
4) معايشته للظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية ذاتها التي نواجهها ونعايشها في هذه الأيام.

5) فهمه الدقيق للثقافة الإسلامية واطلاعه العميق على الثقافة الغربية وقوانينها الوضعية وأنظمتها السياسية.

الإشكالية وأسئلة البحث:

إن القضية التي حاولت فهمها ومعالجتها في هذه الدراسة هي: الاطلاع والتعرف على فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب والدفاع عنه دفاعا مستميتا بالحجة والبرهان وليس بالهوى والعاطفة واتباع الشيطان! وبيان كيفية فهمه لآيات الدعوة من خلال تفسيره: "في **ظلال القرآن**" مع التركيز على تفسيره لسورة الأنعام. لقد لوحظ بأن هناك انحرافا بشكل ملموس في هذه الأيام عن منهج القرآن في الدعوة إلى الله تعالى من قبل بعض الدعاة وطلبة العلم الشرعي، حيث إن كثيراً منهم جانب المنهج الدعوي القرآني إلى الله تعالى، واتبع مناهج عديدة وطرائق قددا، فأحببت أن تكون هذه الدراسة نبراساً يسير الداعية إلى الله على بصيرة وبرهان والله أعلم.

وأما الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة هي:

1) ما الخريطة الدعوية المفصلة للدعوة إلى الله تعالى في سورة الأنعام؟
2) ما الأولويات الدعوية إلى الله تعالى في القرآن الكريم؟
3) ما الأساليب الدعوية الواجبة على الداعية اتباعها؟
4) ما الاعتبارات الفكرية والاجتماعية الواجبة مراعاتها لدى المخاطبين؟
5) ما المؤهلات العلمية والثقافية الواجبة توفرها لدى الداعية والمفسر؟
6) ما أصالة المنهج التفسيري والدعوي عند الأستاذ سيد قطب؟
7) ما صحة دعوى عن وجود العنف في فكر الأستاذ سيد قطب؟

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة سابقة لهذا الموضوع بالذات. ويمكن أن تعتبر هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في هذا المجال أي بيان منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله في فهمه وتفسيره لآيات الدعوة في القرآن الكريم. نعم؛ وجدت هنالك دراسات أخرى عامة وفي غاية الأهمية عن حياة الأستاذ سيد قطب رحمه الله وأدبه وفكره وتفسيره "**في ظلال القرآن**" وتقويمه بشكل عام، و أخص من بين هذه الدراسات:

1) **مؤلفات الأستاذ الدكتور عبد الفتاح صلاح الخالدي** التي تحتل المكانة الأسمى من بقية المؤلفات الأخرى عن الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى وجهوده العلمية. لقد قدم الكثير والنافع للجيل الحاضر من الدعاة والأجيال القادمة عن هذا المفكر الإسلامي الكبير. وقد أفرد كتاباً خاصاً عن حياة الأستاذ سيد قطب سماه: "**سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**"، وكذلك كتاباً آخر باسم :"**سيد قطب الشهيد الحي** ". كما أن له كتاب آخر عن تفسير الأستاذ سيد قطب سماه:"**في ظلال القرآن في الميزان – دراسة و تقويم** ". وتدل عناوين هذه المؤلفات دلالة واضحة عن محتويات ومضامين تلك الكتب عموماً، وأن الدارس الجديد لفكر الأستاذ سيد قطب لا يستغني بحال من الأحوال عن تلك المراجع القيمة والفريدة والمتخصصة. ولفضيلته كتاب آخر بعنوان "**المنهج الحركي في الظلال**"[12] ولكنني للأسف الشديد لم أتمكن من الحصول على نسخة منه بأية طريقة.[13]

---

[12] وتبين لي وقت مراجعة وتنقيح رسالتي أن هذا الكتاب هو أحد أبواب كتاب: **في ظلال القرآن – دراسة وتقويم**، طبع مستقلا إتماما للفائدة وتسهيلا للقراء.

[13] قلت: وقت كتابة الرسالة عام 1998 – 2000، لم أعثر عليه بمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية الضخمة، ولكن الآن بعد مضي هذه الفترة أواخر 2015 وبفضل انتشار المكتبات الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية الإنترنت

2) هناك كتاب للشيخ محمد بن دليم آل دليم القحطاني[14] بعنوان: "**سيد قطب المفترى عليه**"[15]. تأتي هذه الدراسة في جملة الدراسات التي تدافع عن شخصية الأستاذ سيد قطب وعلمه. تناولت هذه الدراسة حياة الأستاذ سيد قطب بالإيجاز ثم ذكر تنبيهات مهمة في مسألة النقد والقواعد النقدية، كما ذكر الأسباب التي دفعته للقيام بهذا العمل. ثم ناقش المؤلف بعض المسائل العقدية التي وجهت من خلالها بعض الاتهامات إلى الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى، مثل مسألة وحدة الوجود والاستواء والأسماء والصفات، وأثبتت الدراسة أن جميع الاتهامات نابعة من القراءة الجزئية والعابرة لتفسيره ومؤلفاته ولم تكن قراءة متفحصة مدققة.

3) كتاب للمؤلف علي عبد الفتاح[16] بعنوان:"**سيد قطب سيرة ذاتية**"[17]. تحدث فيها المؤلف عن حياة الأستاذ سيد قطب مختصراً والبيئة الاجتماعية والسياسية التي عاشها الأستاذ سيد قطب وعن ظهور بعض الإشارات والعلامات عند الأستاذ سيد قطب الدالة أنه سيكون له شأن في المستقبل. وذكر المؤلف بأن الأستاذ سيد قطب كان أديباً وشاعراً وأن الشعر كان ينبع من وجدانه متأثراً بالحالة التي كان يعيشها المسلمون تحت وطأة الاستغلال والاستعمار الإنكليزي للبلاد العربية والإسلامية [18].

حصلت على جميع مؤلفات الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في الرابط التالي:
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=32629

[14] من منطقة الجنوب في المملكة العربية السعودية

[15] القحطاني، محمد بن دليم آل دليم؛ **سيد قطب المفترى عليه**، الرياض، دار الطيبة، ط1، 1413هـ.

[16] من السودان رحمه الله تعالى.

[17] عبد الفتاح، علي؛**سيد قطب سيرة ذاتية**، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط 1، 1996م.

[18] انظر: عبد العزيز، جمعة أمين؛ **فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين** للإمام حسن البنا رحمه الله، الإسكندرية، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط2، 1991 م، ص: 10.

4) ولعل دراسة الأستاذ محمد توفيق بركات [19] بعنوان: "**سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة والنقد الموجه إليه**"[20] من أقرب الدراسات إلى موضوعي في هذه الدراسة. حيث تحدث المؤلف فيها عن حياته التي عاشها أثناء تفسيره للقرآن الكريم ومنهجه الحركي في فهم آيات القرآن، معتمدًا على دراسة بعض الأجزاء من التفسير "**في ظلال القرآن**" كما صرح المؤلف بذلك. وهذه الدراسة تناولت تفسير الأستاذ سيد قطب من الجزء الأول إلى الجزء الثالث عشر، واختير الجزء السابع عشر أيضاً. ولا شك أن مؤلف هذه الدراسة قدم جهداً مشكوراً ومباركاً، وكنا نتمنى منه لو أكمل دراسته كاملاً لتفسير الأستاذ سيد قطب حتى تكتمل الفائدة العلمية ويستفيد منها طلبة العلم الشرعي والمتخصصون في الدراسات القرآنية على وجد التحديد، ولكن قدّر الله أمراً كان مفعولاً، والله أعلم.

5) وهناك دراسة أخرى مهمة بعنوان: "**اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**"[21] لفضيلة الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي حفظه الله. إن هذه الدراسة المستفيضة والموسوعة التفسيرية المباركة لا يستغنى عنها بحال من الأحوال خاصة طلبة العلم الشرعي والمتخصصون في الدراسات القرآنية، فجزى الله الأستاذ المؤلف خير الجزاء على ما قدم. فمن جملة ما تحدث فضيلته فيها هو الاتجاه العقائدي في التفسير مبيناً منهج أهل السنة والجماعة في التفسير، ثم ذكر منهج الشيعة في التفسير ومنهج الإباضية والصوفية. ثم تحدث عن الاتجاهات العلمية في التفسير فذكر

---

[19] من جمهورية مصر العربية

[20] بركات، محمد توفيق؛ **سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة و النقد الموجه إليه**، ت.د، ط.د. م.د.

[21] الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الرياض، ط1 1986.

المنهج الفقهي والمنهج الأثري والمنهج العلمي التجريبي وموقف المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير. ثم لما تناول بالذكر الاتجاه الأدبي ومناهجه في التفسير، أدرج تفسير الأستاذ سيد قطب "**في ظلال القرآن**" في هذا الاتجاه وبين أن منهجه اتصف بمنهج التذوق الأدبي الراقي، مبيناً الأسس التي اعتمد عليها الأستاذ سيد قطب في تفسيره. ومع تقديري وإجلالي لفضيلة الأستاذ الدكتور فهد فيما ذهب إليه، إلا أننا لا نوافقه في إدراج تفسير الأستاذ سيد قطب تحت هذه الاتجاه جملة وتفصيلاً. نعم، الذوق الأدبي الرفيع الرائع في الأساليب البيانية في تفسير الأستاذ سيد قطب لا ينكر وهذا أمر متفق عليه. فالأستاذ سيد قطب لا نبالغ إن قلنا في حقه هو زمخشري القرن الحادي والعشرين من حيث قوة الأسلوب البياني في تفسيره لمعاني الآيات القرآنية، كما يتوجب علينا الاعتراف بأنه رحمه الله في مجال العقيدة الإسلامية والدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة وجدناه خير مدافع ومفسر لكتاب الله تعالى الذي توفر لديه كافة شروط المفسر، وخير داعية في الشرح المفصل لحقيقة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والعبودية والحاكمية المطلقة لله رب العالمين. فتفسيره يستحق بل وينبغي أن يدرج ضمن الاتجاه العقدي والاتجاه البياني والاتجاه الدعوي والحركي جميعاً، والله أعلم.

6) وأيام عملي بجامعة طيبة بالمدينة المنورة عام 2004- 2009 على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، أُهدي إليّ كتاب قيم وكريم من شخص عزيز وزميل محب لي وللقرآن بجامعة طيبة، ألا وهو فضيلة المربي الأستاذ الدكتور ياسر بن إسماعيل راضي؛ أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالمعهد العالي للأئمة والخطباء بالجامعة، حفظه الله ورعاه، كان قد حصل عليه في معرض القاهرة للكتاب في مهمة رسمية من جامعة طيبة، فأنا لفضيلته من الشاكرين والمقدرين. عنوان هذا الكتاب: **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، تأليف: نصير زرواق، دار السلام

للطباعة والنشر، عام 2009، القاهرة. وهذا الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون جامعة أم درمان الإسلامية (**بتقدير ممتاز**). وتناول الباحث بشكل مفصل حياته والأصالة والتجديد في فكره والعقيدة والربانية والشمول والواقعية والتوحيد والتصوير الفني والتفسير العقيدي وطبيعة المنهج القرآني المكي والمدني...ثم الشريعة و مقاصدها في فكر سيد قطب ومقومات الشريعة ومنهج الشريعة ومميزات الشريعة ومقاصد الشريعة والعدالة الاجتماعية في الإسلام...هذه الدراسة العلمية الشاملة لفكر الأستاذ الإمام سيد قطب لا يستغني عنها طالب العلم فضلا عن المفكر والعالم. ليت الذين يطعنون في فكره و منهجه يتصفون بشيء من الإنصاف والفكر والمنهج الشمولي في حكمهم للآخرين. جزى الله الباحث الأستاذ الدكتور نصير زرواق على هذا الجهد المبارك والمشكور.

7) ودراسة أخرى وقفت عليها في قطر عام 2013 بعنوان: **سيد قطب بعد 43 عاما من استشهاده لمجموعة من الباحثين**، قدم لهذه الدراسة فضيلة الشيخ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله – المرجعية الفكرية والعلمية لمعرفة فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب في القرن العشرين –. هذه الدراسة طبعت في دار عمار في الأردن عام 2010 وعني بها عصام فارس. هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات والبحوث والآراء والردود لبعض الباحثيين المشهورين والمهتمين في هذا العصر. رأيتها نافعة ومفيدة لطالبي الحقيقة عن فكر ومنهج الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله. وكم كنت أتمنى أن يكون هذا الكتاب بين يدي وقت كتابة رسالة الماجستير قبل خمسة عشر عاما وأنا طالب في الدراسات العليا. والحمد لله رب العالمين في كل وقت وحين أن وفقني وهداني إلى هذا الكتاب ولو بعد حين. ثم إن الحمد لله رب العالمين مرة أخرى أن هداني في دراستي أيام طلب العلم وكتابة رسالة الماجستير إلى موقف وسط ورأي معتدل غير مجحف في حق الأستاذ سيد قطب وفكره. ثم إن الفرح

والسرور بلغا غايتهما عندما رأيت هذه الآراء المبثوثة والبحوث المكتوبة والدراسات المؤصلة في هذا الكتاب جاءت موافقة لما قد كنت ذهبت إليه وترجحت لدي صحتها وبطلان ما عداها في ذلك الوقت. فهذا من فضل الله ورحمته وتوفيقه. إنني أنصح كل من تسول له نفسه في التشكيك والطعن في فكر وجهود الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن يقتني هذا الكتاب وأن يقرأه قراءة متأنية، وأن يبحلل كلام الباحثين واضعا أمام عينيه شهادة ومعيار المركز – الكتاب والسنة والخطوات المنهج العلمي الصحيح – للحكم على فلان أو علان. ألا فليتق الله هؤلاء الذين طعنوا ولا يزالون يطعنون على فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب، والذي دفع حياته ودمه تضحية في سبيل التمسك بالحق والحقيقة القرآنية. وعادة بعض هؤلاء الطاعنين والمشككين في حق الأستاذ سيد قطب وأمثاله من الدعاة المخلصين الذي أفضوا إلى الله؛ قابعون في بيوتهم وبين أحضان زوجاتهم مستأنسون! وفي أجواء تبريد المكيفات اليابانية والكورية نائمون! وفناجين القهوة العربية والتركية ينقلبون! ولسادتهم وكبرائهم مطيعون وموافقون! وربما يسبق لهم أن أوذوا أو أهينوا أو ظلموا في سبيل الله حتى بأبسط أنواع الإيذاء أو الظلم والإهانة !! ومع هذا فإنك تجدهم يتطاولون على هؤلاء الذين قضوا نحبهم وفي ذمة الله هم صائرون، ألا فليتق الله هؤلاء وليكفوا عن ألسنتهم وليشتغلوا بعيوبهم فهذا أنفع لهم في دنياهم وأزكى عند ربهم في أخراهم.

8) ودراسة أخرى أيضا وقفت عليها عام 2013 في قطر، أي بعد مضي ثلاثة عشر عاما من كتابة هذه الرسالة العلمية بعنوان: **روائع الظلال**، لمؤلف: رامي عمر باعطية. وهذه الدراسة صدرت عام 2012 من دار الأمة للنشر والتوزيع في الرياض بالمملكة العربية السعودية. وجزى الله المؤلف خير الجزاء لهذا الجهد المبارك حيث قام بدراسة وغربلة تفسير الأستاذ سيد قطب (**في ظلال القرآن**) لعامين كاملين بالمدينة المنورة ومكة المكرمة، وقام بتسجيل أهم الملامح والموضوعات الفكرية والإيمانية

والدعوية والأخلاقية والانطباعات الشخصية أثناء قراءته وعيشه مع الظلال. ولقد قسم كتابه إلى مجموعة من الموضوعات على النحو الآتي: **الملمح الأول**: حقيقة الإسلام، **الملمح الثاني**: سنن التاريخ، **الملمح الثالث**: المواجهة، **الملمح الرابع**: بيده ملكوت كل شيء، **الملمح الخامس**: طلائع الدعوة، **الملمح السادس**: صياغة القيم والمبادئ، **الملمح السابع**: نسائم الروح. ولعل يجدر بنا الاقتباس بعضا من كلامه عندما قال:

"ولقد أكرمني الله بالتتلمذ على يد سيد قطب رحمه الله منذ سنتين عشت خلالها أجمل لحظات العمر، عشت فيها هادئ البال، مطمئن النفس، منشرح الصدر، عشت في جنة الدنيا من خلال القرآن، عشت بروحي قبل جسدي. عشت مع رجل إيماني. عشت مع رجل روحاني. عشت مع رجل تربوي. عشت مع رجل دعوي. عشت مع رجل سطر اسمَه التاريخ. عشت مع رجل أطال النظر في كتاب الله بتدبر وخشوع وتفهم، فأورثه الله ضياء البصر وضوء البصيرة، فكانت عباراته تهزني هزا عنيفا وتوقظني من غلفتي....عشت مع رجل علمني كيف تتحول الكلمات إلى أفعال. عشت مع رجل علمني معنى الثبات والصبر في هذه الحياة. عشت مع رجل علمني قصة التضحية كيف تكتب بالدم. عشت مع رجل علمني كيف أصادق الكون الفسيح وأرى الجمال في آياته وصفحاته...."[22].

هذه هي أهم الدراسات السابقة واللاحقة التي وقفت عليها في هذه المسألة، وهي تختلف نوعا ما عن طبيعة بحثنا من حيث التخصيص.

فبحثنا كمل ذكرنا منصب على معرفة واستكشاف منهج الأستاذ سيد قطب في الدعوة إلى الله من خلال معرفة كيفية فهمه وتفسيره للآيات القرآنية المتعلقة بالدعوة

[22] **روائع الظلال**، رامي باعطية، ص 8-9.

إلى الله. وأخيراً إنما كان دخولي إلى تفسير هذه السورة المباركة دخول الداعية والباحث الذي يلتمس من القرآن الكريم المنهج الرباني والأسلوب الرحماني والطريقة المحمدية في كيفية دعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى.

9- ودراسة أخرى علمية منهجية في غاية الأهمية وقفت عليها في وقت متأخر جدا أثناء تهذيب وتنقيح رسالتي إعدادها للطباعة عام 2016 – رغم أنها كتبت بفترة وجيزة قبل رسالتي التي كتبتها عام 2000، والدراسة المشار إليها كتبت عام 1416 هـ أي ما يقارب 1996، غير أني لم أحظى بها في ماليزيا. عنوانها: **منهج سيد قطب في ظلال القرآن** (في جزأين)، رسالة الدكتوراه من طالبة أسماء بنت عمر حسن فدعق بجامعة أم القرى بمكة المكرمة. والدراسة كما هو ملاحظ من العنوان في صلب موضوعي وهي عامة عن منهج الإستاذ سيد قطب في ظلال القرآن، بينما دراستي كانت عن منهجه في فهم آيات الدعوة فقط من خلال تفسيره لسورة الأنعام.

10- ودراسة أخرى وقفت عليها مؤخرا أيضا أثناء مراجعة رسالتي وذلك بفضل الشبكة العنكبوتية الإنترنت من الشيخ حسين محمود، عنوانها: **مراحل التطور الفكري عند سيد قطب**، 1427 هـ، ط1، دار الجبهة للنشر والتوزيع. لقد ألفيتها دراسة في غاية الأهمية وماتعة للباحثين والمنصفين والحريصين لمعرفة فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله و المراحل الفكرية التي مر بها في حياته. أنصح بقراءتها والاستفادة منها، وكتبت بأسلوب سلس عذب سلسبيل. جزى الله الكاتب عنا وعن الإسلام خيرا لجزاء.

11- دراسة أخرى للباحث اليمني الشيخ الداعية ماجد شبالة نال بها درجة الدكتوراه بعنوان: **منهج سيد قطب في العقيدة** [23].

هذه هي الدراسات السابقة واللاحقة التي ظهرت عن فكر ومنهج وعقيدة الأستاذ سيد قطب رحمه الله والتي استطعت أن أقف عليها وقت كتابة الرسالة وبعدها، أي ما بين أعوام 1999-2015 ، والحمد لله أولا وآخرا. وقد تكون هناك دراسات أخرى أو مقالات أو مداخلات في وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أني لم أر من الفائدة إدراجها لأن بعضها لا تستحق أن تذكر، مجرد ما تبدأ بقراءتها تشم منها رائحة السب والشتم والهجوم، فأمثال هؤلاء لا يستحقون أن يسموا بـ: باحثين!؟ وإنني متأكد ومتفائل بأن هناك دراسات أخرى يجري العمل عليها وهي في الطريق من قبل الباحثين في مختلف الجامعات والمؤسسات العلمية والعالمية في الوطن العربي والإسلامي، لاستكشاف ومعرفة أسرار هذا النجم القرآني والتفسيري المعاصر لمعرفة سر قبول تفسيره وحب العالمين له. وهذا مؤشر علمي وإيماني كبير بأن الثقل العلمي والفكري والإيماني للأستاذ سيد قطب خلاف ما هو مشاع ومكتوب ومكذوب ومفترى عليه في وسائل الإعلام، وإلا لما كان هناك هذا الإقبال العالمي الكبير على دراسة آرائه وأفكاره ومنهجه، بل وحتى من غير المسلمين. فهنيئا للأستاذ سيد قطب حيا وميتا لهذا الاهتمام العالمي لفكره وعلمه جعله الله من ا لمقبولين وجمعنا به في جنات النعيم.

[23] وسياتي ذكر التفاصيل والنتائج الرائعة التي توصل إليها الباحث في ختام الرسالة.

منهج البحث:

هذا، ولإنجاز هذه الدراسة سأسير على **المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي الموضوعي** وذلك بتتبع أقوال الأستاذ سيد قطب في المسائل المتعلقة بالدراسة في أغلب مؤلفاته مع التركيز على تفسيره عموما ولسورة الأنعام على وجه خاص، إضافة إلى المصادر والكتابات الأخرى والتي لها علاقة بالموضوع.

أما عرضي لموضوعات البحث وتقسيمها إلى فصول ومباحث ومطالب كما هو مذكور في الهيكل، فقد قسمتها بناء على المرتكزات الدعوية الأساسية التي اعتمد عليها الأستاذ سيد قطب في تفسيره" **في ظلال القرآن** " عامة وفي تفسيره لسورة الأنعام على وجه الخصوص، وبناءً على إجابة أسئلة البحث.

هيكل البحث:

هذا وقد اشتمل البحث على أربعة فصول وخاتمة. ذكرت في الفصل الأول:

- المقدمة،
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره،
- إشكالية البحث،
- الدراسات السابقة،
- منهج البحث وهيكله.

وفي الفصل الثاني ذكرت: فكر الأستاذ سيد قطب وحياته وأعماله. وفي المبحث الأول تعرضت إلى ذكر حياة سيد قطب وعمله وفكره ومولده ونشأته

وخصائص طفولته ورحلته ونشاطه العلمي وانضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين ومؤلفاته ثم أخيراً استشهاده.

وفي المبحث الثاني ذكرت قواعد وأسس فكره بشئ من التفصيل. وفي المبحث الثالث ذكرت منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره عموما ثم بعضاً من تقاريظ وثناء العلماء لتفسيره، ثم عقّبت بذكر سمات وخصائص التفسير "**في ظلال القرآن**".

وفي الفصل الثالث تعرضت إلى موضوع الدعوة وأسلوبها من خلال سورة الأنعام. فذكرت أسباب اختيار سورة الأنعام للدراسة وموضوعاتها وتسميتها ومناسبتها وفضلها ونزولها والأساليب الدعوية الواردة فيها وفي القرآن الكريم عموماً، ثم ذكرت بعضاً من سمات وخصائص منهج الأستاذ سيد قطب في فهم الدعوة. ثم في المبحث الأولذكرت دعوة المسلمين إلى الإصلاح العقدي، وركزت فيه أولاً على إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية، ثم إصلاح المجتمع المسلم وفق منهج قرآني، ثم تصحيح منهج الفكر والنظر والدعوة وفق منهج معرفي وتربوي.

وذكرت في المبحث الثاني دعوة الكافرين إلى الإسلام عن طريق النظر والتأمل في آيات الكون ودعوتهم عن طريق الحوار الهادئ والبَنَّاء والمجادلة بالتي هي أحسن.ثم ذكرت في المبحث الثالث منهج القرآن في القضاء على التصورات والعقائد والعادات الجاهلية، مبتدئاً بالتدرج ثم بمراعاة أحوال المخاطبين ثم بمخاطبة القرآن الكريم للفطرة البشرية.

وفي الفصل الرابع تعرضت إلى ذكر صفات الداعية من منظور المنهج القرآني، فذكرت في المبحث الأول المؤهلات النفسية الواجبة توفرها لدى الداعية، ابتداءً بالجانب الروحي ثم بالجانب السلوكي والأخلاقي.

ثم ذكرت في المبحث الثاني المؤهلات الفكرية الواجبة توفرها لدى الداعية، فركزت على أن كون الداعية عالماً بما يدعو إليه فاهماً اختصاصه على الوجه الصحيح، ثم كون الداعية ملماً بثقافة العصر الذي يعيش فيه.

ثم ذكرت في المبحث الثالث النقد الموجه إلى الأستاذ سيد قطب – المنتقدين لفكره والمدافعين عنه–، والخاتمة وبعض الاقتراحات. قسمت الملاحظات الموجهة إلى الأستاذ سيد قطب إلى قسمين :الخاصة وهي التي بدت ليشخصياً أثناء دراستي لتفسيره ومنهجه الدعوي، والملاحظات العامة وهي التي بدت للباحثين الآخرين بشكل مختصر.

ثم ذكرت الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها وبعض التوصيات.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل بقدر إخلاصي وجهدي فيه، والذي أرجوه أن يكون في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فما كان من صواب وتوفيق إلى الحق فذلك بفضل الله وهدايته ومنِّه عليَّ، وما كان من نقص وزلة فذلك مني ومن الشيطان، أسأل الله تعالى أن يعفو ويتجاوز عني وعن جميع المسملين وأن يرشدني إلى الصواب فيما بعد .

كما أني ألتمس من القراء الكرام بأن لا يبخلوا عليّ بتوجيه النصائح والإرشادات أو الملاحظات المتعلقة بهذه الدراسة مراسلة أو مشافهة إن تيسر لهم وسأكونّ لهم من الشاكرين والمقدرين سلفاً. حسبي أني اجتهدت قدر المستطاع أن ألُمَّ أطراف هذا الموضوع وأن أبين الحق الذي اختلفوا فيه معتمدا على شهادة ومعيار المركز – القرآن والسنة والعلماء المشهود لهم بالصلاح والعلم – لتقييم آراء الأستاذ سيد قطب ومنهجه وفكره، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. البريد الإلكتروني: drhafezi68@gmail.com

الموقع الشخصي:www.drhafezi.net

الفصل الثاني:
سيد قطب: حياته، فكره وأعماله

المبحث الأول: اسمه، مولده، نشأته، أعماله واستشهاده

اسمه ومولده:

هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسن الشاذلي. ولد في 1906/10/9م، (التاسع من شهر أكتوبر عام ست وتسعمائة وألف للميلاد) بقرية موشا، إحدى قرى محافظة أسيوط. كان الابن الأول لأمه بعد أخت شقيقة تكبره بثلاث سنوات وأخ من أبيه غير شقيق يكبره بجيل كامل. أحدث مولده حدثاً سعيداً لأمه بصفة خاصة لأنه طمأنها على استمرار و استقرار حياتها الزوجية، ولا سيما أنها الزوجة الوحيدة لأبيه الذي ينتمي إلى مجتمع قروي صعيدي الذي يعتبر الرجال ثروة للمفخرة والتكاثر .."[24].

ولد الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "في مجتمع قروي صعيدي الذي أحاط به آنذاك – أغلاب الزمان – غلب الفقر و غلب الحرمان،غلب الجهل والمرض و الكد

[24] انظر: الزركلي، خيرالدين؛ **الأعلامقاموس التراجم**، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط7، 1987، ج 3،ص: 147-148. وانظر:
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title ، 2015/10/17

المتواصل في الأرض والزرع، وغلب الجور من الحكام، حتى سيّرت الحياة فيه خرافات التقاليد وبدع المعتقدات وحكّمته قوانين اللصوص و المناسر.." [25].

ذكر الباحثون المهتمون بفكر وحياة الأستاذ سيد قطب أن والد الأستاذ سيد قطب كان "..ميسور الحال كريم الإنفاق يعتمد في معيشته على أرض واسعة نسبياً يشتغل فيها الفلاحون بالأجرة، ومع ذلك لم تكن نفقاته تتناسب مع مردود أرضه، فلا يزال يبيع منها شيئاً بعد شيء للوفاء بالديون التي كانت تركبه لكثرة إنفاقه"[26]، و"..كان والده رحمه الله راشداً عاقلاً مشتركاً في صحيفة يومية وعضواً في لجنة الحزب الوطني،عميداً لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية والتي كان مكلفاً بحفظ اسمها ومركزها، وكان رجلاً وقوراً رزيناً عطوفاً لين الجانب، حي القلب يبتعد في عمادته للعائلة عن الصلف والعنجهية التي كان يتسم بها عمداء الأسر الثرية في الأرياف .."[27]

وخير من يصف أباه هو ابنه الأستاذ سيد قطب رحمهما الله تعالى. عندما ألف الأستاذ سيد قطب كتابه "**مشاهد القيامة في القرآن**" قال في الإهداء "لقد

---

[25] حسين، عبد الباقي محمد؛ **سيد قطب حياته و أدبه**، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط 1-1986م، ص: 17، نقلاً عن كتاب: **طفل في القرية**، للأستاذ سيد قطب، ص211-212.
وانظر أيضاً: **سيد قطب الشهيد الحي**، عبد الفتاح صلاح الخالدي، ص:46.

[26] بركات، محمد توفيق؛ **سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجهإليه**،ص: 9.

[27] بركات، محمد توفيق؛ **سيد قطب حياته و أدبه**،ص 18، نقلاً عن: **طفل في القرية** ص 21-22.

طبعت فيَّ وأنا طفل صغير مخافة اليوم الآخر، ولم تعظني أو تزجرني، ولكنك كنت تعيش أمامي واليوم الآخر في حسابك، ذكراه في ضميرك وعلى لسانك...كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك وتسامحك في الحق الذي لك بأنك تخشى اليوم الآخر، وكنت تعفو عن الإساءة وأنت قادر على ردها لتكون لك كفارة في اليوم الآخر، وإن صورتك المطبوعة في مخيلتي ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء، فتقرأ الفاتحة وتتوجه بها إلى روح أبيك في الدار الآخرة ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات قبل أن نجيد حفظها كاملات."[28].

هنا يظهر دور الوالدين في تربية أولادهما تربية إسلامية صحيحة على أسس ثابتة من القرآن والسنة وهدي السلف الصالح والعلماء الربانيين، إذا ما أرادوا لهم الصلاح والتوفيق والهداية وإفهام المسؤلية وغرسها في قلوبهم منذ الصغر حتى ينشؤوا عليها بإذن الله،كما نشأ الأستاذ سيد قطب رحمه الله في هذا البيت المليء بالأجواء الإيمانية والنفحات الربانية.

نشأته:

نشأ الأستاذ سيد قطب رحمه الله نشأة خاصة ومميزة عن غيره من الأولاد. فقد نشأ في أسرة كريمة متدينة مثقفة وميسورة الحال، "وخرج من البيت طفلاً مميزاً شاعراً بذاته، لينمو هذا التميز والشعور بين أقرانه وزملائه في الشارع وفي المدرسة، ففي المدرسة كان العريف و الناظر يعنيان بالتدريس له على حدة داخل الفصل في شبه

[28] المرجع السابق، الصفحة نفسها، وانظر: **سيد قطب المفترى عليه**، لـ: محمد بن دليم آل دليم القحطاني، ص 7-8.

درس خصوصي..وعلى هذا النحو نما سيد قطب في القرية ونما معه شيئان: الإحساس بالذات والأمل الذي غرسته أمه وراحت تؤكده منذ مولده .." [29].

ولقد عبر هو عن ذلك في رثائه لها سنة 1940م قائلاً: "لقد كنت تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت في المهد صبياً، وكنت تحدثينني عن آمالك التي شهد مولدها مولدي، فيتسرب في خاطري أنني عظيم وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة التي من نسيج خيالك ووحي جنانك ..." [30].

أقول: هكذا ينبغي أن يكون دأب الأبناء الصالحين الأبرار تجاه والديهم الأخيار. العرفان بالجميل وعدم نكران النعمة واعتراف لهما بالفضل، وعلى هذا المنوال يجب أن تكون طريقة أمهات اليوم في تربية أولادهن، والله أعلم.

خصائص طفولته:

امتازت طفولة سيد قطب رحمه الله بعدة خصائص منها:

الأولى: خياله تجاه عبارات القرآن و أمثاله: حيث يتحدث عن نفسه في هذا الصدد قائلاً: "قرأت القرآن و أنا طفل صغير ولا ترقى مداركي إلى آفاق معانيه، ولا يحيط فهمي بجليل أغراضه ولكن كنت أجد في نفسي شيئاً..لقد كان خيالي الساذج الصغير يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن.

إنها لصورة ساذجة ولكنها كانت تشوق نفسي وتلذ حسي..من الصور التي كانت قد ترتسم في خيالي إذ ذاك صورة كانت تتمثل لي كلما قرأت الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ**

---

[29] المرجع السابق .

[30] **سيد قطب حياته و أدبه**، ص20، نقلاً عن: **مجلةالرسالة**، أكتوبر 1940م، ع381، ص: 1602.

عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، لقد كان يشخص في مخيلتي رجل قائم على حافة مكان مرتفع فقد كنت في القرية رأيت التل المجاور للوادي وهو قائم يصلي لكنه لا يملك موقفه فهو يتأرجح للسقوط وأنا بإزائه أتتبع حركاته في لذة وشفقة عجيبين.

الثانية: رغبته العارمة لمطالعة الكتب وقراءتها: مثل كتب كرامات الأولياء والصالحين وغيرها من الكتب العلمية والثقافية .." [31]

الثالثة: استعلاؤه على الظلم والظالمين: كراهيته للإنكليز الذين شاهد آثارهم صوراً حية من الحرمان والتخلف الاجتماعي والثقافي وفساد القوانين جعلته يشعر حينما كبر بالخجل كلما استرجعها وبالازدراء لنفسه ولشعبه لأنه صبر على هذا البلاء" [32].

هكذا يكون شأن الأطفال النابغين والعباقرة الموهوبين، يلاحظ لديهم علامات وسمات النبوغ والموهبة منذ صغرهم، وذلك بطرح أسئلة تبدو غريبة وقوة الحفظ وسرعة الإدراك والاستيعاب لكل ما يقرأ أو يسمع.. فيجب أن نراعي هذا الشئ فيمن حولنا من أولادنا وطلابنا وغيرنا.. حتى لا نقصر في حقهم والله أعلم.

رحلته و نشاطه العلمي:

وأما عن تعلمه، فقد حفظ سيد قطب القرآن وهو في العاشرة من عمره بدافع من نفسه لكي يبرر بقاءه في المدرسة التي أحبها والتي هجرها معظم أبناء القرية بسبب أنه ما أشيع في القرية من أنها لم تعد تهتم بتحفيظ القرآن..[33]

---

[31] نفس المرجع، ص 21، نقلاً عن: **طفل في القرية**، ص : 196

[32] المرجع السابق، ص 21، وانظر: علي، عبد الفتاح، **سيد قطب سيرة ذاتية**.

[33] المرجع السابق، ص 20-21، **وانظر سيد قطب خلاصة حياته**، ص 9.

ثم إن سيداً قرر مواصلة دراسته ومن ثَمّ "...غادر سيد قطب القرية متجهاً إلى القاهرة وهو في حوالي الرابعة عشرة من عمره إلى خاله الذي كان يشتغل بالتدريس والصحافة راغباً أن يصبح متعلماً كأخواله. جاء سيد قطب إلى القاهرة في بداية العشرينيات وهو يعرف مهمته، والتحق بإحدى مدارس المعلمين الأولية وهي مدرسة عبد العزيز، فوقف عليها كل اهتمامه منطلقاً نحو غايته وأظهر تفوقاً على غيره في دراسته وحصل على إجازة الكفاءة للتعليم الأولى. وفي عام 1929 م دخل كلية **(دار العلوم)** في قسم المعلمين وتخرج بعد أربعة سنوات،أي عام 1933م ومن ثم عُيِّن مدرساً في نفس المعهد لأنه كان متميزا..وكذلك توظف في وزارة المعارف كأستاذ في تحضيرية **(الداودية)** بمرتب قدره ست جنيهات.." [34]

وفي أثناء وجوده في المدرسة والكلية التقى بالأديب والأستاذ عباس محمود العقاد[35] حامل راية تجديد الأدب في مصر، ولازمه ملازمة شديدة وأصبح أحد مريديه، وأعجب بفكره وأدبه و تتلمذ عليه..

---

[34] عبد الباقي محمد حسين، **سيد قطب حياته و أدبه**، ص 26-28، نقلاً عن الملف التي بوزارة التربية والتعليم، رقم ورمز الملف: s 12-5/21. وانفرد هذا الكاتب بالاشارة إلى الملف الذي يحوي المعلومات الرسمية عن سيد قطب رحمه الله مما جعلني أعتمد عليه في ترجمة سيد قطب عليه أكثر من غيره . **الباحث**، وانظر أيضاَ: **سيد قطب الأستاذ الحي**، ص:80 فما بعد.

[35] هو **عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد**. ولد سنة 1889 م و توفي سنة 1964 م. إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع. أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وكان أحدهم يعمل في عقادة الحرير فعرف بالعقاد. تزوج أبوه بكردية من أسوان، وولد منهما عباس وتعلم في مدرستها وشغف بالمطالعة. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر. تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها ثم ألم بالألمانية و الفرنسية. ظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن. أخرج في خلالها من تصنيفه **83** كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع منها: **(عبقرية محمد)**، **(عن الله)**، **(رجعة أبي العلاء)**، **(الفصول)**، **(مراجعات في الأدب والفنون)**،

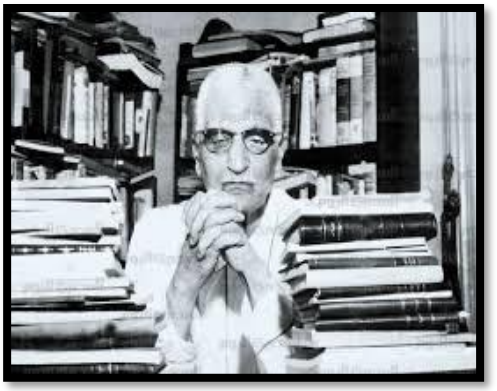

(الأديب الإسلامي الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله)

ولقد عبر هو بنفسه عن أهمية هذا اللقاء وعن أهمية وعظمة وفضل العقاد حينما قال: " إن العقاد أقوى شخصية لدينا تتعالى على التأثر بالوسط وتستنكف أن تحدها البيئة، وهو الموئل الذي نرتجيه في هذا المضطرب الأدبي الشخصي، بل في مضطرب العواصف الاجتماعية التي تعبث بكيان هذا الشعب.نحسبه أنه الرجل الذي بقي شامخ الأنف على كل الظروف والمآزق في حياته الشخصية و جهاده العام." [36].

وانتقل سيد قطب في مطلع الأربعينيات بتاريخ 1940/3/1 م إلى مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف للعمل كمحرر عربي فيها، ومنها ندب إلى إدارة الترجمة والإحصاء بتاريخ 1940/4/17م، ثم عمل مفتشاً بالتعليم الابتدائي بتاريخ 1944/7/1.

عاد من عمله كمفتش في أبريل 1945م إلى الإدارة العامة للثقافة التي كان يرأسها أحمد أمين، ومع بداية تلك الفترة كانت خطواته في النقد الأدبي قد اتسعت وتميزت من خلال منهج أدبي مستقل، حتى كان من نتائج ذلك كتاباه النقديان: (**كتب وشخصيات**)، (**النقد الأدبي أصوله ومناهجه**) ولكنه لم يجن من النقد الأدبي إلا خصومات وصراعات نالت منه ومن مكانته التي سعى لتأكيدها [37] .

(**هتلر**) وغيرها كثير. شعره جيد، وكان أجشّ الصوت، في قامته طول، نعت من أجله بالعملاق ..انظر: **الأعلام** للزركلي، ج 3-ص: 266.

[36] انظر: **سيد قطب حياته و أدبه**، نقلاً عن **مجلة الأسبوع**، يونيو، 1934، 31/4 ص:28.

[37] نفس المرجع، ص31.

ويظهر مما سبق أنه كان لسيد قطب نوع من الاستقلال الفكري والاعتماد على نفسه وإظهاراً لقدرته العقلية والأدبية، لأنه كما تذكر المصادر كان ناقداً شديداً وحاد اللسان، فَقَدَ لأجله كثيراً من الأصدقاء والأحباب لعدم موافقته لآرائهم[38].

وفي 1948/11/3م سافر سيد قطب إلى أمريكا [39] في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج الأمريكية. ولا يستبعد أن الهدف المنشود من ابتعاث سيد إلى أمريكا كان أن الجهات الرسمية في الدولة بدأت تحس بخطورة هذا الرجل بسبب كتاباته وانتقاداته، ففكروا في كيفية تغيير اتجاه هذا الرجل وآرائه، وتخليه عن تلك الأفكار الإسلامية التي يدعو إليها..فلم يجدوا حلاً إلا أن يخرجوه من البلد وأن يذهبوا به مكاناً قصياً، واختاروا أمريكا بلداً لتغيير منهج هذا الرجل واستبدال عقليته بعقلية غربية أمريكية..﴿.. **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الأنفال: 30][40].

أحدث سفر سيد قطب إلى أمريكا تغييراً جذرياً في فكره، ولكن على عكس ما كانوا يتوقعون منه. فلقد ازداد الرجل إيماناً ويقيناً بالله أكثر، استيقن أن ما عند الإسلام من منهج ونظام وعقيدة للحياة هو الحق وأن ما عند غيرهم هو الباطل..

---

[38] راجع نفس المرجع ص 32، وكذلك انظر: محمد توفيق بركات، **سيد قطب خلاصة حياته**، ص: 10، وانظر أيضا:حسين بن محمود؛ **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، ص: 6 - 21

[39]انظر: **الأعلام** للزركلي، ج3، ص : 147-148.

[40] وقد ذكر الأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي في : (**سيد قطب الأستاذ الحي**) الأهداف من إرسال سيد قطب إلى أمريكا فقال: "و كانوا يهدفون - بالإضافة إلى إبعاده من القاهرة –إلى تغيير أفكاره وتثقيفه بالثقافة الأمريكية وتجنيده لخدمة أمريكا، عندما يعود إلى مصر، حيث كانت أمريكا تخطط لمصر، وتعد أناساً من قادة الفكر والرأي من المصريين ليكونوا أداة لها في التنفيذ، ولذلك وضعوا لسيد برنامجاً مدروساً لإفساده أخلاقياً وفكرياً ونفسياً، ليعود طيعة في أيديهم كغالبية المبتعثين إليهم، ولكن خاب مسعاهم في هذه المرة، لأن الله رسم له منهجا آخر، ونقل خطاه فيه.." ص -126.

وعندما رجع سيد قطب من أمريكا ألف كتابه: (**أمريكا التي رأيت**) وكان قد زود نفسه وفكره بالإيمان وشعور بالمسؤولية التي على عاتقه كداعية ومفكر. كان من المتوقع من عودة سيد من أمريكا أن يكون هو أحد جند الحكومة المصرية ومؤيديها..! ولكن إذا ما أراد الله أمراً فلا مكان لإرادة الناس، وهذه سنة إلهية ولكن أكثر الناس لا يعلمون...فقد أصبح سيد قطب من كبار المعارضين للحكومة في وجهة نظرهم، والتي بسبب تلك الأفكار الإسلامية الخالصة دفع حياته ثمناً لها ولقي ربه..[41].

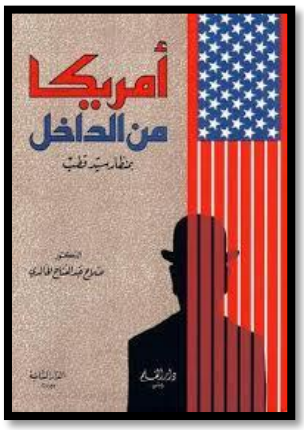

(الأستاذ سيد قطب الأول من اليمين)

[41] راجع: **سيد قطب سيرة ذاتية** ص33-39، و**سيد قطب خلاصة حياته**، ص9 فما بعد، و**سيد قطب حياته وأدبه**، ص 32-42.

انضمام سيد قطب إلى جماعة الإخوان المسلمين[42]

كان لمرشد ومؤسس جماعة الإخوان الشيخ الأستاذ حسن البنّا [43] رحمه الله تأثير كبير وبالغ على حياة وفكر الأستاذ سيد قطب، لقد أعجب سيد قطب بحسن منهجه وبراعة تربيته وبناء الشخصية

---

[42] لمعرفة تفاصيل تاريخ انضمام سيد قطب إلى جماعة الإخوان راجع: **سيد قطب الأستاذ الحي**، :132 فما بعد، وانظر الموسوعة الإخوانية:
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title، وإنني أود أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لشبكة الإخوان المسلمين للمعلومات المتوفرة وبعض الصور الرسمية التي استعنت بها في رسالتي للتوثيق العلمي، فأنا لهم شاكر ومقدر.

[43] ولد الشيخ المربي **حسن بن عبد الرحمن البنا** سنة 1906 م في المحمودية قرب الاسكندرية، واستشهد في عام 1946 م مؤسس جمعية (**الإخوان المسلمين**) بمصر. تخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة واشتغل بالتعليم وتنقل في بعض البلدان متعرفاً إلى أهلها مختبراً طباعاتهم وعاداتهم واستقر مدرساً في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفراداً صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه لإعلاء كلمة الإسلام، واختار لنفسه لقب: **المرشد العام**، وبادروا إلى إعلان الدعوة بالدروس والمحاضرات والنشرات وانفرد هو بزيارة المدن الأخرى، ثم كان يوجه بعض ثقته في رحلات فأصبح له في كل بلد سعى إليه دار، وكان الإسماعيلية مركز قيادة الدعوة.لم يقتصر على دعوة الرجال فأنشأ في الإسماعيلية معهد أمهات المؤمنين لتربية البنات تربية إسلامية صالحة. لقي إقبالاً على دعوته وعظم أمر الإخوان، وناهز عددهم نصف مليون، وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن السياسة، فقام الشيخ في إحدى خطبه الكثيرة قائلاً بأن الدين الإسلامي **هو عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون**..شارك الإخوان المسلمون في حرب فلسطين

المسلمة – في إعداد الإخوان الذين كان يدربهم على فهم أبعاد الدعوة إلى الله– بناء متوازناً يجمع الروح والعلم والحركة من جهة وبين المدارس الإسلامية المتخصصة كالصوفية والسلفية والمذهبية من جهة، وفي البناء التنظيمي للجماعة وقد كان هذا البناء هو الأول من نوعه بالنسبة للعمل الجماعي المتجسد في صورة حزب إسلامي[44].

فكانت كتيبة الإخوان فيها من أنشط الكتائب المتطوعة..لم يمض وقت طويل على الشيخ **حسن البنا** حتى تصدى له ثلاثة أشخاص وهو أمام مركز جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ليلاً فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا، ولم يجد البنا من يضمد جراحه فتوفي بعد ساعتين. كان رحمه الله خطيباً فياضاً، ينحو منحى الوعظ والإرشاد في خطبه، وتدور آيات القرآن على لسانه منظماً، يعمل في هدوء واطمئنان. له مذكرات نشرت بعد وفاته، وكتب في سيرته.. انظر: **الأعلام**، ج 2 –ص 183-184. وانظر لمعرفة للمزيد عن الإمام البنا وحركته ونشاطات الحركة..: د/ علي عبد الحليم محمود: **منهج التربية عند الإخوان المسلمين**–دراسة تحليلية – المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1-1992-ج1:ص:10 -27، فإن هذا الكتاب أحسن ما ألف في تاريخ الجماعة.

[44] توفيق بركات، **سيد قطب خلاصة حياته**،ص 16-17، و انظر: **الأعلام** للزركلي، ج2، ص-184، وانظر المقدمة التي كتبها الشيخ أبو الحسن الندوي لكتاب: **مذكرات الدعوة و الداعية**، بقلم الإمام الأستاذ: حسن البنا، الزهراء للإعلام العربي القاهرة، 1990، وانظر: **رسالة إلى الدعوات الإسلامية**، لـ: جمال البنا، شقيق الأستاذ،ص 15-16، دار الفكر الإسلامي، ط – 1991، القاهرة.

وتذكر بعض المصادر الأخرى أن سيد قطب قبل سفره إلى أمريكا ألف كتابه المشهور: (**العدالة الاجتماعية في الإسلام**) وكان قد أهدى نسخة من هذا الكتاب إلى الإخوان. ويبدو لي إن هذا التصرف من سيد قطب كان بمثابة وضع اللبنة الأولى فيتأسيس علاقته مع الإخوان فيما بعد[45].

هناك حدثان بارزان جعلا سيد قطب يفكر في الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين – بعد أن يئس منهم كما قال ذلك هو بنفسه [46] – الحدث الأول: أنه أثناء وجوده في أمريكا أشيع خبر اغتيال زعيم الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا في 1948/2/12 م، مما جعل الشعب الأمريكي يفرح فرحة شديدة لم يكن لها مثيل من قبل..والحدث الثاني:كان هناك رجل من المخابرات البريطانية اسمه: **James Heyworth Dunne**، وكان هذا يحذر سيداً من جماعة الإخوان، وأن الإخوان وحدهم يقفون حاجزاً أمام تقدم الحضارة الغربية في الشرق..[47].

فهذان الحدثان حركا مشاعر سيد قطب لدراسة فكر حسن البنا بتعمق وجدية أكبر، وأثارا اهتمامه بحركة الإخوان كتنظيم وحاجة ضرورية للدفاع عن الإسلام. فعندما عاد سيد قطب من أمريكا استقبله وفد كبير من الإخوان استقبالاً حاراً [48] مما كان له الأثر الكبير في مشاعره تجاه الإخوان، ولكنه إلى هذه اللحظةلم يكن قد انضم إلى

---

[45] عبد الباقي محمد حسين، **سيد قطب حياته و أدبه**، ص 39.

[46]انظر: **سيد قطب الأستاذ الحي**: ص-135.

[47]راجع المراجع السابقة للمزيد في نفس الصفحات، وكذلك انظر: **سيد قطب سيرة ذاتية**، ص-23، وانظر كذلك: (**سيد قطب الشهيد الحي**)، ص-136فإن فيه كلاماً في غاية الأهمية.

[48] **سيد قطب حياته و أدبه**، نقلاً عن **المجلة الكويتية**، أغسطس 1974م، ع 215-ص7، وانظر: أحمد صلاح الدين الموصللي (**الفكر الإسلامي المعاصر**)، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر، 1990، ص: 26 – 27.

جماعتهم بشكل رسمي. وهذا التقرب أخذ يزداد يوماً بعد الآخر عندما بدأ سيد قطب يكتب في مجلة (**الدعوة**) الإخوانية منذ فبراير 1951م إلى أن دعي في أوائل 1953 ليشارك في تشكيل الهيئة التأسيسية للجماعة تمهيداً لتولية الإشراف على إدارة الدعوة وهي إحدى الإدارات المركزية بالمركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة. وفي عام 953 م عين سيد قطب رئيساً لتحرير المجلة الأسبوعية للإخوان المسلمين التي منعت من الصدور عام 1954.

(الأستاذ حسن الهضيبي على غلاف مجلة الدعوة الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين)

مؤلفاته و آثاره:

خلف الأستاذ سيد قطب رحمه الله مكتبة ضخمة من المؤلفات المنشورة وغير المنشورة ومئات المقالات المنشورة في الصحف والجرائد والمجلات ما تعد مكتبة ضخمة للأجيال القادمة من بعده. وفي هذه الثروة الضخمة لأكبر دليل على سعة علم الرجل وثقافته. ويمكن تقسيم هذه الثروة العلمية الغالية باعتبار المراحل والتطورات الفكرية التي مر بها هذا العَلَم في حياته، إلى مرحلتين:

الأولى: كتب ومؤلفات ما قبل انتسابه إلى الإخوان المسلمين، أو قبل تفرغه للكتابات الإسلامية.

الثانية: كتب ومؤلفات ما بعد انتسابه إلى الإخوان المسلمين، أو بعد تفرغه للكتابات الإسلامية تفرغاً كاملاً.

في الحقيقة هذه مسألة مهمة للغاية لابد من وضعها في عين الاعتبار، لأن معرفة مؤلفات المؤلف حسب التسلسل التاريخي مهم جداً لكي تلاحظ التطورات الفكرية عند المؤلف ولمعرفة عما إذا قد مر في مراحل مختلفة، والذين يكتبون عن سيد قطب يغضون الطرف عن هذا الجانب التاريخي من حياة المؤلف، ومن ثم يقعون في التفسيرات الخاطئة لأفكار الأستاذ سيد قطب.

وهذه المسألة لها علاقة جزئية أيضاً بموضوع رسالتي، فكان لزاماً علينا التعرض إلى هذه القضية، لأني بصدد دراسة فكره ومنهجه الدعوي، وخير من بسط القول في هذا هو الأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي –وغيره أيضاً – حفظه الله في كتاباتهم عن الأستاذ سيد قطب، فجزاه الله خيراً عن هذا العمل العظيم الذي قدمه للصحوة الإسلامية وللدعاة والأئمة والخطباء وللأجيال القادمة وللمشككين في فكر وعقيدة الأستاذ سيد قطب رحمه الله. فلأجل هذا فليعذرني القارئ الكريم على الإقتباس مما كتبه، مع تعليق يسير على ذلك. يقول الأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله:

"وقد عانيت كثيراً في ترتيبها على هذا الأساس، وبهذه المناسبة أقرر أن دور النشر العديدة التي نشرت هذه الكتب –سواء بطريق مشروع أو غير مشروع– وقعت في خطأ فاحش، وهو عدم إشارتها إلى تاريخ الطبعة الأولى عند إعادة طبعه وذلك حتى يكون القارئ على بينة، وحتى لا يقع الباحث في حيرة. لأن أفكار الكاتب في تطور فقد يسجل رأياً في الكتاب، ثم يتخلى عنه في طبعة لاحقة له. والتطور أبرز ما

يكون في أفكار سيد قطب ولا يعرف هذا إلا بتصنيف كتبه على هذا الأساس. وأنصح لكل من يريد أن يقف على التطور في أفكار سيد قطب أن يرتب كتبه ومقالاته حسب صدورها!!"[49].

تبدأ مؤلفات المرحلة الأولى من عام 1933م –1948م، فما بعد ذلك يعتبر في المرحلة الثانية، كما ذكرها الأستاذ الخالدي ورتب كتبه حسب صدور تاريخها وطبعاتها بهذا الترتيب، ورأيت من الفائدة العلمية أن تكون مجُـدْولة على هذا النحو:

	عنوان الكتاب	تعريف بالكتاب
1	**مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر**	في الأصل كانت محاضرة ألقاها في دار العلوم، و قد طبع سنة 1933م.
2	**الشاطئ المجهول**	وهو أول ديوان له، وهو الأخير!! طبع 1935م
3	**نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر**	لـ: طه حسين، وعندما أصدر كتابه هذا قامت ضجة كبيرة لأن الدكتور طه حسين كان جريئاً في عرض آرائه التي تدعو إلى اعتبار مصر جزئاً من الحضارة الغربية.. سنة 1937م.
4	**التصوير الفني في القرآن**	وهو أول كتاب إسلامي له، وبه تعرّف إلى القرآن وهو أساس مكتبته القرآنية، ولولا هذا الكتاب ما عرفنا كيف يتكون مسيرة سيد قطب المستقبلية..صدرت طبعته الأولى سنة 1945م.
5	**الأطياف الأربعة**	ألفه بتعاون مع أخيه وأختيه، صدرت طبعته الأولى 1945م عن لجنة النشر للجامعيين.
6	**طفل في القرية**	وهو قصة طفولة سيد قطب، أصدرته لجنة النشر للجامعيين عام 1946م، وأهدى الكتاب إلى الدكتور طه حسين

[49] الخالدي، **سيد قطب الأستاذ الحي**، ص: 219 –220 .

		صاحب كتاب (**الأيام**) وكان سيد قطب معجباً بكتاب طه حسين إلى حد كبير، كما كان معجباً بكتاب توفيق الحكيم (**يوميات نائب في الأرياف**) وعلى منوالهما نسج كتابه.
7	**المدينة المسحورة**	ألفه عام 1946م، وهي قصة خيالية رمزية ألفها على غرار قصة (**ألف ليلة و ليلة**).
8	**كتب وشخصيات**	هو ثالث كتاب نشره عام 1946م، إذ سبقه طفل في القرية والمدينة المسحورة، وقد أهدى كتابه إلى الأدباء والشعراء والقصاصين والباحثين الذين نقد أعمالهم الأدبية.
9	**أشواك**	وهو قصة حب رومانسية، ظهر في مايو 1947م، وقد سجل فيها بأسلوبه الأديب الرفيع وموهبة القصاص المصور حوادث قصة حب حقيقية، بينه وبين فتاة قاهرية أحبها من كل قلبه
10	**مشاهد القيامة في القرآن**	صدرت طبعته الأولى في إبريل عام 1947م وهو الكتاب الثاني في مكتبة القرآن، وقد ألفه على طريقة (**التصوير الفني في القرآن**).
11	**روضة الطفل**	سلسلة ألفها سيد قطب بالاشتراك مع أمينة السعيد ويوسف مراد، وأصدرتها دار المعارف بمصر.
12	**القصص الديني**	سلسلة قصص دينية ألفها للأطفال بالاشتراك مع عبد الحميد جودة.
13	**الجديد في اللغة العربية**	وقد ألفه بالاشتراك مع آخرين ويبدو أنه كتاب منهجي قررته وزارة المعارف على المدارس كمنهج دراسي للغة العربية.
14	**الجديد في المحفوظات**	ألفه مع آخرين، وهو كتاب منهجي آخر، وهذه الأربعة كتب تربوية تتعلق بالتعليم ولم يتمكن الخالدي من معرفة موضوعاتها.
15	**النقد الأدبي أصوله ومناهجه**	أصدره في يونيو 1948م، وهو الكتاب النقدي الرابع والأخير له.

16	**العدالة الاجتماعية**	ألف كتابه هذا قبل إيفاده إلى آمريكا، وقبل سفره عهد إلى شقيقيه محمد قطب بمهمة طبعه، وقد صدرت طبعته الأولى في إبريل 1949م، وهو أول كتاب له في الفكر الإسلامي، ولهذا الكتاب طبعات أخرى مصححة ومنقحة من قبل الأستاذ سيد نفسه رحمه الله. والكتابان الإسلاميان اللذان سبقاه وهما (**التصوير الفني في القرآن**) و(**مشاهد القيامة في القرآن**) كتابان أدبيان، عني فيهما ببيان طريقة القرآن في التعبير و الوقوف على خصائص أسلوبه
17	**معركة الإسلام والرأسمالية**	انقطع سيد قطب عن التأليف لمدة عامين بسبب ذهابه إلى أمريكا وعندما عاد إلى مصر وجد الأوضاع الاجتماعية والسياسية تزداد سوءاً، وفي هذه الفترة تعرّف إلى جماعة الإخوان المسلمين وانخرط في صفوفهم، وفي فبراير سنة 1951م ألف كتابه هذا.
18	**السلام العالمي والإسلام**	صدر في أكتوبر عام 1951م، عن دار الكتاب العربي بالقاهرة.
20	**في ظلال القرآن**	عندما ألف سيد قطب كتابه (**التصوير الفني في القرآن**)عام 1945م كانت إحدى أمانيه في ذلك الوقت أن يعرض القرآن كله في ذلك الضوء، وأن يتناوله سورة سورة وآية آية ...وبقيت هذه الأمنية في شعوره فترة من الوقت طويلة، وفي ديسمبر (كانون أول)1951م أصدر سعيد رمضان مجلة (**المسلمون**) وكانت مجلة شهرية فكرية وطلب سعيد رمضان من سيد قطب أن يشترك فيها بمقال شهري وأبدى رغبته أن لو كان هذا المقال في موضوع مسلسل أو تحت عنوان دائم، وفي هذا الوقت ظهرت رغبة سيد قطب الكامنة، وقفزت إلى ذهنه فصار يفسر القرآن تحت عنوان دائم (**في ظلال القرآن**)، ثم أعلن عن إيقاف هذه الحلقات

		لأنه وعد القراء بتأليف التفسير وطبعه مستقلاً في ثلاثين جزءا على التتابع، وفعلاً ظهر الجزء الأول من (**الظلال**) في أكتوبر عام 1952م[50].
21	**دراسات إسلامية**	صدرت طبعته الأولى عن مكتبة لجنة الشباب المسلم عام 1953م والكتاب عبارة عن مقالات مختلفة كتبها سيد قطب ونشرها في المجلات المختلفة.
22	**هذا الدين**	بعد أن أُدخِل (**الإخوان المسلمون**) في سجون عبد الناصر ولاقوا صنوف التعذيب والعذاب..فَقَدَ البعض منهم الثقة بنفسه أولاً وبهذا الدين وقدرته على مواجهة الجاهلية ثانياً، أدرك سيد قطب ما يعانيه إخوانه وهو القائد المربي، فألف كتابه هذا يبين فيه خصائص هذا الدين، وأنه منهج للبشر وأن الله قادر على أن ينصره بجنود من الملائكة، ولكنه شاء أن ينتصر هذا الدين بجهود المخلصين من البشر لحكم كثيرة، كما أن هذا الكتاب يعتبر مرحلة فكرية جديدة عند سيد قطب وأسلوبه وهو بداية اتجاهه الإسلامي الحركي.
23	**المستقبل لهذا الدين**	وهذا الكتاب يكمل مهمة الكتاب السابق (**هذا الدين**) فبعد أن أعاد ذلك الكتاب الثقة في نفوس العاملين، بين في هذا الكتاب أن المستقبل لهذا الدين لأنه منهج شامل وكامل ويلبي كافة الحاجات الإنسانية، ولا يوجد دين آخر يؤدي هذه المهمة.
24	**خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**	خصصه للحديث عن العقيدة الإسلامية وخصائصها،والكتاب يقع في قسمين، ولقد أمضى سيد

[50] انظر التفاصيل في تاريخ كتابة الظلال داخل السجن وخارجه في: **سيد قطب الأستاذ الحي** للخالدي، ص :241-245.

		قطب وقتاً طويلاً وهو يبحث ويدرس حتى أخرج هذا الكتاب، بقي في تأليفه من عام 1951م-1961 م.[51]
25	**الإسلام ومشكلات الحضارة**	ألف كتابه هذا ليعطي البشرية العلاج الناجع ويعرّفها على الدواء الشافي، ويدعوها إلى الإقبال على الإسلام لتحل كافة مشكلاتها.
26	**معالم في الطريق**	وهو آخر مؤلفاته المطبوعة، إذ سيق سيد قطب وإخوانه إلى السجن بعد ظهور الكتاب بفترة قصيرة جداً، وهو الذي عجل في إصدار حكم الإعدام على صاحبه، وكان الطغاة يسألون المعتقلين في التحقيق عن قراءتهم للكتاب..."

ثم قال الأستاذ الخالدي في نهاية هذا المطاف:

"هذه هي الكتب الخمسة والعشرين التي طبعها سيد قطب في حياته.."[52].

وهناك كتب ظهرت بعد استشهاده وظن القراء أنها كتب ألفها سيد قطب وأنه أخرجها بهذا الشكل، والأمر ليس كذلك، إنما هي مجموعة من الخواطر والأفكار خطرت في ذهن سيد قطب وهو في أمريكا في الفترة ما بين عامي 1949م و1951م سجلها في رسائل خاصة إلى أخيه وأختيه وأصدقائه في مصر وغيرها، والبعض الآخر

[51] والمؤلف صلاح عبد الفتاح الخالدي أشار في كتابه أنه ظهر من هذا الكتاب القسم الأول فقط، ولعل الزمن الذي كتب الخالدي كتابه هذا كان في فترة مبكرة في الثمانينات، أما الآن فقد ظهر القسم الثاني من الكتاب وهو موجود بين يديَّ ، وانظر أيضا: **منهج سيد قطب في ظلال القرآن** – رسالة الدكتوراه – أسماء بنت عمر حسن فدعق، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1416 هـ ج1، 91 – 100،

[52] انظر الخالدي،صلاح عبد الفتاح:**سيد قطب الأستاذ الحي**،ص:251.

هي مقالات كتبها في المجالات المختلفة، ثم إن دور النشر وضعت لها أسماء مختلفة، ومن هذه الكتب:

1	**أفراح الروح**	1951- 1949
2	**نحو مجتمع إسلامي**	1951- 1949
3	**في التاريخ فكرة و منهاج**	1951- 1949

ومن الكتب التي اقتبست من التفسير (**في ظلال القرآن**) ثم وضعت لها عناوين جدد بقصد التجارة والترويج:

1	**معركتنا مع اليهود**	1951-1949
2	**تفسير سورة شورى**	1951-1949
3	**تفسير آيات الربا**	1951-1949
4	**قصة آيات الدعوة**	1951-1949
5	**إسلام أو لا إسلام**	1951-1949
6	**إلى المتثاقلين عن الجهاد**	1951-1949
7	**رسالة الصلاة**	1951-1949

ومن البحوث والمقالات التي لم يقدر لها أن ترى النور هي:

1	**مهمة الشاعر في الحياة**	1951-1949
2	**دراسة عن شوقي**	1951-1949
3	**المراهقة أخطارها وعلاجها**	1951-1949
4	**المرأة لغز بسيط**	1951-1949
5	**المرأة في قصص توفيق الحكيم**	1951-1949

6	**أصداء الزمن**	1951-1949
7	**الكأس المسمومة**	1951-1949
8	**قافلة الرقيق**	1951-1949
9	**حلم الفجر**	1951-1949
10	**القطط الضالة**	1951-1949
11	**من أعماق الوادي**	1951-1949
12	**المذاهب الفنية المعاصرة**	1951-1949
13	**الصور و الظلال في الشعر العربي**	1951-1949
14	**القصة في الأدب**	1951-1949
15	**شعراء الشباب**	1951-1949
16	**القصة الحديثة**	1951-1949
17	**عرابي المفترى عليه**	1951-1949
18	**الشريف الرضي**	1951-1949
19	**لحظات مع الخالدين**	1951-1949
20	**أمريكا التي رأيت**	1954

وقال الأستاذ الخالدي إن سيد قطب كان راغباً في إصداره إلا أنه عندما اعتقل في عام 1954م عهد بمسودة البحث المخطوطة إلى أحد معارفه ليخفيه ريثما تستقر الأحداث وتنتهي الأزمة. إلا أن الرجل أحرق المخطوطة عندما اشتدت الاعتقالات ضد الإخوان المسلمين..[53].

[53] انظر: **سيد قطب الأستاذ الحي**: ص 259-260، وقد صدر مؤخرا كتب بعنوان (**أمريكا من الداخل**) بتقديم الأستاذ عبدالفتاح صلاح الخالدي ولدي نسخة منه.

21	**القصة بين التوراة والقرآن**	1951-1949
22	**النماذج الإنسانية في القرآن**	1951-1949
23	**المنطق الوجداني في القرآن**	1951-1949
24	**الأساليب الفنية في القرآن**	1951-1949
25	**(معالم في الطريق) – (المجموعة الثانية).**	1951-1949
26	**في ظلال السيرة**	1951-1949
27	**في موكب الإيمان**	1951-1949
28	**مقومات التصور الإسلامي**[54]	1951-1949
29	**أوليات في هذا الدين**	1951-1949
30	**هذا القرآن**	1951-1949
31	**تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر**	1951-1949
32	**نحو مجتمع إسلامي**[55]	1951-1949

استشهاده:

استيقن الأستاذ سيد قطب أن جماعة الإخوان المسلمين، جماعة ذات مبادئ وأسس إسلامية أصيلة، هدفها إقامة حكم الله وشريعته على وجه الأرض، ورأى الأستاذ سيد قطب ضرورة الانتماء إليها، وفعلا انضم إليها كما رأينا وأصبح فيما بعد

[54] وهذا الكتاب مطبوع ومتداول بين أيدي القراء كما سبق.

[55] **سيد قطب الأستاذ الحي**، ص: 221- 261 ، بتصرف.

أحد البارزين فيها بعد استشهاد المؤسس الأول حسن البنا رحمه الله، وأصبح إماماً من أئمة الفكر الإسلامي في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية والعالمية[56].

(الحاجة حميدة قطب – شقيقة الأستاذ سيد قطب مع الحاجة زينب الغزالي ومجموعة من الإخوان المسلمين في المحكمة) [57]

وبدأ الصدام بقرار مجلس الوزراء في 1/13 /1954م، وبدأت سلطات عبد الناصر تسوق أعضاء الإخوان إلى السجون المصرية. تشير بعض المصادر إلى أن أول مرة اعتقل نحو 1000، وقدموا للمحاكمة [58]، وحكم على عدد منهم بالإعدام وكان من بينهم: الأستاذ حسن الهضيبي، والأستاذ عبد القادر عودة [59]رحمهم الله تعالى جميعاً

---

[56] محمد توفيق بركات، **سيد قطب خلاصة حياته**، ص 17، وعبد الباقي محمد حسين، **سيد قطب حياته و أدبه**، ص45، وانظر **رسالة إلى الدعوات الإسلامية**، ص : 17-18.

[57] **انظر لهذا المقطع النادر https://www.youtube.com/watch?v=olldvgOqaIw**

[58] وصح أيضا أنه في يوم واحد تم اعتقال 17.000(سبعة عشر ألفا) من أعضاء الإخوان في كافة أنحاء الدولة كما صرح به الأستاذ يحي حسين – القيادي في جماعة الإخوان المسلمين ومن تلاميذ الأستاذ سيد قطب ..شاهد هذا الفيلم الوثائقي: قصة معتقل..**https://www.youtube.com/watch?v=tnJwpAZI0Tc**

[59] الأستاذ الشهيد عبد القادر عودة هو محام من علماء القانون والشريعة بمصر. كان من زعماء جماعة الإخوان المسلمين. ولما أمر جمال عبد الناصر بتنظيم (**محكمة الشعب**)كتب الأستاذ نقداً لتلك المحكمة. وفي جملة ما ذكر أن رئيسها جمال سالم طلب من بعض المتهمين أن يقرؤوا له آيات من القرآن بالمقلوب. اتهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على جمال سالم **1954**م وأعدم شنقاً على الأثر مع بضعة متهمين آخرين. له تصانيف كثيرة منها: **الإسلام وأوضاعنا السياسية، التشريع**

– ونفذ فيهم الحكم عدا الهضيبي الذي خفف الحكم عليه إلى الأشغال الشاقة والمؤبدة [60]. وكان سيد قطب من بين هؤلاء المعتقلين بتهمة الإشتراك في محاولة قلب نظام الحكم – بالطبع زورا وبهتانا – وحكم عليه في عام 1954م بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً ذاق خلالها ألواناً من التعذيب والتنكيل الشديدين، ومع ذلك أخرج عدة أبحاث إسلامية من داخل السجن ولم ينقطع عن الدعوة والتأليف، أهمها: **هذا الدين، المستقبل لهذا الدين،** كما أكمل تفسيره: **في ظلال القرآن،** وأعاد تنقيح الأجزاء التي صدرت منه قبل السجن[61].

(الأستاذ سيد قطب جالسا، الرابع من اليمين)

الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، المال والحكم في الإسلام، الإسلام بين جهل أبنائه و عجز علمائه، وغيرها. انظر: **الأعلام** للزركلي: ج 4، ص 42.

[60] **سيد قطب حياته و أدبه،** ص:47.

[61] نفس المصدر.

وبعد الإفراج عنه بعفو صحي في مايو 1964م، وبعد تدخل الرئيس العراقي عبد السلام عارف[62] له، أعيد إلى السجن مرة أخرى لأنه كتب رسالة احتجاج إلى المباحث العامة عندما اعتقل أخوه محمد قطب في 1965/7/30م وقدم للمحاكمة مع الكثيرين من الإخوان، وأصدرت السلطات المصرية الحكم عليه بالإعدام مع سبعة من إخوانه ونفذ فيه الحكم بالإعدام في فجر الاثنين 13/جمادى الأولى/1386 (هجرية)، الموافق 1966/8/29م. وقال الأستاذ كلمته المشهورة بعد إصدار الحكم عليه: **"الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاماً من أجل الحصول على الشهادة."** [63] .

[62] عبد السلام أو محمد عبد السلام بن محمد عارف، ولد في بغداد من بيت تجاري في (1921م – وتوفي في 1966م) ثاني رئيس للجمهورية العراقية. كان إسلامي النزعة، حسن السيرة، يوصف بالورع، لا يشرب الخمر ولا يتعمد الظلم. فبينما هو عائد من دار البيضاء على متن الطائرة هلكوبتر، احترقت الطائرة، واختلفت الأقاويل فيها: احترقت أم أحرقت؟ له مذكرات نشرت بعد موته..**الأعلام للزركلي**: ج 4، ص9، بتصرف. رحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله بسبب شفاعته الحسنة في حق الأستاذ سيد قطب.

[63] انظر: **سيد قطب حياته و أدبه**، ص:47-48، وكذلك انظر: **سيد قطب سيرة ذاتية** 49، نقلاً عن **أيام من حياتي** لـ: زينب الغزالي ص: 182. وللمزيد حول منهج وفكر وعقيدة الأستاذ سيد قطب انظر هذه المقالات المهمة للغاية في:

وهكذا يغيب نجم من نجوم الدعوة والتفسير المضيئة والمتلألئة عن هذا الوجود، ويفقد العالم الإسلامي أحد أعلامه ودعاته، وأحد أبرز مفكريه، بسبب أنه قال ربي الله وأنه يجب علينا الإلتزام بشرعه ونزع الحاكمية من أيدي البشر وتفويضها إلى رب البشر، تمشياً مع مقتضيات قوله تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50]،

لقد خاض الأستاذ سيد قطب مع الإخوان المسلمين كل مراحل الصراع وعانى ويلات المحن المختلفة التي بدأت منذ عام 1954م إلى أن أُعدِم عام 1966، حيث لم يراعوا فيه إلاّ ولا ذمة، رحمه الله رحمة واسعة. لقد كان خير مثال للصبر والثبات والصمود أمام الباطل وأهله. إن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام عذبوا في سبيل إبلاغ الدعوة إلى الناس، وتحملوا أنواعاً من العذاب والإيذاء وعانوا من أجلها الكثير من الويلات واصناف العذاب، هذه هي سنة الله في أرضه مع صفوة خلقه، قال تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا**﴾ [الإسراء: ٧٧]. وقد قرر الأستاذ سيد قطب غير مرة في تفسيره وكتبه أن طريق الدعوة ليس مفروشاً بالزهور والرياحين، بل هو طريق مليء بالأشواك والعراقيل، فما على الدعاة وطلبة العلم الشرعي إلا الصبر والثبات والتوكل على الله، والصدق مع الله والإخلاص له جل وعلا في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعلنا الله من أمثاله ومن الذين لا يخشون أحداً إلا الله، وأن لا يأخذنا في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

http://vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VaZFX1-qqkp

(الأستاذ سيد قطب في المحكمة منتظرا حكم المحكمة)

وهذا القدر من الحديث كاف، إذ المقام لا يسمح أكثر من ذلك. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزي صاحب تلك المؤلفات خير الجزاء وأن يجعلنا الله من أمثاله وأن يبارك في حياتنا وفي أوقاتنا، وأن يسخرنا لخدمة هذا الدين مادياً ومعنوياً.

المبحث الثاني: أسس وقواعد فكر سيد قطب

إن الذي يقضى معظم حياته وجُل أوقاته مع كتب العلم، باحثاً عن الحقائق محرراً للمسائل، مصححاً للأخطاء، شارحاً لبعض القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية المختلفة، من البديهي أن أفكار هذا الباحث ستكون عرضة للتغير والتطور، وذلك بسبب وقوفه على مسائل جديدة وأفكار مختلفة، وأقوال متقاربة أو متباعدة، وهذا بالطبع سيؤدي إلى تحليلات جديدة وتبني آراء ومواقف جديدة؛ وهذا هو عين الإنصاف، هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه الداعية خاصة والمسلم عامة، وبالطبع هذا التغير في بعض الآراء والمواقف لا يقدح في شخصية الباحث أو الداعية،

بل إن ذلك يرفع من مقامه ويزيد من فضله ويدل على عمق فهمه وحسن استنباطه ورجاحة عقله.

هذا الذي حدث للأستاذ سيد قطب تماماً، فإنه رحمه الله مر بمراحل فكرية عديدة، وحدث في حياته ودعوته وكتاباته نقلة فكرية عجيبة[64]. هذا وقد حاول بعض الذين أرَّخوا عن الأستاذ سيد قطب أن يقسموا المراحل الفكرية التي مر بها رحمه الله إلى عدة مراحل منهم من قال أن هناك ثلاثة مراحل[65]، ومنهم من عدها أكثر من ذلك[66]. قال الأستاذ محمد توفيق بركات:

"..ونحن نستطيع – إجمالا – أن نقسم حياته الفكرية إلى ثلاثة أطوار:

1- طور ما قبل الاتجاه الإسلامي في التفكير بالمعنى الخاص لهذه الكلمة.

2- طور الإسلام.

3- الاتجاه الإسلامى العام، وهذان الطوران متداخلان إلى حد ما، فقد تحمل المرحلة الثانية بذوراً من المرحلة الأولى، والمرحلة الأولى لم تكن انقطاعاً كاملاً عن طور الاتجاه الإسلامي المحدد.." [67].

وهذه حقيقة ثابتة، فإن الذي يطلع على مؤلفات الأستاذ سيد قطب يجد ذلك بوضوح. وهذا لا يعني أنه في هذه المرحلة كان متخلياً تماماً عن روح الإسلام وآدابه وأوامره ونواهيه،ويمكننا القول بأنه في هذه المرحلة كان يطغى على مؤلفاته

---

[64] انظر: حسين، بن محمود: **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، ص 10- 25

[65] محمد توفيق بركات، **في كتابه سيد قطب خلاصة حياته، منهجه في الحركة، والنقد الموجه إليه**، ص :11 ، وانظر: **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، ص: 10-35

[66] صلاح الخالدي: **الشهيد الحي**: ص:132.

[67] محمد توفيق بركات، **سيد قطب خلاصة حياته**، ص-11.

الجانب الأدبي على بقية الجوانب. وأما المرحلة الثانية من حياته، فإن كتابه : (**العدالة الاجتماعية في الإسلام**)[68]، يمثل قمة هذه المرحلة فكرياً ودينياً.

ثم تأتي المرحلة الثالثة الأخيرة وكان قد كون لنفسه اتجاهاً محدداً مع انضمامه إلى جماعة الإخوان، ونضجت هذه الفكرة عنده قبل أن يسجن، وعندما سُجن ازداد ذلك واستوى أكثر، وبدأ داخل السجن يصدر كتباً مثل: (**في ظلال القرآن**)، (**هذا الدين**)، (**المستقبل لهذا الدين**)، وغير ذلك.

وبمعرفة هذه المراحل يتضح بأن عودة الأستاذ سيد قطب إلى الاهتمام بالكتابة عن الإسلام من جديد كان ذلك اصطفاء وهداية من الله تبارك وتعالى له من بين أقرانه في زمانه. ومروره رحمه الله بهذه المراحل لا يحط من قدره وفضله شيئاً كما يتوهم ذلك بعض الناس و يتهمونه بأن معارفه الإسلامية ضئيلة وضعيفة نظراً للمراحل التي مر بها ؟! وهذا الطعن في حق الأستاذ سيد قطب يرد جملةً وتفصيلاً على قائليه.

المطلب الأول: أسس وقواعد فكره

كان لدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله فهم أصيل ونظرة ثاقبة لهذا الدين وطبيعته، وكيفية تطبيقه وإنزال شرائعه على أرض الواقع. ومن خلال المطالعة والاستعراض لمؤلفات وكتب الأستاذ رحمه الله،يتضح بأن فهمه كان مبنياً على بعض

[68] عندما ألف رحمه الله هذا الكتاب تعرض إلى ذكر بعض المشاكل ومناقشة القضايا التي حدثت بين الصحابة، ونال لأجلها انتقاداً شديداً من العلماء. وليته رحمه الله لم يتعرض إلى تلك القضايا، غفر الله لنا وله.

الأسس والمبادئ، وأن هذه الأسس والمبادئ كانت بمثابة الحجر الأساس للقواعد والمعالم التي سيبني النتائج عليها فيما بعد.

وقد جاء فهمه هذا نتيجة لرؤيا منفردة، ونظرة ثاقبة وبعيدة، ودراسة متأنية وتحليل دقيق لنصوص الشرع (الكتاب والسنة). وقد عاش صاحبه طويلاً في ظلال القرآن كما قرر هو ذلك غير مرة في تفسيره :(في ظلال القرآن) وكتبه الأخرى.

" الحياة **في ظلال القرآن** نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله.. لقد منَّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشت أسمع الله – الله – يتحدث إلي بهذا القرآن.. أنا العبد القليل الصغير.. أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل ؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ؟

وعشت – **في ظلال القرآن** – أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال.. كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال. ولثغة الأطفال.. وأعجب.. ما بال هذا الناس ؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل. النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه ؟

عشت أتملى – **في ظلال القرآن** – ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود.. لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني.. وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية، في شرق وغرب، وفي شمال وجنوب.. وأسأل.. كيف

تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء ؟

وعشت – في ظلال القرآن – أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملى عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها. وأقول في نفسي:أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم ؟ يا حسرة على العباد !!!

وعشت – **في ظلال القرآن** – أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه.. إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده. وإنه الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها.. والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاول كله إنما هو قسط من ذلك النصيب. وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع. على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مأنوس، وعالم صديق ودود. كون ذي روح تتلقى وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[الرعد: ١٥]..﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]..أي راحة، وأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح ؟

وعشت – **في ظلال القرآن** – أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد..إنه إنسان بنفخة من روح الله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[الحجر:٢٩]،.. وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[البقرة: ٣٠]: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]..ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة. جعلها آصرة العقيدة في الله..فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج !..

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان. إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى، ومحمد..عليهم الصلاة والسلام..وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.. هذا الموكب الكريم، الممتد في شعاب الزمان من قديم، يواجه – كما يتجلى **في ظلال القرآن** – مواقف متشابهة، وأزمات متشابهة، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكر الدهور، وتغير المكان، وتعدد الأقوام. يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى، والاضطهاد والبغي، والتهديد والتشريد. ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير، واثقا من نصر الله، متعلقا بالرجاء فيه، متوقعا في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم:14]..موقف واحد وتجربة واحدة. وتهديد واحد. ويقين واحد. ووعد واحد للموكب الكريم.. وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف. وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد"[69].

إن الهدف الأكبر والغرض الأساس من عرض هذه المقدمات والمبادئ والنظريات لهذه الشخصية البارزة، هو تمهيد الطريق أمام القارئ الكريم حتى يتضح

[69] مقدمة التفسير **في ظلال القرآن** : **http://mosshaf.com/main**

منهجه في فهمه وتعامله مع نصوص القرآن من خلال الدراسة لمنهجه وفهمه للآيات القرآنية التي تتحدث عن الدعوة (في سورة الأنعام)، الذي هو محور الرسالة.

هذا، وقد آثرت ترتيب هذه الأسس والمقدمات والنظريات على شكل نقاط وعناوين جانبية ليتضح فكر الأستاذ سيد قطب ويتبين أبعاده الدينية، مستدلاً من كتبه ومؤلفاته ما تيسر منها مع التركيز على تفسيره لسورة الأنعام.

ولا بد هنا من إيضاح نقطة مهمة في هذا الصدد للقارئ الكريم، بأن الأستاذ سيد قطب رحمه الله امتاز بمنهج فريد، سماه هو بنفسه: **بالمنهج الحركي أو الديناميكي**. يقول الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه:**مفاتيح للتعامل مع القرآن الكريم**: ".. إننا ننادي بما نادى به أستاذنا سيد قطب، بنظرية جديدة لفهم القرآن وتدبره وتفسيره، ألا وهي نظرية (**التفسير الحركي**) ونعتبر الأستاذ سيد قطب هو الرائد لها والموضح لأسسها، والمؤسس لمدرسة (**التفسير الحركي**) التي قدمت القرآن حياً فاعلاً مؤثراً للمسلمين المعاصرين، وهو الذي وضع الله سبحانه بين يديه مفتاحاً أصيلاً هو (**المفتاح الحركي**) الذي فتح به كنوز القرآن، وقدمها للناس في الظلال .." [70].

وقد قرر هذا المعنى الأستاذ سيد قطب نفسه في أماكن عديدة من مؤلفاته. قال رحمه الله فيكتابه : (**خصائص التصور الإسلامي**–الجزء الأول):

".. إن – المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن وإيحاءاته—ليس هي في فهم ألفاظه وعباراته، ليس هي تفسير القرآن —كما اعتدنا أن نقول! — المسألة ليست هذه؛ إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب: تشابه المشاعر

[70] الخالدي ،صلاح عبد الفتاح ،**مفاتيح للتعامل مع القرآن** ، دمشق ، دار القلم —ط 2 –1994، ص: 57-58.

والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك...معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس...جهاد الشهوات وجهاد الأعداء... والبذل والتضحية، والخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض...جو مكة والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس. جو الشِّعب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله...ثم جو المدينة:جو النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق والتنظيم والكفاح...جو بدر وأحدوالخندق والحديبية..وجو الفتح وحنينوتبوك وجو نشأة الأمة المسلمة، نشأ نظامها الاجتماعي، والاحتكاك الحي بين المشاعر والمصالح والمبادئ في ثنايا النشأة وفي خلال التنظيم. في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية...كان للكلمات وللعبارات دلالاتها وإيحاءاتها..وفي مثل هذا الجو الذي يصاحب محاولة استئناف الحياة الإسلامية من جديد، يفتح القرآن كنوزه للقلوب، ويمنح أسراره، ويشع عطره، ويكون فيه هدى ونور.." [71] .

لكي يلاحظ هذا الأساس بوضوح أكثر ولكي نفهم حقيقة الإسلام وكيفية تطبيقه وطبيعة حركته وتأثيره في الناس وكيفية استجابتهم لنداءاتها، فلنقرأ من كتابه المشهور: (**معالم في الطريق**) هذه الفقرات:

".. ولكن الإسلام لا يملك أن يؤدي دوره إلا أن يتمثل في مجتمع، أي أن يتمثل في أمة. فالبشرية لا تستمع – وبخاصة في هذا الزمان – إلى عقيدة مجردة، لا ترى مصداقها الواقعي في حياة مشهودة...إن البشرية لا تستجيب عادة لمنهج مقروء أو مسموع ...إنما تستجيب لمنهج حي متحرك، مجسم،ممثل في جماعة من البشر،

[71] قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي**–الجزء الأول–بيروت، دار الشروق، بلا تاريخ ص:7–8، وانظر تفسيره: **في ظلال القرآن**، ج 3 –ص 1559 –1560 ، وانظر: **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص: 94–102.

مترجم إلى واقع تراه العين وتلمسه اليد وتلاحظ آثاره العقول ... وألف كتاب عن الإسلام، وألف خطبة في مسجد أو قاعة أو ميدان، وألف فيلم في الدعاية للإسلام، وألف بعثة من الأزهر أو غير الأزهر في كل مكان..كل أولئك لا يغني غناء مجتمع صغير، يقوم في ركن من أركان الأرض، يعيش بمنهج الإسلام، ويعيش لمنهج الإسلام، وتتمثل في خصائص هذا المنهج، وتتمثل في صورة الحياة في الإسلام ..." [72].

يتضح مما سبق أن الأستاذ سيد قطب استفاد من تجربته الدعوية من أن الكلام دون العمل لا يغني من الحق شيئاً، وأن الإسلام لم يأت لهذا الغرض لكي تختزن أفكاره وتتجمد تعليماته دون التطبيق العملي. ويؤكد الأستاذ هذا المعنى مرة أخرى قائلاً:

"..وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل متجددة .." [73].

يفهم من كلامه حقيقة حتمية واحدة وهي: أن الكفار كتلة واحدة وعضو واحد، فلا بد للإسلام أن يتمثل في نفس الشكل ونفس المضمون، قلباً وقالباً، بل

---

[72] قطب، سيد، **معالم في الطريق**: ص 4-5.

[73] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج10 – 170، ويقول في كتابيه: (**في ظلال القرآن**) ج: 7، ص: 89 – 90 ، و (**معالم في الطريق**) ص: 38 – 39 ، " ..إن القرآن لم يقض ثلاثة عشر عاماً كاملة في بناء العقيدة بسبب أنه كان ينزل للمرة الأولى .. كلا ! فلو أراد الله لأنزل هذا القرآن جملة واحدة، ثم ترك أصحابه يدرسونه ثلاثة عشر عاماً أو أكثر أو أقل حتى يستوعبوا "**النظرية الإسلامية**" ، ".. ولكن الله سبحانه كان يريد أمراً آخر،كان يريد منهجاً معيناً متفرداً،كان يريد بناء الجماعة وبناء الحركة وبناء العقيدة وأن يبني العقيدة بالجماعة والحركة، كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي هو صورة العقيدة، وكان الله –سبحانه –يعلم أن بناء النفوس والجماعات لا يتم بين يوم وليلة، فلم يكن بد أن يستغرق بناء العقيدة المدى الذي يستغرقه بناء النفوس والجماعة .."..

ومتفوقاً عليهم إذا ما أراد المسلمون لأنفسهم تحقيق ما أراد الله عز وجل، والنصرة والغلبة على الأعداء. وأما ما يخص مسألة الإيمان والعمل، العلم والعمل وأهمية ذلك في حياة المسلم والمجتمع الإسلامي، يظهر هذا الأساس القوي والمتين الذي انبنى نظريته الفكرية الحركية عليها فهو يقول مثلاً:

".. إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاّجات الأذهان الجامدة! .. إن "المعرفة" في هذا الدين تتحول لتوّها إلى "حركة" [74] وإلا ليست من جنس هذا الدين! .."كل هذا تأكيد وبيان للقضية التي مرت آنفاً، وهي أنه لا سبيل إلى التقدم والعزة والقوة إلا بالعمل والحركة. علينا أن نوظف هذه الآيات القرآنية توظيفاً كاملاً غير منقوص في حياتنا.

وعلل الأستاذ سيد قطب ذلك قائلاً بأن الله عزوجل بلطفه وكرمه أراد أن يعلِّم البشرية عامة والمسلمين خاصة بأن الأحكام الشرعية لم تنزل في العهد المكي لتختزن في الأفكار، ولكن لكي تطبق في ما بعد في المدينة المنورة، فيقول:

".. ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك،ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن –كمعرفة مجردة –

[74] قصد رحمه الله من لفظ (**حركة**): أن مجرد الإيمان الشفهي الظاهر غير كاف للمسلم؛ بل لابد من العمل الصالح، والعمل الصالح أبوابه كثيرة وميادينه عديدة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين والإحسان إلى الجار وغيرها، ويقول في (**خصائص التصور الإسلامي**) - (ص: 182 – 183): ".. وحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنون، ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان فليس الأمر مجرد مشاعر، وإنما هو مشاعر تفرغ في حركة لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة، أو وفق التصور الإسلامي للحياة..".

حتى يجئ وقت التنفيذ في المدينة! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً، في الإسلام المعرفة للحركة، رالعلم للعمل،والعقيدة للحياة ." [75].

ونظراً لكون هذه المسألة من القضايا المهمة في فكر وحياة المجتمع المسلم، تطرّق الأستاذ سيد قطب إلى بيان طبيعة القرآن المكي والقرآن المدني، وبيان الحكمة في الفترة الطويلة في العهد المكي، فيقول:

" .. وأصحاب الدعوة إلى دين الله، وإلى إقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة، ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً لتقرير هذه العقيدة ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها [76] إلى شئ من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها .." [77]

فكما هو ملاحظ أن السيرة النبوية العطرة لعبت دوراً كبيراً في تكوين فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله ومعارفه الدينية. ولقد توقف رحمه الله كثيراً في القضايا

---

[75] قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، بيروت، دار الشروق، ط 4 ،1993، ص: 24-25، وانظر كذلك: **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، لسيد قطب، بيروت، دار الشروق، ط 8 ،1983، ص : 10.

[76] إن هذه الشهادة الخالدة من الأستاذ سيد قطب لكافية في إبطال ودحض افتراءات الأعداء بأن فكره إرهابي أو هجومي أو متطرف..وانظر: **روائع الظلال**، رامي با عطية، ص 14-15.

[77] **معالم في الطريق**، ص : 21-22.

الأساسية وأولى اهتماماً بالغاً للأولويات الدينية قبل كل شيء، مبيناً بأن على الأمة الالتزام بمنهج القرآن الكريم في فهم وتطبيق هذا الدين[78].

لقد توقف طويلاً في العقيدة التي هي حجر الأساس في حياة الإنسان، وشرحه وبيانه لمعنى الألوهية والعبودية الحقة لله تعالى، وقضية الحاكمية المطلقة لله عز وجل في كل صغيرة وكبيرة من حياتنا، وموقف الإنسان في هذا الوجود، ومصيره النهائي. ويبين رحمه الله القيمة الكبرى في ميزان الله قائلاً:

"..إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة... وفي هذا الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم، وانتصرت على جواذب الأرض والحياة، وانتصرت على الفتنة بشرف الجنس البشري كله في جميع الأعصار..وهذا هو الانتصار .." [79].

وبعد أن أكد رحمه الله في أكثر من مرة موضع الالتزام بالمنهج القرآني في دعوتنا إلى الله تعالى، نبّه الأمة الإسلامية عامة والدعاة خاصة إلى قضية مهمة للغاية، وهي أن بناء المجتمع المسلم على الوجه المطلوب، لابد من ربط الدين بشؤون الدولة ولا يجوز الفصل بينهما، حيث قال رحمه الله :

".. ليس من طبيعة هذا الدين أن ينفصل عن الدنيا، وليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية..ركن ما يسمونه: الأحوال الشخصية.."[80]،

---

[78] **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :59.

[79] قطب، سيد، **معالم في الطريق**، ص: 170-171.

[80] قطب، سيد: **المستقبل لهذا الدين**، مبحث: – الفصام النكد –

وما أكثر الدعاة والعلماء الذين يطالبون بعدم فصل الدين عن الدنيا وما أكثر الحكام الذين يرفضون ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الأستاذ محمد حسين فضل الله: "جاء الإسلام لينشر دعوة ويبني دولة فقد انطلق في هذه الحياة لينشر دعوة الله في الأرض ويبشر بها، ويبني على أساسها دولة تكفل للحياة التنظيم والتوجيه وتحمي الإنسان من شرور نفسه وشرور أبناء جنسه. ولهذا لم تكن طبيعة الدولة في الإسلام منفصلة عن روح الدعوة ومجراها، بل هي منسجمة معها كما يلتقي مجرى النهر بمصبه.."[81].

إذن ليس الأستاذ سيد قطب بدعاً من الدعاة الذين نادوا إلى تحقيق وحدة هذا المبدأ – " **لا فصل للدين عن الدولة ولا للدولة عن الدين** " وإنما له إخوان آخرون يدعون إلى نفس الهدف السامي. وقد يقول القائل مالذي دفع الأستاذ إلى تأكيد هذه المسألة وما المبررات التي اعتمد عليها ؟!

نقول جوابا على هذا التساؤل المهم بأنه رحمه الله انتبه إليها – بحسه المرهف –حيث كان يرى الأولوية لدين الله في كل شيء، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً ومتبوعا لا تابعا ومهيمناً فيقول:

"كلا إن دين الله لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً. قوياً متصرفاً. عزيزاً كريماً. حاكماً لا محكوماً .قائداً لا مقوداً.."[82]. ويقول أيضا: "..قاعدة المنهج الرباني الصادر عن "**علم بدل الجهل** " و" **كمال بدل النقص**" و " **قدرة بدل الضعف**"

---

[81] فضل الله، محمد حسين، **أسلوب الدعوة...**، الزهراء للطباعة والنشر،ط4، 1982ص 32.

[82] قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988–مطبعة الفيصل، ص:93، ويراجع بتوسع فصل: ألوهية وعبودية في: **مقومات التصور الإسلامي**، ص:84-107-109-132-134.

و"**حكمة بدل الهوى**"، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.." [83].

والسبب الرئيسي الذي أوقف سيداً عند هذه القضايا الأساسية يرجع لمصلحتنا في الدنيا والآخرة، حتى نحقق لأنفسنا الإسلام الحق كما يريده الله تعالى. قال رحمه الله:

"..ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج ابتداء لنحقق لأنفسنا صفة الإسلام.."، ويقول: "..ونحن ملزمون بمحاولة تحقيق ذلك المنهج لأسباب تتعلق بالمنهج ذاته فهو وحده المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان ويمنحه الحرية الحقيقية ويطلقه من العبودية"[84].

إنني لا أبالغ إن قلت إن الأستاذ سيد قطب هو أحد الأساتذة العباقرة والأئمة المعتبرين المعاصرة في الدعوة إلى الله. لقد أدرك رحمه الله بأن هناك دعاة في الساحة الإسلامية من يستعجل ثمار الدعوة ونتائجها، وهناك من تسرب إلى قلبه الشك والاضطراب بسبب ما نراه اليوم من تكالب الأعداء والقوى السياسية العالمية قاطبة على ضرب الإسلام والمسلمين. لقد بشّر الأستاذ سيد قطب الدعاة الجدد والأئمة المعاصرين وطلبة العلم الشرعي بأن النصر قادم وسيكون للإسلام، وأن الله سينصر دينه لا محالة، وعلينا عدم الاستسلام مهما اشتدت التحديات وصعوبات المواجهة،

---

[83] المصدر السابق: ص- 8، و يراجع فصل: الربانية، في كتاب: **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته** للمؤلف، ص 43،وانظر المقدمة في: **نحو مجتمع إسلامي**، ص:5-13، ويراجع بتوسع فصل: تيه وركام، في: **خصائص التصور الإسلامي**، ص:22، وانظر: **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب**، ص: 92-100.

[84] انظر : **خصائص التصور الإسلامي**، ص:16، وص 22

كما أن علينا التأسى في كل ذلك بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رحمه الله:

"..ولا يجوز أن يتطرق إلى قلوبنا الشك بسبب ما نراه من حولنا من الضربات الوحشية التي تكال لطلائع البعث الإسلامي في كل مكان، ولا بسبب ما نراه من ضخامة الأسس التي تقوم عليها الحضارة المادية..إن الذي يفصل في الأمر ليس هو ضخامة الباطل، وليس هو قوة الضربات التي تكال للإسلام. إنما الذي يفصل في الأمر هو قوة الحق ومدى الصمود للضربات.."، "..إننا لسنا وحدنا، رصيد الفطرة معنا فطرة الكون، وفطرة الإنسان وهو رصيد هائل ضخم .." [85].

وهنا يلاحظ بوضوح إخلاص وثقة الأستاذ سيد قطب بربه عز وجل، وحجته القوية وملجأه الحقيقي في الضراء والسراء؛ اعتماده على كتاب الله وحده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يجب على كل داعية أن يتخلق بهذه الصفة وبهذا الخلق حتى يكون لكلامه تأثير وإقناع.

وقد يقول قائل: حسناً! أنّى لأستاذ سيد قطب هذه القوة الإيمانية وهذه الثقة العميقة ؟! لقد أجاب هو بنفسه رحمه الله عن هذا التساؤل قائلاً :

"وهذا يقين نستمده من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة .." [86].

إن قوة الفهم عند الأستاذ سيد قطب لحقيقة بنية المجتمع الاسلامي وكيفية نفخ الروح في هذا الهيكل الإنساني حتى يستوي ويتحرك ويعطي مفعوله وثماره، تدفعنا

---

[85] قطب، سيد؛ **المستقبل لهذا الدين**، مبحث ؛ رصيد الفطرة

[86] قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي** (القسم الثاني)، ص:24-25، بيروت، دار الشروق، ط 4،1993، وانظر **خصائص التصور الإسلامي** للمؤلف،دار الشروق،ط8 ،1983، ص:10.

إلى إدراك واتباع حقيقة واحدة لا ثانية لها: ألا وهي الاستنادة على طريقة وتجربة الصحابة رضوان الله عليهم في كيفية قراءتهم للقرآن الكريم.

وقد استفاد رحمه الله من تجربة الصحابة في طريقة قراءتهم للقرآن، وكيفية تفاعلهم معه، وهو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، حيث يقول الأستاذ:

"إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه .." [87].

إذن لا مناص ولا انفكاك من الرجوع إلى سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وسيرة السلف الصالح لكي نتعلم منهم كيفية قراءة وتدبر وتطبيق القرآن الكريم لكي نجد حلولاً للأزمات الفكرية والنفسية والاجتماعية والدينية ، لأن اليوم كثير من المسلمين ساء فهمم للقرآن الكريم ومن ثَمَّ ساء تعاملهم مع القرآن الكريم وكان أمرهم فُرُطاً، وضلوا عن منهج الصحابة ولا يهتدون إليه سبيلا.

لقد لاحظ الأستاذ رحمه الله أن بناء الإنسان في القرآن يقوم على قاعدة الفكر والاعتقاد وأن سلوكه وتصرفاته العملية هي الثمرة الطبيعية لإحكام هذا الجانب أو الأساس الفكري أو العقدي[88].

وحتى نرى مصداقية هذا الكلام، لنحلل شيئا من كلامه لكي يظهر لنا فكره جليامن أن بناء الإنسان لا يتم ولن يتم على قاعدة المال أوالجاه أوالمنصب أوالشرف، وإنما يتم بناءه على إصلاح عقيدته وفكره فقط.. قال رحمه الله:

"..فإن البناء الروحي والاجتماعي والسياسي، الذي قام على أساس هذا المنهج السامق الفريد والذي لم يستغرق بناؤه سوى قرن واحد من الزمان – بل ونصف

---

[87] قطب، سيد، **معالم في الطريق**: ص-19.

[88] زرزور، عدنان محمد، **مدخل إلى التفسير وعلومه**، دمشق، دار القلم –ط 1-1995،ص: 267.

قرن في الحقيقة – قد ظل يقاوم جميع الآفات التي تسللت إليه والعدوات التي ساورته وجميع الهجمات الوحشية التي شنت عليه...أكثر من ألف عام ...فما تزال هذه الأصول قادرة على البعث الجديد حين يعتنقها جيل جديد.." [89].

ويضيف رحمه الله مبيناً حاجة البشرية والقلوب إلى الله تبارك وتعالى، وأن الواجب على الدعاة إدراك وفهم ثم بيان طبيعة وخصائص الإسلام حتى يقتنعوا هم بأنفسهم أولاً ثم يقنعوا الآخرين ثانيا، وأن على المسلمين عامة والدعاة على وجه الخصوص إدراك حاجتهم إلى النظام الرباني الخالي من النقص والفساد، حيث قال رحمه الله مبينا هذه الحقيقة:

".. منهج حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها. منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني..ويشمل النظم والتنظيمات..كالنظام الأخلاقي..والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقته وارتباطاته.." [90]. وعقب رحمه الله قائلا:

".. إنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعة إلى الوئام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته

---

[89] قطب، سيد، **هذا الدين**، بيروت، دار الشروق، ص: 36-37. وانظر: رامي عمر باعطية، **روائع الظلال**، 135 -145 ، وللمزيد حول منهج وفكر وعقيدة وإنصاف الأستاذ سيد قطب انظر هذه المقالات والردود في غاية الأهمية على شبكة التفسير في:

http://vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VaZFX1-qqk

[90] قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص-3.

الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله جوعة إلى " اله واحد" يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء .. " [91].

ومن الأسس الفكرية والقواعد المنهجية التي لاحت لي، أنه رحمه الله:

قد توصّل إلى يقين جازم وحاسم، من أن البشرية كافة متجهة إلى الهاوية والجحيم وأنه لن يصلح آخر أمرها إلا بما صلح به أولها.

كما أن الشجاعة النادرة والإيمان الراسخ الذي كان يحيا بهما الأستاذ سيد قطب مما جعله لا يقيم وزناً لهذه الحياة الدنيا، وأنها بدت أمام عينيه صغيرة وحقيرة، فلأجل ذلك لم يكن يخش أحدا سوى الله عز وجل.. وهذا واضح جلي في كتاباته عامة وفي تفسيره في ظلال القرآن خاصة [92].

وبعد عرض وتحليل هذه النصوص للأستاذ رحمه الله تبين لنا بعض من معالم وأسس فكر هذا الداعية، وكيفية توصله إلى هذه الأفكار، وعلى أَيِّ أساس وَجَّهَ

[91] المصدر السابق: 68-69، وانظر فصل: ألوهية وعبودية، في **مقومات التصور الإسلامي**، ص: 101، وانظر: **نحو مجتمع إسلامي**، سيد قطب، ص29.

[92] انظر: رامي عمر با عطية، **روائع الظلال**، 153 -171.

نداءاته إلى الأمة الإسلامية عامة وإلى الدعاة والعلماء حملة لواء الإسلام خاصة، لكي يعودوا إلى هذا القرآن الحكيم الذي أرسله الله هداية ورحمة للناس أجمعين.

والآن بعد هذا البيان لأسس ومعالم فكر الأستاذ سيد قطب، يسهل علينا فهم فكره المستند إلى القرآن الكريم، ومن ثم استخلاص منهجه في فهمه لآيات الدعوة في القرآن الكريم. وهذا مما سنبينه في المبحث التالي إن شاء الله.

(الأستاذ سيد قطب واقفا أمام القضاة في المحكمة)

(الشهيد المحامي عبد القادر عودة رحمه الله يتوسط الحراس في المحمكة)

المبحث الثالث: منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره

ومما لا يختلف عليه اثنان أن تفسير الأستاذ سيد قطب "**في ظلال القرآن**" حظي باهتمام كبير في أوساط العلماء والمثقفين العرب وغير العرب، ومن المناسب في هذا المقام ذكر تقاريظ لبعض العلماء المعاصرين عن تفسيره مع ذكر بعض السمات وخصائص الظلال، ومن ثم الحديث عن منهجه العام الذي اتبعه في تفسيره ومنهجه الخاص في فهم آيات الدعوة.

أولاً : تقاريظ العلماء عن الأستاذ سيد قطب وتفسيره:

1- سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله حيث سئل في حلقة إذاعية في برنامج " **نور على الدرب** " ثم بثت الحلقة على الشبكة العنكبوتية – الإنترنت –، فقال ما ملخصه:

"..يا إخواني كتاب " **في ظلال القرآن** " ليس كتابا في التفسير؛[93] هو قال في ظلال القرآن، كأنه يقول للمسلمين هذا القرآن نظام الأمة، فعيشوا في ظلاله واستقوا من آدابه وانهلوا من معينه الصافي، وأقبلوا بقلوبكم على القرآن لتجدوا فيه

[93] ومع احترامنا الشديد لمعالي المفتي حفظه الله، إلا أنه لنا اعتراض على معالي المفتي حفظه الله على هذه الجملة – **بأن كتاب في ظلال القرآن – ليس كتاب التفسير!!** أقول إنه قد أثبتت البحوث والدراسات التفسيرية المعاصرة في عالم التفسير والمفسرين بأن الكتاب" **في ظلال القرآن**" كتاب تفسير منهجي بكل المعايير العلمية والمنهجية المتفق عليها، كما أنه كتاب دعوة إلى الله تعالى باتفاق المفسرين المعاصرين، إلا من لا يُعتدّ بقوله من عموم الدعاة والمثقفين! وأن الأستاذ سيد قطب قد توفرت لديه كافة الشروط والمؤهلات العلمية والثقافية والشرعية للمفسر المثالي، وله لون وطعم ومنهج خاص، فهو كتاب تفسير بلا نزاع، ومن قبيل السهل الممتنع، والله أعلم.

علاج مشاكلكم وحل قضاياكم وتفريج همومكم إلى آخره. والكتاب – **أي في ظلال القرآن** – له أسلوب عال، هذا الأسلوب الذي كتب به سيد كتابه قد يظن بعض الناس غالباً من بعض العبارات أن فيها شركا أو قدحا للأنبياء أن وأن...، ولو أعاد النظر في العبارة لوجدها أسلوبا أدبيا راقيا عاليا، لكن لا يفهم هذا الأسلوب إلا من تمرس بقراءة الكتاب...، والكتاب لا يخلو من ملاحظات وأخطاء، لكن في الجملة أن الكاتب كتبه من منطلق غيرة وحمية للإسلام، والرجل صاحب تربية وعلوم ثقافية عامة...، والأشياء التي أخطأ فيها عذره قلة العلم....، لكنه صاحب ثقافة عامة وعباراته أحيانا يفهم البعض خطأ لأن أسلوبه فوق أسلوب من يقرأه، فلو أعاد النظر لم يجد هذه الاحتمالات، وعلى طالب العلم أن يقرأ بعض المقاطع النافعة والمفيدة ولا يحمل الألفاظ فوق ما تحتمل ولا يسيء الظن وينبغي الانصاف والاعتدال والرجل استشهد أو قتل شهيدا رحمه الله، وله كتب كانت فيها أخطاء ثم تراجع عنها وعدل عن منهجه السابق..."[94]

[94] رجاء استمع إلى الحلقة على الرابط التالي في يوتيوب بعنوان: **مفتي السعودية سيد قطب صاحب جهاد وفكر و دعوة و قتل شهيدا https://www.youtube.com/watch?v=pE8mQwgMt8k**

2- تقريظ الأستاذ الشيخ مناع القطان رحمه الله

قال رحمه الله:

".. وبرز من رجال هذه الجماعة، العالم الفذ والمفكر الألمعي الأستاذ سيد قطب الذي فلسف الفكر الإسلامي، وكشف عن مفاهيمه الصحيحة في وضوح وجلاء . وقد لقي الرجل ربه شهيداً في سبيل عقيدته، وترك تراثه الفكري وفي مقدمته كتابه في تفسير القرآن، المسمى: **في ظلال القرآن**.."، و".. وهو بحق ثروة فكرية اجتماعية هائلة لا يستغني عنها المسلم المعاصر .."[95].

(الشيخ مناع القطان رحمه الله)

3- تقريظ الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور حفظه الله

يقول الأستاذ الدكتورحفظه الله:

".**الظلال** – إذن دليل عملي مكتوب إن صح مثل هذا التعبير – إلى المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية، وليس دليلاً ثقافياً لعلوم القرآن أو علوم التفسير أو علوم

[95] القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، القاهرة – دار غريب للطباعة والنشر، ط 5-1981، ص :334-335.

الثقافة الإسلامية من فقه أو أصول وتاريخ جدل أو خلا...حتى جاء تفسيره لكلام الله تعالى أشبه ما يكون بالجدول المنساب المترقرق الذي يأخذ طريقه إلى الحقول والمزارع وديعاً ساكناً مطمئناً...ليخرج نباتها الطيب بإذن ربها ولتنبت أجيال القرآن نباتاً حسناً تعيد سيرة أجيال القرآن الأولى إن شاء الله..ومن يدري؟ فلعل هذا القبول الذي كتبه المولى سبحنه لهذا التفسير يعود إلى هذا الذي ذكرنا وإلى أن سيداً رحمه الله قد كتب تفسيره مرتين: مرة بمداد العالِم، وأخرى بدم الأستاذ..**حروف القرآن نور.. ودماء الشهداء نور..** و"**ظلال القرآن" نور على نور..**" [96].

(أ.د. **عدنان محمد زرزور حفظه الله**)

4- تقريظ الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله

يقول الأستاذ".. فإن (**في ظلال القرآن**) من أهم التفاسير لكتاب الله تعالى، وإنه يمثل لوناً جديداً في التفسير ونقلة بعيدة فيه، وأساساً لمدرسة جديدة فريدة متميزة

[96] زرزور، عدنان محمد، **مدخل إلى تفسير القرآن و علومه**، ص :261-270 .

في التفسير هي مدرسة " **التفسير الحركي**"، وإن سيد قطب يقف بظلاله رائداً للفكر الإسلامي المعاصر، ومجدداً في موضوعات أساسية في التفسير .." [97].

(أ.د. صلاح عبد الفتاح الخالدي حفظه الله)

5- تقريظ الأستاذ الدكتور نصير زرواق حفظه الله

يقول حفظه الله:

"الأستاذ سيد قطب مجدد القرن الرابع عشر بلا منازع. والإمام. وهو صاحب فكر قرآني كبير، قدم لنا في مؤلفاته رؤية عميقة، ارتكزت على الكليات الشرعية ولم تهمل الجزئيات، واستندت إلى القطعيات لتنتظم تحتها الظنيات، وتنسجم معها في يسر ووضوح وموضوعية. والأستاذ بذلك فتح للبحث في الشريعة آفاقا، ووسع للنظر

[97] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان –دراسة و تقويم**، دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة، السعودية، ط 1–1986، ص :5 .

فيها أعماقا، مواجهة للفكر الوافد من الغرب وتحريكا للراكد في الشرق، برهنة على قدرة هذه الشريعة على توجيه الحياة الخاصة والعامة، فردا ومجتمعا ودولة..."[98].

(أ.د. نصيرر زرواق حفظه الله)

6- تقريظ الداعية الشيخ الدكتور سلمان العودة حفظه الله، حيث يقول:

"والذي يخاف الله يتورع عن أعراض عامة المسلمين ، فضلاً عن خاصتهم من أهل العلم، والدعوة والجهاد والدين. والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب من أئمة الهدى والدين ومن دعاة الإصلاح، ومن رواد الفكر الإسلامي...سخّر فكره وقلمه في الدفاع عن الإسلام، وشرح معانيه، ورد شبهات أعدائه، وتقرير عقائده وأحكامه، على وجه قلّ من يباريه أو يجاريه في هذا الزمان. وكان حديثه حديث

[98] زرواق، نصير؛ **مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سييد قطب**، مقدمة الكتاب.

المعايش الذي لابس همُّ الإسلام قلبه، وملك عليه نفسه، قد شغله الحزن على الإسلام، والغضب له، حتى عن ذاته وهمومه الخاصة.."[99].

(الشيخ الداعية د. سلمان العودة حفظه الله)

7 – وأثناء دراستي وتقليبي لصفحات التفسير والمفسرين في المواقع الموثوقة على الشبكة العنكبوتية –الإنترنت رأيت شهادات أُخَر من العلماء في غاية الأهمية في موقع المصحف الجامع[100]، في صفحة التعريف بكتب التفاسير، حيث ينبغي أن تسجل هذه الشهادات بماء الذهب إلى قيام الساعة في الدفاع عن تفسير" **في ظلال القرآن الكريم** " والأستاذ سيد قطب، أرى

[99] **سيد قطب بعد 43 عاما من استشهاده لمجموعة منالباحثين**، قدم له الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي و عني به عصام فارس، وانظر:

[100] http://www.mosshaf.com/ar/main

من المهم ذكره في هذا الصدد وفي جملة التقاريظ للعلماء، حيث جاء فيه مانصه:

" لقد تعرض كتاب الظلال وصاحبه لحملة ظالمة من التجريح والتكفير من بعض الغلاة والمتشددين، وقد رفع بعضهم شكواهم لفضيلة الشيخ/ حمود بن عقلاء الشعيبي وهو عندهم ثقة ومرجع، فأجابهم برسالة جاء فيها:

"... استهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافا مجردا لشخصه، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وجدت له العثرات، فعنده أخطاء لا ننكرها، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته فقد قدم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين.

وإني إذ أسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، فكل من معه نور من النبوة أيضا له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من

ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فما يضير سيدا طعن الطاعنين، بل هو رفعة له وزيادة في حسناته، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدّعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم والله يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: 1-3]، فأولئك إذا أرادوا مدح أحد عليه من المآخذ ما يفوق سيدا بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة "**تغمس أخطاؤه في بحر حسناته**" وقالوا " **إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**" وغير ذلك، وإذا أرادوا ذم آخر كسيد رحمه الله الذي يُعدّ مجددا في باب (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) سلكوا معه طريق الخوارج وكفروه بالمعاصي والزلات.

وسيد رحمه الله لا ندعي له العصمة من الخطأ، بل نقول إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها، ولكنها لا تخل بأصل دعوته ومنهجه، كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدح في منزلتهم. وعلى سبيل المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم، فهؤلاء لهم أخطاء في العقيدة إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحدا من أبناء الأمة ولا أعلامها يمتنع من الاستفادة منهم أو يهضمهم حقهم وينكر فضائلهم، فهم أئمة إلا فيما أخطئوا فيه، وهذا الحال مع سيد رحمه الله فأخطاؤه لم تقدح في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم.

والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يستفاد من قول الله تعالى﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فكل من حقق ما يجب تحقيقه من أصل الدين، يُنظَر بعد ذلك في سائر منهجه؛ فإن كان خطؤه أكثر من صوابه وشره يغلب على نفعه فإنه يُهمَل قولُه وتُطوى كتبُه ولا تُروى ، وعلى ذلك فالقول الفصل في سيد رحمه الله أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عن (**لا إله إلا الله**)، لا

سيما أنه حقق أصول المعتقد الصحيح ، وإن كان عليه بعض المآخذ وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها رحمه الله.

وختاما لا يسعني إلا أن أُذكّر أنني أحسب سيدا؛ والله حسيبه؛ يشمله قوله عليه الصلاة والسلام : (**سيد الشهداء حمزة،**[101] **ورجل قام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله**)، فنحسب أن سيدا رحمه الله قد حقق ذلك الشرط حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله.. وأنقل كلمة له رحمه الله قبل إعدامه بقليل عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام "**الشهادة**" وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط فسأله قائلا: أنت تعتقد أنك ستكون شهيدا فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلا: الشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداء لدين الله. وله رحمه الله من المواقف والأقوال التي لا يشك عارف بالحق أنها صادرة عن قلب قد مليء بحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب التضحية لدينه، نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا وإياه. وصلى الله على

[101] وفي رواية من حديث جابر بن عبد الله: (**سيِّدُ الشُّهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلبِ ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمره ونهاه فقتله)** ، وقد صححه الإمام المحدث الألباني في السلسلة الصحيحة: الرقم: 374 ...انظر الموسوعة الحديثية على الشبكة العنكبوتية الإنترنت:**www.dorar.net**

نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... قاله / حمود بن عقلاء الشعيبي 1421/5/16هـ .."[102]

5- **وأقول أنا أيضا ودون مبالغة،** والله على ما أقول شهيد:

إن التفسير "**في ظلال القرآن**" تفسير عقدي[103] دعوي، اجتماعي أخلاقي، أدبي بلاغي، منهجي أكاديمي، ديناميكي تربوي[104] معاصر من الدرجة الأولى. يُحيِ الله بقراءته القلوب الميتة، ويوقظ الضمائر الغافلة وينصر النفوس المهزومة. إنه يبكي العيون الناشفة، ويزرع في قلب قارئه حب الله ورسوله والقرآن والمسلمين وحب كاتب التفسير أيضا. كما أنه يوقد في نفوس الدعاة إلى الله وطلبة العلم الشرعي شُعلة الإيمان بالله للمضي قدما إلى الله، راسماً لهم خريطة الدعوة و كيفية الوصول إلى مرضاة الله من خلال تطبيق شرعه جملة وتفصيلا في كافة مجالات الحياة. يوضح الطريقة في كيفية التعامل مع المدعوين والمخاطبين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ومستواهم المعرفي والثقافي، آخذا في عين الاعتبار أحوالهم الفكرية والنفسية والسلوكية، متدرجا بهم إلى فهم سنن الله في نهوض الأمم والحضارات وانتصار الشعوب. إنه ينظّم أفكار المسلمين المتشتتة، ويقيّم صفوفهم المعوجّة، ويُجلي لهم حقيقة الإسلام وطبيعة المنهج

[102] http://www.mosshaf.com/ar/main

[103] **و يجوز: عقيدي** أيضا..كلا الاستعمالين مشاع بين الباحثين، أي نسبة إلى العقيدة

[104] انظر الدراسة الرائعة بعنوان: **معالم الفكر التربوي عند سيد قطب**، للدكتور محمود خليل أبو دف – أستاذ أصول التربية المشارك، نشرته موقع جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 2002،
http://uqu.edu.sa/page/ar/67820

الرباني للسير على بصيرة وعلم وهدى وكتاب منير. فطوبى لصاحبه ولقارئ تفسيره والعامل بما فيه، والله أعلم.

(د. خيرالدين خوجة الكوسوفي كاتب هذه السطور غفر الله له ولوالديه [105])

[105] لنا دراسة منشورة في المدينة المنورة وفي عمان – الأردن، بعنوان: **المؤهلات العلمية والثقافية التي يجب أن يتحلى بها المفسر – الأستاذ سيد قطب نموذجا**، وتم تقديمها في المؤتمر العالمي في عمان–الأردن 2008

ثانيا: من سمات الظلال وخصائصه

إن تفسيرالأستاذ سيد قطب رحمه الله المسمى: " **في ظلال القرآن**" امتاز بعدة سمات وخصائص من حيث ربط أحداث الواقع بنصوص الشرع.

وكذلك من حيث المضمون، حيث يكمن فيه السرالعجيب الجذاب، والطريقة المثلى لاستنباط الدروس والعب رلإرشاد المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة في مواجهة تحديات العصر والمجتمع الذي يعايشه.

هذه الحقيقة لا يعني بحال من الأحول الاستخفاف بالتفاسير الأخرى، فلا يتوهّمنّ متوهّم شيئاً من ذلك، لكل من التفاسير قيمتها وفضلها الخاصة بها.

- لقد لاحظ الأستاذ الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي جملة من السمات والخصائص، منها:
- **الواقعية الجدية في البحث. المنهجية السلفية.**
- **بيان دور الإنسان ومركزه.**
- **الإلمام بالملابسات التاريخية لنزول القرآن.**
- **بيان تعامل الصحابة مع القرآن.**
- **تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر وتحليل حاضر العالم الإسلامي.**
- **التأكيد على قضايا الدعوة والحركة في مواجهة المادية الجاهلية.**
- **التفسير الجمالي للصور الفنية في القرآن.**
- **الإكثار في آيات العقيدة من الاشراقات واللمحات والنتائج والأحكام والتحليلات.**

ومن السمات والخصائص التي لاحت للباحث:

1- التأكيد على العقيدة الإسلامية وجعلها الركيزة والأساس لكل شيء.

2- التأكيد والتكرار لقضية الحاكمية والألوهية لله تعالى لكي تستقر في قلوب الناس، وأنها إن صلحت صلح معها كل شئ وأنها إن فسدت فسدت معها كل شئ .

3- إدراك فلسفة الإسلام وحقيقته المتمثلة في ربط النظرية بالتطبيق أو الإيمان بالعمل، وقليل ما هم.

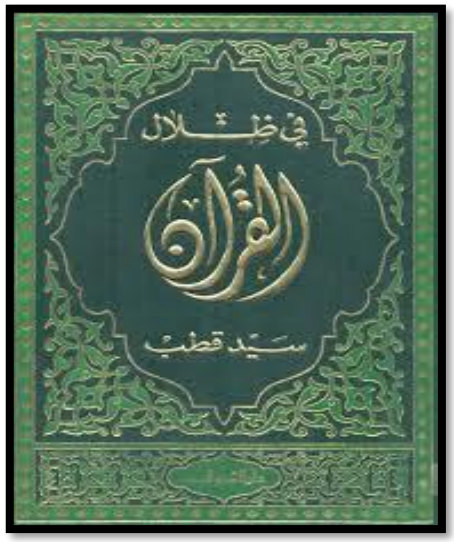

ثالثا: منهج سيد قطب في تفسيره [106]

من خلال مطالعتي ودراستي لتفسيره ومطالعة دراسات الذين كتبوا عن منهجه يمكن استخلاص الطريقة والمنهجية التي سلكها الأستاذ سيد قطب في تفسيره لكلام الله تعالى، فأقول وبالله التوفيق:

1- إنه يورد الآية أو الآيات ثم يقوم ببيان أغراضها وأهدافها والوحدة الموضوعية للسورة وشخصيتها، ثم يشرحها شرحاً وافياً وكافياً، مستنبطاً منها الدروس والعبر[107] .

2- يذكر سبب نزول الآية إن وجد ثم يستشهد بالأحاديث النبوية ويحرص على الروايات الصحيحة.

3- يورد اختلاف العلماء حول مفهوم الآية ولكن دون إسهاب وإطناب، ".. ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة، ويتجه إلى إيقاظ الوعي وتصحيح المفاهيم وربط الإسلام بالحياة.." [108].

4- يورد أقوال الفلاسفة ويناقش آراءهم بالحجج العقلية ويدحض شبهاتهم ويبين بطلان منهجهم في مسائل العقيدة والتوحيد[109].

---

[106] انظر: **منهج سيد قطب في ظلال القرآن** –رسالة دكتوراه – للطالبة أسماء عمر حسن فدعق، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1416 هـ، ج2، ص 300 -450

[107] نسب إليه الأستاذ الدكتور عدنان محمد زرزور، فضل إبراز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت، إذ أنه أول واحد تطرق إلى هذا المبدأ ..انظر: **مدخل إلى التفسير وعلومه**، ص: 267 .

[108] القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، ص: 334 .

[109] ولعل هذا المسلك للأستاذ سيد قطب في منهجه هو السبب الرئيسي والأكبر للتهمة الموجهة إليه من قبل بعض أعدائه بأنه يجهل القضايا الفلسفية العميقة، وأحد هؤلاء د/أحمد صلاح الدين

الموصللي، حيث يقول: "..ولكن قطب لم يكن لديه معرفة عميقة بالفلسفة والعلوم والتاريخ، أو حتى بالعلوم التقليدية، فبالرغم من أن معرفته كانت تتسم بالشمولية وتعدد الحقول لم يكن سيد قطب عالماً بالمعنى العلمي الأكاديمي" ؟؟! وأن سيد قطب رفض اعطاء الرسول صلى الله عليه وسلم أي دور سوى نقل الوحي الذي يقلل من المرتبة التي رفعه إليها علماء الكلام والفلاسفة والفقهاء!! وأنه أبدى فقراً في فهم النبوة..!! وأن المفكرين الآخرين وحتى غير المسلمين أعطوا للرسول ودوره فهماً أفضل من سيد قطب!! وأن الكثير من أفكار سيد قطب مشابهة لأفكار الفلاسفة. انظر: **الفكر الإسلامي المعاصر– دراسات وشخصيات؛ سيد قطب – بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين** د /أحمد صلاح الدين الموصللي، ص:46 –56 – 57 – 152 .. ولا شك أن مثل هذا الكلام فيه من الهراء والجهالة ما فيه ولا يخفى على ذوي العقول والقلوب السليمة، ولا أرى تفنيد كلامه هنا حتى لا أضخم من شأن قائل الكلام لأنه لا يستحق ذلك، ولأن الواقع العلمي والأكاديمي والأنتاج الفكري للأستاذ سيد قطب يبطله جملة وتفصيلاً. **ولكن باختصار شديد للرد على هذا الأستاذ وأمثاله يكون من وجهين:**

الأول : أنه ليس في الإسلام شئ اسمه تقديس الأشخاص أو الذوات كما هو ثابت ومقرر عند بعض الأديان الأخرى ..فنحن في الإسلام نفديي الرسول الله صلى الله عليه وسلم بحياتنا وأرواحنا ونحبه أكثر مما نحب أنفسنا وأزواجنا وأولادنا وآباءنا وأمهاتنا، ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نعطي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما أعطاه الله له، ولا نستطيع أن نعلي من قدره وشأنه وأن نطْرُوَهُ كما أطرت النصارى المسيح بن مريم..فتأمل هذا البيان الإلهي القائل لترى هذه الحقيقة..قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾[الكهف: 110]، ففهم الأستاذ سيد قطب رحمه الله للرسول صلى الله عليه وسلم كان ضمن إطار هذه الآية وفي حدودها، وهذا هو الفهم الصحيح لمنزلته عليه الصلاة والسلام. والذي يميزه عنا هو الوحي المنزل من قبل الله عليه لتبليغ الناس بها..وقد يكون تأثر الأستاذ الموصللي وتلوثه بأفكار وآراء المستشرقين الذين أبدوا فهماً أفضل من فهم الأستاذ سيد قطب لرسول الله ودوره!؟ هو أنه تربى بعد تخرجه من الأزهر على أحضان هؤلاء..ومن ثم عاد إلى الجامعة الأمريكية في لبنان ليعمل في حقل التدريس للحفاظ على تلك الحضانة من الذوبان..فتأمّل!!

الثاني: أما قولك (**بأن سيداً لم يكن عالماً**).. وهذا يعني أنه جاهل– وحاشا الأستاذ سيد قطب – ، ولإثبات هذه التهمة، فإن قواعد المنهج العلمي تأمرنا أن نثبت هذه الدعوى ببرهان، وتمشياً مع

5- يتعرض إلى تحليل النظم الاجتماعية والوضعية مثل الشيوعية والديموقراطية والرأسمالية والماركسية لبيان بطلان تلك المناهج الوضعية.

6- يتطرق إلى تحليل سياسي واجتماعي لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين واليهود وأسباب الهجرة، ولا يبالي لاستعمال الألفاظ الشنيعة للكفار والمنافقين، ولا يتحاشى ذلك..مثل الجاهلية، والمطموسين، والمنتكسين الخ[110].

7- ليس من منهجه ذكر الاسرائليات في تفسيره، ولكن مع هذا التحرز الشديد وجد أحياناً أنه يذكر ذلك..[111].

8- اهتم بالجانب البلاغي وبيان التناسق الفني للآيات[112].

9- ينقل من المفسرين المتقدمين، ويكثر من ابن كثير والطبري (ولكنه لم يتأثر بهم على الإطلاق في أي لون من ألوان التفسير أو التأويل)[113].

القاعدة العلمية عند علماء المسلمين: (**إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل**). فللأسف الشديد لم نر شيئا من الأدلة هذا الأستاذ الأكاديمي!! ؟؟ كثرت اتهاماته لسيد قطب عشوائياً دون أن يثبت شيئاً لنا في كتابه هذا، أو أن يستدل أو يذكر من أخطاء الأستاذ سيد قطب في التاريخ أو في الفلسفة أو العلوم الأخرى..لأن من شأن الجاهل أن يخبط ويخطئ ويخون في النقل..فإلى كلام "الأستاذ الأكاديمي" تطرق احتمال كبيرو يسقط بكلامه الاستدلال..والله أعلم.

[110] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج 1، ص: 45 .

[111] انظر: **المصدر السابق**، وهذه من النقاط الإيجابية في هذا التفسير وفي غاية الأهمية.

[112] انظر: د. مسلم آل جعفر، ومحي هلال السرحان، **مناهج المفسرين**، دار المعرفة، ط 1 –1980، ص: 268، وراجع **في ظلال القرآن**، ج 6 -3404 -3405.

[113] **مدخل إلى التفسير وعلومه**، ص: 269 ، وانظر: منهج سيد قطب في الظلال ، أسماء عمر حسن فدعق، ج1، ص 200- 286، وج2، ص 350- فما بعد

10- أحياناً يجتهد ويأخذ بظواهر النص ولا يحمّل النص ما لا يحتمل، كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره لآية الصوم [114].

11- رأيته معتدلاً منصفا في تفسيره، لا ينحو منحى المتشددين ولا يسلك مسلك المتساهلين المستخفين بأحكام الله.

12- رأيته ينهج منهج السلف الصالح في التفسير وقد صرح هو رحمه الله غير مرة بذلك في تفسيره[115].

13- يرجح بين الأقوال الفقهية ويختار الرأي الذي يعززه الدليل الصحيح، كما في مسألة الموالاة والتتابع في الصوم [116].

14- تطرق في تفسيره إلى العلوم الحديثة مثل الطب والفلك والفيزياء والكيمياء، ولكنه كان متحفظاً جداً من التفسير العلمي للقرآن لا يلجأ إليه إلا إذا كانت الإكتشافات العلمية حقائق حتمية لا فرضيات أو نظريات محتملة، حينئذ يربط تفسير الآية بتلك الحقائق، لأن العلم كل يوم في شأن حيث أن النظريات العلمية غير مستقرة وهي معرضة للتبديل، بينما الآيات القرآنية لا تتبدل ولا تتغير. لأجل هذا السبب كان متشدداً في هذا الأمر، وليس الأمر كما زعم البعض من أن سيداً لا يقبل أو يرفض التفسير العلمي للآيات[117].

15- في مسائل العقيدة يثبت الصفات الواردة لله تعالى مثل الحياة والقوامة أو القيومية وغيرها، وأحياناً يؤوّل بما يقتضيه السياق واللغة.

---

[114] انظر: **في ظلال القرآن**، ج 6 –3598 – 3599 .

[115] انظر: **في ظلال القرآن في الميزان**، ص:316، وانظر: **منهج سيد قطب في الظلال**، ص400

[116] انظر: **في ظلال القرآن**، ج 6 – 3560 .

[117] انظر: **في ظلال القرآن**، ج 3 –1216 – 1217، وانظر كذلك **نفس المصدر**: ج6 – 3713-3714 .

16- ميّز بين القرآن المكي والمدني، وأن لكل منهماموضوعاتها الخاصة، فلا يخلط بينهما[118].

وأود أن أختم كلامي بذكر بعض الأسس المهمة التي اعتمد عليها الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيره، وقد تعرض فضيلة أ.د. فهد الرومي أيضاً لهذه المسألة وغيره من العلماء والباحثين، ومن جملة ما ذكر فضيلة أ.د. فهد الرومي حفظه الله:

1-الأسلوب الأدبي.

2-تذوق النص القرآني.

3-الواقعية والحركة.

4-التفسير الجمالي الفني.

5-الوحدة الموضوعية.

6-استيحاء النص دن مقررات سابقة.

7-ترك الإطناب عما أبهم في القرآن.

8-التحذير من الاسرائليات.

9-ترك الاختلافات الفقهية.

---

[118] ولمعرفة المزيد والتفاصيل عن منهج سيد قطب وأسلوب كتاباته، يراجع هذه المصادر والمراجع: **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، للأستاذ الدكتور فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي، ج 3 –999، **و مفاتيح للتعامل مع القرآن**، للأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي، **و في ظلال القرآن – في الميزان**، للأستاذ الخالدي، فصل **سمات الظلال**، ص:305 –400، **و سيد قطب خلاصة حياته**، للدكتور محمد توفيق بركات، ص:19، **و مباحث في علوم القرآن**، للدكتور مناع القطان، ص: 334، **ومدخل إلى التفسير و علومه**، للدكتور محمد عدنان زرزور، ص:260 – 270، **و منهج سيد قطب في الظلال**، للدكتورة أسماء عمر حسن فدعق، ج1، وج2، و**منهج سيد قطب في العقيدة** للدكتور ماجد شبالة (موقف الأستاذ سيد من قضايا العقيدة).

10-اجتناب الإغراق في المسائل اللغوية وتفاعله مع النص القرآني[119].

11-ترك الاختلافات اللغوية والنحوية.

12-التركيز على الحاكمية المطلقة لله تبارك وتعالى في كل شيء.

13-**الاستقلال الفكري والمنهجي في التفسير**،بحيث لم يكن أسيراً لغيره من المفسرين القدامى أو المحدثين.

14-**الثقة بالنفس وعدم الاضطراب فيما يذهب إليه** من الآراء وما يتبناه من الأفكار.

(مع فضيلة أ.د. فهد عبد الرحمن الرومي في المؤتمر العالمي، عمان –الأردن)

[119] يراجع بتوسع: الرومي، فهد، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، ج 3 –999-1000 فما بعد.

هذا الذي وفقني الله إليه في هذا المبحث من القول عن منهج الأستاذ سيد قطب في تفسيره (**في ظلال القرآن**) وصاحبه والله والموفق.

(مع فضيلة أ.د. عدنان محمد زرزور (رئيس الجلسة) و أ.د. أحمد السديس، و د.عبد العزيز الضامر أثناء تقديم الأوراق العلمية عن تفسير الأستاذ سيد قطب في المؤتمر العالمي في عمان- الأردن، 2008)

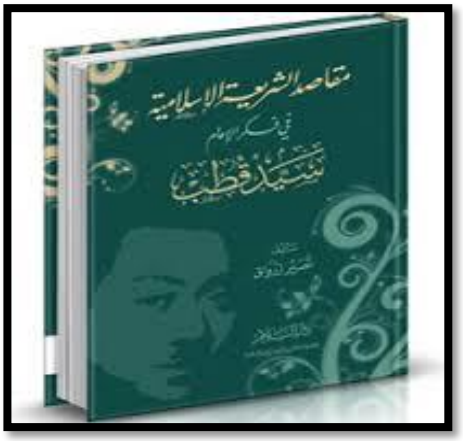

دراسة الأستاذ الدكتور نصير زرواق في رسالة الدكتوراه جزاه الله خيرا

الفصل الثالث:
الدعوة وأسلوبها من خلال سورة الأنعام

أولاً: أسباب اختيار سورة الأنعام

هناك عدة أسباب وعوامل دفعتني إلى اختيار هذه السورة المباركة للدراسة دون غيرها من سور القرآن:

1- إن هذه السورة المباركة والطويلة من السور المكية إلا بضع آيات منها قيل إنها مدنية، ومن خصائص السور المكية أنها تركز أولاً على جانب العقيدة والدعوة أكثر من تركيزها على بقية الجوانب، وقد ناسبت هذه السورة موضوع البحث.

2- ولأن هذه السورة المباركة اشتملت على البراهين والدلائل الكونية الكثيرة الدالة على وجود الله عزوجل وتدبيره وقدرته لهذا الكون ولشؤون العباد، إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم..أنظر الآيات:11-14 و59-66 و 95-99.

3- إن هذه السورة فيها من الوسائل والمناهج الدعوية الكثيرة، مما يحتاج إليها الداعية المسلم في هذا العصر وغيره، من صبر وثبات وتنويع لأساليب الدعوة تبعاً لأحوال المخاطبين، مثل الاحتجاج العقلي، وتوجيه الأسئلة إلى المعارضين لبيان قدرة الله وإحاطته بكل شيء، انظر الآيات:17-18- و 33-34-35-38 و 50-52.

4- اشتملت هذه السورة المباركة على أساليب الدعوة الكثيرة والمختلفة، مثل الاعتبار بمن سبقنا من أحوال الأمم الغابرة وموقف الرسل منهم ومصيرهم، وأسلوب الترغيب والترهيب، والأمر والنهي، والتذكير بنعم الله، وأسلوب التحدي، أنظر الآيات:11-12-13 و46-47.

5- هذه السورة المباركة تطرقت إلى الحديث عن أهل الكتاب وكتمان معرفتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه نقطة مهمة للداعية عندما يناقش أهل الكتاب و يحاورهم.

6- هذه السورة بينت بصراحة ووضوح المفاصلة التامة بين المسلمين والمجرمين، مما تُشعِر الدعاة أنه لا مداهنة ولا مجاملة في تبليغ الدعوة وبيان متطلباتها، وأن أمر المسلمين يجب أن يكون على بينة وكذلك شأن الكافرين، الآيات:55-57-68.

7- إن هذه السورة بينت مشروعية البحث والاستدلال والتحري عن الحق والصواب كما يظهر ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام عندما جن عليه الليل و رأى القمر بازغاً، انظر الآيات 74-79.

8- إن هذه السورة المباركة اشتملت على ذكر أكبر عدد للأنبياء والرسل مع بيان وحدة دعوتهم واختلاف منهج تبليغ شرائعهم، انظر الآيات :82-90، وهذه قضية مهمة جداً للدعاة في توحيد أهدافهم الدعوية مع اختلاف مناهجهم ووسائلهم.

9- اشتملت هذه السورة على مبادئ عظيمة في الجانب العقائدي والتشريعي الشيء الكثير وفي مجال المعاملات والعبادات، انظر الآيات:103-108-118-121137-151-153، وهذا له دور كبير في أخلاق الداعية ودعوته.

10- هذه السورة بينت العادات الجاهلية التي كان عليها مشركوا مكة من تقسيم النذور والقرابين لله ولشركائهم، مما تفيد الدعاة وترشدهم إلى فهم ودراسة الواقع للمجتمع الذين يريدون دعوتهم، انظر الآيات:136-140-146.

11- هذه السورة العظيمة اشتملت في آخرها على وصايا عظيمة، اصطلح عليها العلماء والمفسرين بالوصايا العشر، مثل: عدم الشرك، وهذا يعني التوحيد الذي هو الأساس في عقيدة المؤمن، والإحسان إلى الوالدين، وهذه من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وعدم قتل الأولاد خشية الفقر، وهذا يعني أن الله هو الرازق والمتكفل

وغيرها، انظر الآيات: 151-153، مما ترشد وتعلم الدعاة أن عليهم أن يركزوا في دعوتهم على الأشياء المهمة في الدين أولاً ومن ثم ينتقلوا إلى الأمور الثانوية.

12- إن المقدمة العلمية والمنهجية الطويلة والمهمة التي أفرد لها الأستاذ سيد قطب رحمه الله، والتي تعتبر أطول مقدمة **(في ظلال القرآن)** على الإطلاق في تفسيره، وفيها بين الأستاذ سيد قطب رحمه الله أهمية القرآن المكي ودوره، واتباع الخطوات في تكوين المجتمع المسلم، وضرورة مراعاة هذه المدة الطويلة في حياة الدعاة في تعاملهم مع المدعوين وهم في مرحلة بناء العقيدة وغرس أصولها في القلوب والعقول، وعليهم أن لا يستعجلوا النتائج قبل أوانها قبل أن يفسروا للناس سر وجودهم ووجود هذا الكون من حولهم وعلى الدعاة تنويع الأسئلة على المدعوين، مثل: من أنتم؟ ومن أين جئتم؟ وكيف جئتم؟ ولماذا جئتم؟ وإلى أين تذهبون في نهاية المطاف؟ كما يقول ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى في تفسيره.

13- لعل هذا يكون من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذه السورة للدراسة التحديات التي تواجهنا نحن الدعاة، تجعلنا أن ندرك شدة الحاجة للقيام بالدراسة لأمثال هذه السور المكية، التي تكمن فيها استراتيجيات الدعوة المختلفة حتى نجد الخلاص والبديل مما نحن عليه الآنفي هذه الأيام من التشتت والتمزق الفكري والمذهبي والفوضى وعدم التنظيم مما أدى إلى الضعف والإنحراف عن جادة القرآن الكريم.

14- هذه السورة مليئة بالمواقف والمشاهد التي كان عليها عرب الجاهلية الأولى، - وما أمر جاهلية اليوم وبُعدُ الناس عن الإسلام ظاهراً وباطناً، حاكماً أو محكوماً، فرداً أو جماعة، أهون وأخف من الجاهلية الأولى-، فهذه السورة المباركة وضعت المعالم الرئيسية للسير نحو تحقيق ذلك المنهج الرباني المنشود بإذن الله تعالى،

وكيفية إخراج هذه الأمة وإنقاذها من المأزق التي وقعت فيها بسبب جهلها، ويومئذ يفرح المؤمنون بتطبيق منهج الله، ورؤية آثاره في حياتهم.

ثانياً : موضوعات السورة

إن هذه السورة المباركة عالجت عدة قضايا مهمة في حياة الفرد والمجتمع والأمة، وواجهت حرباً واقعياً عما كان عليه المشركون من تخبط وتيه وجهل بحقيقة الله تعالى وشريعته، حيث يكاد يكون موضوع العقيدة محور السورة وموضوعها الرئيسي من أولها إلى آخرها، ولا أجد كلاماً أفضل من صاحب هذا التفسير الذي أنا بصددهحيث يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"..إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة ، بكل مقوماتها وبكل مكوناتها. وهي تأخذ بمجامع النفس البشرية، وتطوف بها في الوجود كله، وراء ينابيع العقيدة وموحياتها المستسرة والظاهرة في هذا الوجود الكبير.. إنها تطوف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، تلحظ فيها الظلمات والنور، وترقب الشمس والقمر والنجوم.. وتسرح في الجنات المعروشات وغير المعروشات.. والمياه الهاطلة عليها والجارية فيها؛ وتقف بها على مصارع الأمم الخالية، وآثارها البائدة والباقية.. ثم تسبح بها في ظلمات البر والبحر، وأسرار الغيب والنفس، والحي يخرج من الميت ويخرج من الحي الميت، والحبة المستكنة في ظلمات الأرض، والنطفة المستكنة في ظلمات الرحم. ثم تموج بالجن والإنس، والطير والوحش، والأولين والآخرين، والموتى والأحياء، والحفظة على النفس بالليل والنهار.."[120].

[120] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: دار الشروق-بيروت، الطبعة الشرعية الحادية عشرة، طبعة جديدة مشروعة ومنقحة، 198، ج2 ص: 1016.

ويقول رحمه الله في مكان آخر من تفسيره، متحدثاً عن الموضوعات التي عالجت السورة:

"..هذه السورة تعالج قضية العقيدة الأساسية...قضية الألوهية والعبودية..تعالجها بتعريف العباد برب العباد..من هو؟ ما مصدر هذا الوجود؟ ماذا وراءه من أسرار؟ من هم العباد؟ من ذا الذي جاء بهم إلى هذا الوجود؟ من أنشاهم؟ من يطعمهم من يكفلهم؟ من يدبر أمرهم؟ من يقلب أفئدتهم وأبصارهم؟ من يقلب ليلهم ونهارهم؟ من يبدئهم ثم يعيدهم؟ لأي شيء خلقهم؟ ولأي أجل أجلهم؟ ولأي مصير يسلمهم؟ .. هذه الحياة المنبثقة هنا وهناك..من بثها في هذا الموات؟..هذا الماء الهاطل..هذا البرعم النابغ.. هذا الحب المتراكب.. هذا النجم الثاقب.. هذا الصبح البازغ.. هذا الليل السادل.. هذا الفلك الدوار .. هذا كله من وراءه؟ وماذا وراءه من أسرار؟ ومن أخبار؟ .. هذه الأمم، وهذه القرون، التي تذهب وتجيء، وتهلك وتستخلف.. من ذا يستخلفها؟ ومن ذا يهلكها؟ لماذا تستخلف؟ ولماذا يدركها البوار؟ وماذا بعد الاستخلاف والابتلاء والوفاة من مصير وحساب وجزاء؟"[121].

ويقول رحمه الله في مكان آخر من تفسير:

"..والموضوع الرئيسي الذي تعالجه متصل؛ فلا يمكن تجزئة السورة إلى مقاطع، كل مقطع منها يعالج جانباً من الموضوع.. إنما هي موجات.. وكل موجة تتفق مع التي قبلها وتكملها.." [122].

[121] المصدر السابق: ج2-1017 .

[122] نفس المصدر: ج2-1022.

ويقول الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي:

"..ومجمل ما اشتملت عليه هذه السورة:

- إثبات أصول الإعتقاد عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل والجواب والسؤال.
- إثبات النبوة والرسالة والوحي والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والحسية.
- تبيان أصول الدين والأخلاق والآداب الاجتماعية أو الوصايا العشر.
- الدين من عهد آدم إلى محمد عليهما السلام واحد في أصله ووسائله وغاياته.
- العدل الإلهي يقتضي التفاوت بين الأمم والأفراد فيهلك الله الظالمين وينعم على الطائعين ويمكن للأصلح في إرث الأرض.
- الله مصدر التشريع والتحليل والتحريم" [123].

وقال الأستاذ راشد إمام حسين في كتابه (**قرآنيات – الحلّ التطبيقي الأمثل لمشاكل العالم وأزماته**): أن هذه السورة كانت حرباً على مستغلي الضعفاء، انظر الآيات من 119-161، وأن الآية 152، وهي قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوامَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ**﴾ تحدثت عن أحكام المعاملات في الأعمال المختلفة، واستنتج منه دروساً بليغة، بحيث لو طبقت تلك المبادئ والأحكام، لاستقام اقتصاد العالم. فقال الأستاذ:

[123] الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، بيروت –لبنان، دار الفكر المعاصر – ط1-1991-ج7-126.

"*Wealthy countries should not also exploit the weaker countries ;on the contrary, they should help them to come out of their nations' economic and financial difficulties…and individual rich men help the poor…there can be no reason why the rate of unemployment should be sky high…Every effort will then be aimed at human progress rather than individual selfishness…From the above analysis of this surah one can conclude that its teachings is enough to solve our global crisis .May be this is how Sir Bernard Shaw views it or even more when he declared:" I have always held the religion of Muhammad in high estimation because of its wonderful vitality. It is the only religion which appears to possess that assimilating capability to the changing phases of existence which can make itself appeal to every age..*[124]

أي إن:

" الدول الغنية ما ينبغي لها أن تستغل الدول الفقيرة؛ بل يجب على هؤلاء مساعدة الدول الفقيرة للتخلص من المشاكل والصعوبات الاقتصادية، فالأغنياء عليهممساعدة الفقراء، وبالتالي لن تكون هنالك داع لازدياد فاحش في نسبة البطالة، ومن ثم كل محاولة يجب أن يقصد من ورائها إسعاد وتقديم البشرية، وليس الجري والحرص وراء المصالح الشخصية، ونستطيع أن نستنتج من كل ما تقدم من تحليل هذه السورة المباركة: بأن كل درس فيها كاف لحل كافة المشاكل في العالم. وهذا الذي جرّ **سر برنارد شاو** أن يصرح بقوله: "أنا دائماً كنت أرى دين محمد– صلى الله عليه وسلم – في القمة بسبب ما يملك من مقومات.إنه الدين الوحيد الذي يملك القوة والقدرة لمواجهة التحديات المختلفة في مختلف مراحل الحياة".

[124] Husain Rashid, Quranology, *The practical solution to the world's problems and crisis*: London, Taha Publishers Ltd, 1987, Pp: 38-39.

ثالثاً: التسمية والمناسبة

للشيخ السيد محمد رشيد رضا رحمه الله كلام جميل في هذا الصدد، من المفيد جدا اقتباسه سرا من أسرار المناسبة حيث قال رحمه الله:

"..من نظر ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة،ومن حكمته أن في ذلك عوناً على تلاوته وحفظه فالناس يبدؤون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطول[125]إلى المئين فالمثاني فالمفصل.. أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدؤون بحفظه من آخره لأن ذلك أسهل على الأطفال..ولما كان أمر العقائد هو الأهم المقدم في الدين،وكان شأن أهل الكتاب فيه أعظم من شأن المشركين، وقدمت السور المشتملة على محاجتهم بالتفصيل وناسب أن يجئ بعدها ما فيه محاجة المشركين بالتفصيل وتلك سورة الأنعام لم تستوف ذلك سورة مثلها، فهي متممة لشرح ما في سورة البقرة مما يتعلق بالعقائد، وجاءت سورة الأعراف بعدها متممة لما فيها ومبينة لسنن الله تعالى في الأنبياء والمرسلين وشؤون أممهم معهم وهي حجة على المشركين وأهل الكتاب جميعاً، ولكن سورة الأنعام فصلت الكلام في إبراهيم الذي ينتمي إليه العرب وأهل الكتاب في النسب والدين.." [126].

Emad Al Din Shahin, *Muhammad Rashid Rida and the West*, International Institute of Islamic Thought, Virginia, U.S.A.1993.

[125] قال الشيخ رشيد رضا في تعريف السبع الطول: "قالوا إن السبع الطول أولها البقرة وآخرها التوبة، وإن سور المئين ما كانت آياتها أكثر من مائة أو قريباً منها والمثاني ما كانت آياتها أقل من مائة مما قبل المفصل، سميت مثاني لأنها ثانية المئين أو لأنها تعاد وتثنى كثيراً في التلاوة، وسميت الفاتحة المثاني لهذا المعنى أيضاً، وسمي المفصل مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره. انظر: **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، تأليف: السيد محمد رشيد رضا، ج7-287.

[126] المصدر السابق نفس الجزء والصفحة..

وللأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي حفظه الله [127] قول في هذا، حيث يقول فضيلته في تفسيره: ".. سورة الأنعام هي السورة السادسة، وسميت بذلك لورود ذكر الأنعام فيها، قوله تعالى:﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلحَرثِ وَٱلأَنعَٰمِ نَصِيبا**﴾ [الآية:138]، ومناسبتها لما قبلها: تضمنت كل من سورتي المائدة والأنعام محاجة أهل الكتاب في مواقفهم وعقائدهم، كما ذكر فيها أحكام المطعومات المحرمة والذبائح والرد على أهل الجاهلية بتحريم بعض الأنعام تقرباً إلى الأوثان..وهذه السورة شأنها كشأن السور المكية عنيت بأصول العقيدة والإيمان،وهي إثبات الألوهية والوحي والرسالة، والوحي والجزاء.."[128]. والراجح لدي كلام الشيخ رشيد رضا رحمه الله في قضية التناسب بين السور وذلك للأسباب التي ذكرها هو آنفاً والله أعلم.

رابعاً: ذكر ما ورد في فضل السورة ونزولها

قال الإمام الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره (**مفاتيح الغيب**):

" أن سورة الأنعام مكية إلا الآيات:20-23-91-93-114-141-151-152-153 وروى الرازي رواية عن ابن عباس قال: قال ابن عباس رضي

---

[127] في يوم 2015/8/9 انتقل الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله إلى الرفيق الأعلى عن عمر ناهز 83 عاما مليئا بالعمل والعطاء والتدريس والتأليف في الأصول والفقه والتفسير والحديث..إلخ. تشرفت بلقائه في المؤتمرات العالمية، وآخر مرة تشرفت بالسلام عليه في الشام بالمسجد الأموي بعد صلاة الظهر وبعد انتهاء درسه، كنت مع أولادي مسافرا من المدينة المنورة إلى كوسوفا عام 2008. كما تشرفت بالتعرف على شقيقه والتعلم منه الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي في ماليزيا بالجامعة الإسلامية العالمية عام 2002 والشارقة بالإمارات العربية المتحدة عام 2006. رحمه الله رحمة واسعة.

[103] وانظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج7-127، وللإستئناس يراجع بتوسع: **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار**، للإمام محمد رشيد رضا، دار المنار 14-شارع الإنشاء- ط3-1367 هجرية، ج7-384-385.

الله عنه: أنها مكية نزلت جملة واحدة فامتلأ منها الوادي وشيعها سبعون ألف ملك، ونزلت الملائكة فملؤوا ما بين الأخشبين، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم الكتّاب وكتبوها من ليلتهم تلك إلا ست آيات فإنها مدنيات، قوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**..﴾ إلى آخر الآيات الثلاث [الأنعام: 151 - 152]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**..﴾ [الأنعام: 91]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**..﴾ [الأنعام: 21]. وعن ابن المنكدر: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق.

قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة، أحدها: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنهاشيعها سبعون ألفاً من الملائكة، والسبب فيه أنها اشتملت على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة.." [129].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (**الجامع لأحكام القرآن**):

"..وهي مكية في قول الأكثرين .."، ثم أورد رواية عن ابن عباس قائلاً: "..وفي البخاري عن ابن عباس قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**

[129] انظر: الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري نفع الله بعلمه المسلمين **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، بيروت –لبنان، ط3-1985، دار الفكر للطباعة والنشر، ج6، ص:149 .

وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].." [130].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره (**فتح القدير**):

"..وأخرج الطبراني وبن مردويه وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزلت سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين، لهم زَجَل بالتسبيح والتقديس والأرض ترتجّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم.." [131].

خامساً : أساليب الدعوة في القرآن الكريم عموماً

القرآن الكريم كتاب هداية دعوة للناس أجمعين وكتاب هداية للمؤمنين، نزل من لدن رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ليكون من المنذرين. أعجز الفصحاء والبلغاء من العرب والعجم، وتحداهم بآية وعشر آيات وسورة، فما استطاعوا أن يأتوا ولو بآية تشابه آيات القرآن.

---

[130] انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري (**الجامع لأحكام القرآن**)، بيروت، دار الكتاب العربي، ج6-382-383 .

[131] قال محقق تفسير الشوكاني: روى هذا الحديث البيهقي في الشعب (2210)، وقال الهيثمي في المجمع 23/7، رواه الطبراني عن شيخه محمد بن عبد اللهبن عرس عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.. الشوكانيانظر: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين الرواية و الدراية في في علم التفسير**، المتوفى بصنعاء 1250هجرية، حققه وخرج أحاديثه د/عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، دار الوفاء للطباعة والنشر، ج2-101-102، ط1-1994- المنصورة، وللمزيد في موضوعات السورة وفضائلها راجع **تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي** ج6-3491-3492، دار أخبار اليوم، **وانظر تفسير المنار**: ج7-281-287 .

وقد بلغ القرآن الكريم الذروة العليا من البلاغة والفصاحة بأسلوبه الجذاب وعرضه الممتع وبلاغته العذبة، وكانت النتيجة من هذه الأساليب أن تتنوع أسلوب الدعوة تبعاً لتلك الأساليب اللغوية.

وقد ذكر الأستاذ أحمد أبو زيد في رسالته **(منهاج الداعية)** أساليب الدعوة في القرآن حيث قال:

"..وهذه الأساليب في معظمها تتوافق مع طباع البشر على اختلافهم وتتعدد ما بين الأمر والنهي والحكمة والموعظة والنصح والإرشاد والمحاورة الاقناعية والتذكير بالنعم والتذكير بمصائر الأمم السابقة والترغيب والترهيب،وضرب المثل، والعرض القصصي، ومخاطبة العقل، وسوف يتعرض البحث هنا لهذه الأساليب بشيء من التفصيل مع ذكر الأمثلة القرآنية:

1- أسلوب الأمر والنهي، مثل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: 43].

2- أسلوب المحاورة الإقناعية، مثل قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الشعراء:105-115] .

3- أسلوب النصح والتوجيه، مثل قوله تعالى:﴿ **وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾[غافر:28].

4- أسلوب الترغيب والترهيب، مثل قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:133]، ومثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّلطَّاغِينَ مَآبًا لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾، [النبأ:21-25].

5- أسلوب التذكير بالنعم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النحل : 18]، ومثل قوله تعالى:﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ**﴾ [إبراهيم:32].

6- أسلوب التذكير بمصائر الأمم السابقة، مثل قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ**﴾ [الحاقة:4-10]، وهذا أسلوب ترغيبي أو ترهيبي ولكنه متخصص في ذكر مصائر الأمم السابقة.

7- أسلوب الموعظة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13].

8- أسلوب ضرب المثل، مثل قوله تعالى:﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[إبراهيم:24].

9- أسلوب مخاطبة العقل، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:164].

10- أسلوب التساؤل، مثل قوله تعالى: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر:36]، وقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [غافر:21].

11- أسلوب التحدي، مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة:23] " [132] .

وقد وردت معظم هذه الأساليب الدعوية في سورة الأنعام أيضاً كما سنرى ذلك قريباً في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

سادسا: من سمات وخصائص منهج سيد قطب في فهم آيات الدعوة

قبل الخوض في الحديث عن منهج الأستاذ رحمه الله من المناسب في هذا المقام عرض بعض سمات وخصائص منهجه بشكل عام.

أقول إن الذي يتعامل مع التفسير: **(في ظلال القرآن)** ويكون له نصيب من العيش في ظلاله والسَّير الفكري والروحي في صفحاته سوف يلاحظ بعض الخصائص والسمات التي ربما انفرد بها الأستاذ رحمه الله، ومن أبرزها نذكر منها ما يلي:

- **تحليل لواقع سياسي محلي وعالمي وربطها بالقرآن وعرضها على ميزانه.**

---

[132] انظر: **منهاج الداعية،** بقلم: أحمد أبو زيد، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية عشرة، ربيع الأول: 1414 هجرية-العدد 135-ص:116 -126، وفيما يختص بالدعوة، انظر: **الدعوة في ظلال القرآن،** تأليف أحمد فائز، الكتاب يقع في مجلدين. فقد جمع فيه المؤلف كل كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله الذي ذكره في تفسيره في ظلال القرآن عن الدعوة وأسلوبها ومنهاجها.. فإنه أحسن ما وقفت عليه حتى الآن.

- **محاربته للقوانين الوضعية البشرية، مثل الشيوعية والديموقراطية والماركسية والعلمانية.**
- **التأكيد على تأثيرات الكنيسة السلبية على الأمة الإسلامية.**
- **بيان خطط ومؤامرات الصهاينة من اليهود والنصارى الصليبيين.**
- **تأثره الشديد بالمنهج القرآني وتركيزه على الأولويات والأسس التي قام عليها المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى، مثل قضية العقيدة والألوهية والحاكمية.**
- **تفسير الآيات القرآنيم وربطها بالسيرة النبوية وأحداثها التاريخية، سواء ما تعلق منها بالعهود والمواثيق التي كانت بين المسلمين واليهود أو النصارى أو ما تعلق منها بدعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام عن طريق الرسائل والسفراء.**
- **تركيزه الشديد على بيان طبيعة المنهج الإلهي على أنه كلٌّ لا يتجزّأ، ولابد من تطبيقه كافة في حياتنا.**

ومما لاشك فيه أنه من المحال إعطاء هذا الموضوعات حقها من خلال الدراسة لسورة واحدة فقط، وإنما الغرض من هذه الدراسة هو التعرف على أهم معالم منهجه في فهم آيات الدعوة.

إن كل من يطالع تفسير الأستاذ سيد قطب يرى بوضوح أنه قد طغى عليه جانب الدعوة والحركة بشكل كبير على بقية الجوانب، فيها دليل واضح على أنه رحمه الله قد وضع لنفسه طريقاً ومنهجاً خاصاً يسير وفق معالمه أثناء تفسيره. أما تفاصيل تلك المعالم،وضوابطه، وكيفية انفراده ببعض الآراء والأفكار، والاجتهادات الخاصة؟

هذا ما سأحاول بإذن الله تعالى بيانه في المبحث التالي، وقد رأيت أن أجمع تلك المعالم والضوابط وترتيبها على النحو الآتي.

المبحث الأول: دعوة المسلمين إلى الإصلاح

المطلب الأول: الدعوة إلى إصلاح العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية

لإبراز هذه الخطوة الأولى والمهمة من منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله على وجهها الصحيح، يتطلب الأمر استقراء كلامه وأفكاره الواردة في أماكن متفرقة من مؤلفاته وتحليلها ومن ثمَّ استخلاص رأيه واستبيان منهجه رحمه الله، ولا يخفى على أولي الألباب أن من مستلزمات هذه المسألة كثرة الاستشهاد بكلام الأستاذ سيد قطب أولاً، تمشياً مع طبيعة المنهج الاستقرائي في البحث ثانياً.

ويعلم الله كم من المجهود بذل في القراءة والمطالعة والدراسة لتفسيره واستخلاص هذه الأفكار والأسس التي اعتمد عليها في تفسيره، واتخذها ركيزة لفكره، حيث أنه قد استيقن أهمية الابتداء بها في الدعوة إلى الله تعالى.

والجدير بالذكر هنا، إيراد أرقام الصفحات التي ورد فيها الحديث عن هذه النقطة بالذات (العقيدة) وذلك إما تصريحاً أو تلميحاً، ثم الاستشهاد من كلامه، إذ لا يمكن إيراد واقتباس جميع الأفكار والنصوص. فمن أراد التوسع و المزيد فعليه الرجوع إلى تفسيره[133].

[133] ورد الحديث عن الألوهية وحقيقتها في هذه الصفحات: 1030 –1031-1047-1048-1053-1068-1095-1105-1106-1108-1111-1124-1131-1133-1137-1146- 1157-] (كل هذه الصفحات في المجلد الثاني من الظلال) وفي: [1179-

بدأ الأستاذ سيد قطب رحمه الله حديثه بإبراز هذا الجانب المهم والأساسي في حياة الفرد والمجتمع،وأراد أن يخبر المسلمين عامة والدعاة خاصة أننا في بداية قيامنا بأمور الدعوة يجب أن نبدأ وننطلق من الأساس، وهي الدعوة إلى إصلاح العقيدة أولاً، بمفهومها ومدلولها الواسع والشامل. فإذا ما تمت وكملت هذه،ننتقل من ثم إلى الأمور الأخرى الثانوية.

إن للإصلاح دوراً كبيراً وأهمية قصوى في حياة الأمة وفي حياة الداعية. فَهِمْنا هذه الحقيقة من قوله تعالى في سورة هود على لسان نبي الله عزوجل شعيب عليه السلام عندما قال لقومه: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: 88][134]، والبدء

[1235-1240-12281229-1211-1206-1205-1193-1187-1180]

(في المجلد الثالث) من الظلال.

[134] **ذكر بن كثير في تفسيره** لهذه الآية: ".. ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾ أي فيما آمركم وأنهاكم إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي.." ج2-394،**و الإصلاح**: مصدر أصلحَ : أصلحَ في.../ أصلحَ من...أي تقويم وتغيير وتحسين وإصلاح ذات البيْن: مصالحة المتخاصمين... والذي يبدو لي، أن هناك سراً وتفرقة لغوية آخر بين لفظ: **الإصلاح**، وبين لفظ: **الصلاح**. والآية الكريمة تقول: **إن أريد إلا الإصلاح**، ولم تقل: **إن أريد إلا الصلاح**.. والصلاح مصدر صَلَحَ، صَلُحَ عُرِفَ **بِالصَّلاَحِ**: بِالاسْتِقَامَةِ وَالسَّلاَمَةِ مِنَ العَيْبِ/ سَلاَمَةُ الأُمَّةِ بِصَلاَحِ إِمَامِهَا/ دَعَا لَهُ بِالصَّلاَحِ وَالْخَيْرِ، **الصَّلاَحُ** :الاستقامة، و**الصَّلاَحُ** السَّلامة من العَيْب. والسر في ذلك أن في الإصلاح فيه معنى إصلاح النفس أولاً قبل إصلاح الآخرين. وأما: **الصلاح**، فهذا قد يتعلق بإصلاح الآخرين ونسيان نفسه، وهذا خلاف الآية الكريمة. والدليل لهذا الذي ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ والله أعلم.

انظر مادة الإصلاح والصلاح في: http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

بالإصلاح في الدعوة فيه حماية من إحلال غضب الله وعذابه على الأمة،استلهمنا هذه الحقيقة من قوله تعالى:﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [هود:117]، فلا غرابة إذن أن يبدأ الأستاذ سيد قطب بهذه النقطة وذلك لأهميتها، ولقد كان فلسفته رحمه الله أن ينطلق في بيان أمور العقيدة والدعوة بنظرة تاريخية معمّقة في بيان حقيقة نزول القرآن الكريم والمراحل التي نزل فيها القرآن في مكة والمدينة. قال رحمه الله في بعض ما تحدث عنه مبيناً دور القرآن المكي وماذا عالج في بدايات نزوله:

".. لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية، في هذا الدين الجديد، "قضية العقيد " ممثلة في قاعدتها الرئيسية..الألوهية والعبودية [135]، وما بينهما من علاقة..لقد كان هذا القرآن المكي يفسر للإنسان سر وجوده ووجود هذا الكون من حوله..كان يقول له: من هو؟ ومن أين جاء ؟ وكيف جاء ؟ ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب في نهاية المطاف؟ من ذا الذي جاء به من العدم والمجهول؟ ومن ذا الذي يذهب به وما مصيره هناك؟ وكان يقول له: ما هذا الوجود الذي يحسه ويراه، والذي يحس أن وراءه غيباً يستشرفه ولا يراه؟ من أنشأ هذا الوجود المليء بالأسرار؟ من ذا يدبره ومن ذا يحوره؟ ومن ذا يجدد فيه ويغير على النحو الذي يراه؟ وكان يقول له كذلك : كيف يتعامل مع خالق هذا الكون ومع الكون أيضاً، كيف يتعامل العباد مع خالق العباد. وهكذا انقضت ثلاثة عشر عاماً كاملةً في تقرير هذه القضية الكبرى. القضية التي ليس وراءها شيء في حياة الإنسان إلا ما يقوم عليها من المقتضيات والتفريعات.." [136].

---

[135] انظر في هذا الموضوع أيضاً:

Shaikh Muhammad As Saleh Al-Uthaimin, *The Muslims Belief*, Translated by: Dr: Maneh Hammad Al –Johani, p: 9.

[136] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2 – ص: 1004 بتصرف.

يتبين مما سبق أن من خصائص منهج الأستاذ سيد قطب في فهمه لآيات الدعوة، جعله للعقيدة الإسلامية القضية الكبرى والأساسية التي تتمحور حولها بقية القضايا الدينية والتي على صرحها تقوم وتتأسس المجتمعات الإنسانية، وعلى هذا الأساس حقق الرعيل الأول من الصحب الكرام والتابعين الفتوحات الإسلامية العالمية والذي يعود فضل إيصال هذا الدين إلينا إلى جهودهم رضوان الله عليهم.

و هذا المنهج الذي سار الأستاذ سيد قطب رحمه الله عليه، له دليل من **الواقع المشهود، والعقل السليم، والتاريخ، والدين الإسلامي** قوي للغاية، بحيث يحصر الداعية نفسه في إطاره، ويأثم إن هو شرع في عمله على غير هذا الأساس.

ولعل كثرة تكراره لهذه القضية الحساسة مما يشعر الداعي بأهميتها والوقوف عندها طويلاً، حتى تصل جذور هذه الشجرة إلى أعماق القلوب وتؤتي ثمارها وأكلها بإذن ربها.

ففي تفسيره للآية الأولى من سورة الأنعام وهو قوله تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: 1]، قال:

".. إنها اللمسات الأولى .. تبدأ بالحمد لله. ثناءً عليه، وتسبيحاً له،واعترافاً بأحقيته للحمد والثناء على ألوهيته المتجلية في الخلق والإنشاء.. بذلك تصل بين الألوهية المحمودة وخصيصتها الأولى الخلق .. وتبدأ بالخلق في أضخم مجالي الوجود .."[137].

نظرة الأستاذ سيد قطب رحمه الله للألوهية نظرة شاملة وواسعة بحيث تشمل هذه الحياة وهذا الكون وما فيهما. ومعنى شمول الألوهية للحياة: هو أن يكون الله

[137] **المصدر السابق**، ج2 – ص: 1030.

سبحانه وحده صاحب الحاكمية المطلقة منه وإليه يعود كل شيء، ومنه وحده تستمد الشرائع والأحكام والقوانين..والدليل على ذلك هذه الآية الكريمة من السورة ذاتها، حيث يقول رحمه الله في تفسيره:

"واللمسة الثالثة تضم اللمستين الأوليين في إطار واحد؛ وتقرر ألوهية الله في الكون والحياة الإنسانية سواء: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:3]، إن الذي خلق السماوات والأرض هو الله في السماوات وفي الأرض. هو بالألوهية فيهما على السواء وكل مقتضيات الألوهية متحققة عليهما، من خضوع للناموس الذي سنه الله لهما، وائتمار بأمره وحده " [138].

ويقول أيضاً مبيناً مظاهر وحقائق هذه الألوهية، وأن ذلك ليس لتقرير اللاهوتي والفلسفي النظري السلبي[139]،كما هو الحال في الأديان الأخرى، وبين الأستاذ سيد قطب في تفسيره أن الداعية عندما يتعرض لشرح وبيان الحقائق الإسلامية، فإن عليه القيام ببيان الأدلة الكافية العقلية فيها والنقلية للتوصل إلى المعرفة الحقّة والأصيلة لوجود الله عزوجل، وليس لهدف الجدال الفلسفي والنظري العقيم[140]، ثم ذكر رحمه الله قائلاً:

---

[138] المصدر السابق: ج2 – ص: 1031 .

[139] انظر في هذا الموضوع، علي محسن: **دع الإنجيل يتكلم**، الذي يثبت انحراف النصارى ويبين أخطاء الأناجيل:

Ali Muhsin, ***Let the Bible speak***: Islamic Da'wah &Guidance Center, Dammam, Saudi Arabia, -p: 7.

[140] كان من منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله أنه كثيراً ما كان يركز حديثه **عن الفطرة**–وأجهزة الاستقبال الفطرية – وأهمية إيقاظها وتحريكها لكي تستجيب للدعوة.. ولقد ورد الحديث عن الفطرة في هذه الصفحات: ج2-1053-1087-1088-1098-1123-1137-1138-1146-1153-1161و ج3 :1202.

"..ولقد عرضت الموجة الأولى حقيقة الألوهية ممثلة في خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وخلق الإنسان من طين، وقضاء الأجل الأول لعمره، وتسمية الأجل الثاني لبعثه. مقررة شمول ألوهية الله للسماوات وللأرض، وإحاطة علمه بسر الناس وجهرهم وما يكسبونه في السر والجهر.. كل أولئك لا لمجرد التقرير اللاهوتي أو الفلسفي النظري السلبي. ولكن لتقرير مقتضيات هذه الحقائق في الحياة الإنسانية. من إسلامها بجملتها لله وحده، لا تعدل به أحداً، ولا تمتري في هذه الوحدانية. ومن إقرارها بشمول الألوهية لشئون الكون ولشئون الحياة الإنسانية في السر والجهر. ومن ترتيب النتائج الطبيعية لهذه الحقائق في الاستسلام لحاكمية الله وحده في شؤون الحياة الأرضية كالاستسلام لهذه الحاكمية في الشؤون الكونية .." [141].

إن مبدأ التركيز على العقيدة أثناء القيام بالدعوة أولاً، أخذ هذا الجانب عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله مفهوماً أوسع وأعم وأشمل مما تعارف عليه الناس قديماً وحديثاً، من أن التوحيد يعني توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وعند البعض توحيد الأسماء [142]والصفات محصور في الأمور التعبدية فحسب، وليس له علاقة بأمور الحاكمية وتطبيق الشريعة؟! أما التوحيد عنده رحمه الله يشمل على:

---

[141] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**:ج2 – ص: 1047، وللشيخ رشيد رضا رحمه الله كلاماً جميلاً حول هذه المسألة. انظر: **تفسير المنار**: ج7-299-300.

[142]**قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله** : "..فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول..ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث. قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث..**ومذهب السلف:** أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.."**مجموع**

- **توحيد الولاية والتوجه.**
- **توحيد الاستسلام والعبودية.**
- **توحيد مصدر تلقي الشرائع والأوامر [143].**

والذي يبدو لي: إن توحيد الله في هذه المجالات الإضافية – أعني توحيد الولاية والتوجيه – لها أبعادها التربوية والعلمية والدعوية في حياة المسلمين تعتبر مهمة للغاية. كما أن مراجعة مسألة التقسيم لأنواع التوحيد أضحت ضرورية للغاية حتى لا يكون هذا هو الفهم والشرح محصورا في تلك المجالات فقط، لأن من خصائص الإسلام الشمول أو الشمولية؛ وهذا يعني أن الإسلام ينبغي أن يكون حاضرا ومطبقا في حياتنا العامة في المجال العقدي والأخلاقي والتشريعي والاقتصادي والسياسي والفكري، ولا يجوز حصر الشريعة في الجانب التعبدي أو العبادي فقط. هذا الأمر الذي ينبغي أن لا ننساه حينما نقوم ببيان وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس..﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: 85]، الإستسلام الكامل لله والتوحيد الخالص.. ﴿..**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر: 2]، ووحدانية المصدر في تلقي الشرائع والأوامر..﴿..**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ..**﴾ [يوسف: 40]، ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: 50]، وتوحيد الولاية والتوجه..﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: 196]، ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**

الفتاوى،ج5، ص: 6-26، طبع بأمر صاحب السمو الملكي ولي العهد: فهد بن عبد العزيز آل سعود-تصوير الطبعة الأولى، 1389 هجرية.. وهذا هو الوجه الأسلم والأصح في هذه المسألة والله أعلم بالصواب.

لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]، **﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: 14]، **﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾** [الأنعام: 164].

لنر الأستاذ سيد قطب ماذا يقول في هذا الصدد تفاصيل مفهوم الألوهية، قال رحمه الله:

"..فأما هذه الموجة الجديدة فتستهدف كذلك إبراز حقيقة الألوهية ، ممثلة في الملك والفاعلية، وفي الرزق والكفالة، وفي القدرة والقهر، وفي النفع والضر..كل ذلك لا لمجرد التقرير اللاهوتي أو الفلسفي النظري السلبي..ولكن لتقرير مقتضيات هذه الحقائق من توحيد الولاية والتوجه، وتوحيد الاستسلام والعبودية..واعتبار الولاية والتوجه مظهر الاستسلام والعبودية. فإذا أمر رسول الله أن يستنكر أن يتخذ غير الله ولياً؛ بين أن هذا الاستنكار قائم أولاً على أن الله يُطعِم ولا يطعم؛ وقائم ثانياً على أن تولي غير الله نقض لما أمر به من الإسلام وعدم الشرك أيضاً.." [144].

إذن نلاحظ هنا: تقريره لمقتضيات توحيد الألوهية تقريراً يبرز أهميته ويدعو إلى العمل بما يدل عليه من أعمال قلبية وأعمال الجوارح، على خلاف المنهج الفلسفي النظري السلبي. فأعطى بذلك بعداً عملياً (أو **حركياً** على حد تعبيره) لهذا الجانب المهم من التوحيد.

---

[144] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2-1047، وراجع بتوسع: **مقومات التصور الإسلامي**، القسم الثاني، فصل: ألوهية وعبودية، ص:81، وفصل: حقيقة الألوهية، ص: 189.

وفي تفسيره لقوله تعالى من السورة نفسها، ﴿ **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: 14]، يفسر معنى كلمة الولي بمعناه الواسع مبينا حقيقة التوحيد والشرك:

".. إن هذه القضية..قضية اتخاذ الله وحده ولياً. بكل معاني كلمة "**الولي**". أي اتخاذه وحده رباً ومولى معبوداً يدين له العبد بالعبودية ممثلة في الخضوع لحاكميته وحده ويدين له بالعبادة فيقدم له شعائرها وحده. واتخاذه وحده ناصراً يستنصر به ويعتمد عليه، ويتوجه إليه في الملمات.. إن هذه القضية هي قضية العقيدة في صميمها. فإما **إخلاص الولاء لله**– بهذه المعاني كلها –**فهو الإسلام**. وإما **إشراك غيره** معه في أي منها، فهو **الشرك** الذي لا يجتمع في قلب واحد هو والإسلام! .." [145].

أقول: هذا الذي ينبغي أن يكون مقرراً في نفس كل مسلم، وهو الذي يحتاج إلى أن يعرفه كل من يدخل في الإسلام طواعية..فإذا تم تقعيد هذا الكلام في نفوس المسلمين، فلا تخشى عليهم إن شاء الله من عدم تقديم أموالهم وأنفسهم لله رب العالمين.. فالإسلام الحق يقتضي الإخلاص الكامل لله عزوجل وعدم إشراك أحد غيره يبطل إيمانه وإسلامه.. ومن المحال أن يجتمعا في قلب المسلم المؤمن.

وفي هذا الصدد يقول العلامة الآلوسي البغدادي في تفسيره: بعد أن ذكر أن من إحدى معاني الولي هو المعبود..قال رحمه الله:

[145] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**: ج2–ص: 1054.

"وقيل:الولي بمعنى الناصر كما هو أحد معانيه المشهورة، ويعلم من إنكار اتخاذ غير الله تعالى ناصراً أنه لا يتخذه معبوداً من باب أولى.." [146].

ويقدم الأستاذ سيد قطب رحمه الله هنا سنداً ودليلاً واقعياً وشرعياً على أن هذا الولاء يجب أن يكون لله تبارك وتعالى، ولمن سيكون إن لم يكن لله تعالى؟ حيث يقول رحمه الله:

".. إنه منطق الفطرة القوي العميق..لمن يكون الولاء ولمن يتمحض؟ لمن إن لم يكن لفاطر السماوات والأرض الذي خلقهما وأنشأهما؟ لمن إن لم يكن لرازق من في السماوات والأرض الذي يطعم ولا يطلب طعاماً ؟ .." [147]. ويضيف رحمه الله قائلاً:

"..قضية واحدة محددة، لا تقبل ليناً ولا تميعا..إما إفراد الله سبحانه بالتوجه والتلقي، والطاعة، والخضوع، والعبادة، والاستعانة، والإقرار له وحده بالحاكمية في كل أمر من هذه الأمور ورفض إشراك غيره معه فيها؛ وولاء القلب والعمل، في الشعيرة والشريعة له وحده بلا شريك .. إما هذا كله فهو الإسلام .. وإما إشراك أحد من عباده معه في شيء من هذا كله فهو الشرك. الذي لا يجتمع في قلب واحد مع الإسلام.." [148].

---

[146] العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسى البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المتوفى سنة 1270هجرية، بيروت-لبنان، ط4-1985، دار إحياء التراث العربي، ج1-109.

[147] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2،ص: 1054 .

[148] المصدر السابق والصفحة نفسها،ويجدر ذكرها هنا أن للشرك عندالأستاذ سيد قطب مفهوم أوسع وأعم مما تعارف عليه كثير من الناس والعلماء. ولقد ذكر هو رحمه الله في تفسيره لسورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿**وَذَرِالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**... ﴾[الأنعام: 70]،قال: "..و لا نزال نجدنا في حاجة إلى تقرير من هم المشركون؟ إنهم الذين يشركون بالله أحداً في خصائص

ونلاحظ هنا مما سبق أن من منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله: شرح مفردات التوحيد وبيان مقتضياته وما يستلزمه من عمل وما يترتب عليه من إخلاص لله تعالى في سائر سلوك العبد.. في التوجه والتلقي والطاعة والعبادة..وفي كل أمر من أمور حياتنا، فهذا هو الإسلام الصافي النقي، وإلا فلا صفاء ولا نقاء.. وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ سيد قطب رحمه الله كان قد ذكره شيخ الإسلام بن تيمية من قبل في مؤلفاته[149].

الألوهية سواء في الاعتقاد بألوهية أحد مع الله. أو بتقديم الشعائر التعبدية لأحد مع الله. أو بقبول الحاكميةوالشريعة من أحد مع الله. ومن باب أولى من يدعون لأنفسهم واحدة من هذه، مهما تسموا بأسماء المسلمين! فلنكن من أمر ديننا على يقين.."، (**في ظلال القرآن**): ج2-1129. وقال في موضع آخر من ظلاله في تفسيره لسورة الأنعام: "إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك ولا يحكمون على المتحاكم على الطاغوت بالشرك، ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك..إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن. ولا يعرفون طبيعة هذا الدين.. فليقرؤوا القرآن كما أنزله الله، وليأخذوا قول الله بجد ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: 121]، (**في ظلال القرآن**): ج1216:3. وورد الحديث عن الشرك ومفهومه في هذه الصفحات أيضاً: جـ-1130 و جـ 3-1233، وأنا شخصياً أميل إلى هذا الذي ذكره الأستاذ سيد قطب رحمه الله، إذ لا يجوز تخصيص الشرك على عابد الوثن أو عابد القبر فقط، إذ لا مخصص له في الشرع، فيبقى الأمر على عمومه حتى يرد التخصيص، والله أعلم.

[149] يقول الإمام الذهبي في ترجمة شيخ الإسلام **بن تيمية** رحمه الله: "الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، الفقيه، المجتهد، المفسر، البارع، شيخ الإسلام، عَلَمُ الزهاد، نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد بن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ين الإمام المجتهد، شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام. ولد في ربيع الأول سنة 661 هجرية، وقدم مع أهله سنة سبع، فسمع من عبد الدائم وبن أبي اليسر والكمال ودار على الشيوخ، وخرج وانتقى وبرع في علم الرجال وعلل الحديث وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك. فكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد. أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان، لعلها ثلاثمائة مجلد. حدّث بدمشق ومصر والثغر، وقد امتحن

في قضية الشرك ومفهومه ..[150].

يلاحظ مما سبق من كلام الأستاذ سيد قطب أن الداعية، عليه أن يكون بصيراً وواعياً في دعوته للناس حول حقيقة الألوهية ومقتضياتها.. وعليه أن يحسن فهم القرآن وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،حتى يقدم للناس هذا الإسلام صافياً ونقياًكما أنزله الله رب العالمين من غير زيادة ولا نقصان، لاكما تشتهيه الأهواء والأنفس.. لقد سلك نهجاً فريداً في استنباط الدروس والعبر والعظات من كتاب الله تعالى، ولم يتأثر بأحد من العلماء تأثيراً يجعله يقلده تقليد الأعمى، وإنما وظف قدرته

وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة والاسكندرية وبقلعة دمشق مرتين وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة 728 هجرية، في قاعة معتقلاً، ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد فشهده أمم لا يحصون، فخرروا ستين ألفاً ودفن إلى جنب أخيه الإمام شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية رحمهما الله تعالى.." **تذكرة الحفاظ** للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي، المتوفى 748 هجرية. صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة العثمانية، دار إحياء التراث العربي، ج3-4، ص: 1496.

[150] قال الإمام بن تيمية رحمه الله في تفسير الآية من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: 31]:" وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً – حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحليل ما أحل الله يكونون على وجهين:أحدهما:أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء..والثاني:أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثانياً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله،كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب،كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«**إنما الطاعة في المعروف**» وقال: «**على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية**» وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** » وقال:« من أمركم بمعصية فلا تطيعوه ».."، مجموع الفتاوى،كتاب الإيمان،ج7-70 .

العلمية وملكته اللغوية وبعون الله اهتدى إلى هذه الحقائق والمسلمات[151]. لنعش مع هذه المقتطفات من تفسيره حتى تتجلى لنا هذه القضية أكثر وتتبلور لنا أهميتها بشكل أوضح. يقول رحمه الله:

".. ولمسة أخرى من حقيقة الألوهية..لمسة القوة القاهرة فوق العباد. والرقابة الدائمة التي لا تغفل. والقدر الجاري الذي لا يتقدم ولا يتأخر، والمصير المحتوم الذي لا مفر منه ولا مهرب. والحساب الأخير الذي لا يني ولا يمهل.. وكله من الغيب الذي يلف البشر ويحيط بالناس.. ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾[الأنعام:61 – 62].

﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾.. فهو صاحب السلطان القاهر؛ وهم تحت سيطرته وقهره هم ضعاف في قبضة هذا السلطان؛ لا قوة لهم ولا ناصر. هم عباد. والقهر فوقهم. وهم خاضعون له.." [152].

وهنا يقدم رحمه الله سنداً تاريخياً وواقعياً وشرعياً على حقيقة ألوهية الله سبحانه وأن هذه الحقيقة تتجلى في عدة مجالات، ولا شك أنّ الرجوع إلى التاريخ الإسلامي الصحيح للعبرة والاتعاظ من أحداثها كان من أهم مصادر فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وقد كان من منهجه في التفسير أن يقسم الآيات القرآنية إلى موضوعات إيمانية مختلفة تيسيراً لتفسيرها، واتبع هذا المنهج قائلاً:

". وحقيقة الألوهية في هذه الموجة تتجلى في مجالات شتّى؛ نجملها هنا – قبل تفصيلها في استعراض النصوص القرآنية:

---

[151] انظر: **منهج سيد في ظلال القرآن**، ج1، ص 280 -350، ججج2 ص 400-450

[152] قطب، سيد، **في ظلال القرآن** : ج2 ، ص : 1109

1- تتجلى في قلب رسول الله وهو يجد في نفسه بينة من ربه، هو منها على يقين، لا يزعزعه تكذيب المكذبين. ومن ثم يخلص نفسه لربه، ويفاصل قومه مفاصلة المستيقن من ضلالهم يقينه من هداه، قال تعالى:﴿**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾[الأنعام:56-57].

2 - وتتجلى في حلم الله على المكذبين، وعدم استجابته لاقتراحاتهم أن ينزل عليهم خارقة مادية حتى لا يعجل لهم بالعذاب عند تكذيبهم بها – كما جرت سنته تعالى – وهو قادر عليه. ولو كان رسول الله يملك هذا الذي يستعجلون به، ما أمسكه عنهم، ولضاقت بشريته بهم وبتكذيبهم. فإمهالهم هذا الإمهال هو مظهر من مظاهر حلم الله ورحمته، كما أنها مجال تتجلى فيه ألوهيته، قال تعالى:﴿ **قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام:58].

3 -وتتجلى في علم الله بالغيب؛ وإحاطة هذا العلم بكل ما يقع في هذا الوجود؛ في صورة لا تكون إلا لله؛ ولا يصورها هكذا إلا الله، قال تعال: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام: 59].

4 - وتتجلى في هيمنة الله على الناس وقهره للعباد في كل حالة من حالاتهم، في النوم والصحو، في الموت والحياة، في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا**

جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:60-62].

5 -وتتجلى في فطرة المكذبين أنفسهم، حين يواجهون الهول؛ فلا يدعون إلا الله لرفعه عنهم.. ثم هم مع ذلك يشركون، وينسون أن الله الذي يدعونه لكشف الضرقادر على أن يذيقهم ألوان العذاب فلا يدفعه عنهم أحد، قال تعالى: **﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾** [الأنعام: 63-65].."[153].

نلاحظ مما سبق أنه كان من منهج الأستاذ سيد قطب في فهم آيات الدعوة رجوعه إلى التاريخ الإسلامي الصحيح والسيرة النبوية العطرة وتاريخ الأمم الغابرة ومواقفهم مع الرسل، والدروس والعبر المستفادة من ذلك، ثم إنه من منهجه أيضاً لفت أنظار الناس إلى صفات الله تعالى وقدرته التي تتجلى في كل شئ،كعلمه تعالى بالغيب، وهيمنته على تصرفات الناس وأحوالهم.

نفهم أيضاً من تفسيره رحمه الله لهذه المقاطع من هذه السورة المباركة أن على الداعية أن يكون شمولياً في فكره ومنهجه، فالمدعو أحياناً لا تقنعه الحجة الفكرية والبرهان العلمي، فهنا يلجأ الداعية إلى البرهان التاريخي، لبيان عظمة وصبر وحلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ربما قد لا تقنعه اللفتة التاريخية أيضاً، فيلجأ الداعية إلى استعراض مشاهد القيامة وأهوالها الشديدة وحال الناس يومئذٍ، فيخبره بأن فطرته

[153] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج2 – ص:1108 –1109، وانظر بتوسع، قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، فصل: **(حقيقة الألوهية)**، ص: 189.

البريئة وطبيعته البشرية قبل الإنحراف والشرك أو الضلال.. هذه الفطرة الإنسانية هو دليل آخر بأنه لن يرتاح ضميره ولن يهدأ باله دون اللجوء إلى إلهٍ رحيمٍ لطيفٍ وقهار في آنٍ واحد.. فالمطلوب من الداعية أن يكون مستعداً علمياً وفكرياً وأن يتسم بالشمولية الفكرية والتعددية الثقافية لإقناع المدعويين.. هذا الذي رأيناه عند أستاذنا سيد قطب رحمه الله في كيفية تناوله للآيات القرآنية، والله أعلم.

والأستاذ سيد قطب هنا تطرق إلى قضية أخرى لا تقل أهميتها عما سبقتها من القضايا العقدية. وهذا من منهجه في فهم آيات الدعوة. وهذه القضية تتعلق بتوضيح المراد من الاصطلاحات الشرعية التي يستعملها الشرع الحنيف، فمن هذه الاصطلاحات:

المراد بالألوهية والحاكمية:

- " ..وكذلك يجب أن يكون الله هو الحاكم في حياة العباد.
  - وألا يكون لغيره أمر ولا نهي.
  - ولا شرع ولا حكم.
  - ولا تحليل ولا تحريم.. **فهذا كله من خصائص الألوهية.**
- ولا يجوز أن يزاوله في حياة الناس أحد من دون الله:
  - لا يخلق ولا يرزق.
  - ولا يحيي ولا يميت.
  - ولا يضر ولا ينفع.
  - ولا يمنح ولا يمنع.
  - ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة..

وسياق السورة يسوق على هذه القضية أدلته في تلك المشاهد والمواقف والإيقاعات البالغة حد الروعة الباهرة، والتي تواجه القلب بالحشود الحاشدة من المؤثرات الموحية، من كل درب ومن كل باب ! .." [154].

إن فهمه رحمه الله لقضية العقيدة على الوجه الذي ذكر، انبنى على أساس راسخ وقوي، أساس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهو رحمه الله ذكر هذه الحقيقة مراراً.. حيث قال رحمه الله:

"..فالعقيدة في الإسلام تقوم على شهادة: **لا إله إلا الله**. وبهذه الشهادة يخلع المسلم من قلبه ألوهية كل أحد من العباد ويجعل العبودية لله. ومن ثم يخلع الحاكمية عن كل أحد ويجعل الحاكمية كلها لله.." [155].

فاستطاع رحمه الله أن يكوّن لنفسه فكرة واضحة عن فهمه لهذا الدين..إن الذي جره إلى إعلان تلك الأفكار السابقة، هو فهمه أن لهذا الإسلام طبيعة خاصة، وأن طبيعة هذا الدين،كما عبر هو بنفسه تقوم:

"..على قاعدة الألوهية الواحدة..كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق هذا الأصل الكبير..وأن نظامه يتناول الحياة كلها ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها..وأن هذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته،يحدد منهجه في بناء نفسه وفي امتداده،ويجعل بناء العقيدة وتمكينها وشمول هذه العقيدة واستغراقها لشعاب النفس كلها..ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة.." [156].

---

[154] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**:ج3 – ص:1179-1180، يراجع: **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، للأستاذ سيد قطب، (**فصل الربوبية**).

[155] المصدر السابق: ج3 –ص: 1211، ويراجع **خصائص التصور الإسلامي**، (فصل الألوهية).

[156] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**:ج2 – ص: 1009، بتصرف.

لقد أدرك الأستاذ سيد قطب رحمه الله أهمية الشروع في الدعوة بالعقيدة أيضاً من خلال دراسته لنزول القرآن منجماً والفترة الزمنية الطويلة التي استغرقها نزول القرآن في العهد المكي.هذه الظاهرة "**ظاهرة القرآن المكي**" أوقفت سيداً طويلاً في استنباط الحِكم والدروس منها واستلهام استراتيجيات الدعوة وأساليبها..وهذا مما لا شك فيه البتة أنها من إحدى أسس منهجه القوية في فهمه لآيات الدعوة. ولعل هذا هو السبب الرئيسي، مما جعله رحمه الله تعالى يفرد مقدمة طويلة لسورة الأنعام، قياساً على غيرها من المقدمات التي كتبها للسور عند التعريف بها، حيث أكد رحمه الله في منهجه وفهمه لآيات الدعوة نتيجة لدراسة هذه المرحلة الطويلة التي استغرقت في بناء النفوس قبل تكليفها بتكليفات الشرع، وعبّر عنها قائلاً:

"..ولم يكن شيء من هذا المنهج المبارك ليتحقق على هذا المستوى الرفيع، إلا أن تبدأ الدعوة ذلك البدء، وإلا أن ترفع الدعوة هذه الراية وحدها.. راية لا إله إلا الله.. ولا ترفع معها سواها .. وإلا أن تسلك الدعوة هذا الطريق الوعر الشاق في ظاهره المبارك الميسر في حقيقته.. وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله، لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية، أو دعوة اجتماعية، أو دعوة أخلاقية. أو رفعت أي شعار إلى جانب شعارها الواحد: " **لا إله إلا الله** " .." [157].

إذن نخلص في نهاية هذا المبحث أن الدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة والدعوة إلى اعتقاد ألوهية الله في كل شيء، والدعوة إلى حاكمية الله المطلقة في كل شيء، والدعوة إلى التوحيد.. **دعوة لا إله إلا الله.. محمد رسول الله**..، يجب أن تسبق جميع الدعوات الأخرى حتى يتم إصلاح الفرد والمجتمع على الوجه الذي يريده الله سبحانه وتعالى كما سنرى لاحقا، والله أعلم.

[157] نفس المصدر، ص: 1010.

المطلب الثاني: إصلاح المجتمع وفق منهج قرآني

تبين فيما سبق أن الإسلام دعا أولاً إلى تثبيت العقيدة في النفوس على معرفة حقيقة الألوهية والعبودية بمعناهما الواسع وأبعادهما السلوكية والفكرية. فإذا تحقق هذا الأمر وتوغل الإيمان في نفوس أصحابها واستيقنا من أن العقيدة الإسلامية قد ثبتت واستقرت في قلوب الأفراد؛ ننتقل بعد ذلك إلى إتمام البناء وإكماله. والذي نعنيه بهذا البناء: هو المجتمع، المتمثل في أخلاقه وحياته ونظامه، وهذا المجتمع يجب أن يكون مبنياً على أساس القرآن والسنة، وأن يسير وفق تعاليم الإسلام في حياته وأن يكون الداعية واثقا بوعد الله بأنه سينصره، وأن يكون أيضا واثقا بنفسه قوي الإيمان بالله عز وجل، "..وأن الداعية يجب أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، مُتوّجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة إلى الحركة والعمل وتشغله بها عن نفسه وولده وماله، وهذا هو الداعية الصادق، يحس إيمانه بدعوته الصادق الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.." [158].

هذا أمر ينبغي أن لا ننساه. وأما عن ماهية هذا المنهج الذي نناشد للالتزام به، وكيفية استخلاصه من سورة الأنعام، وما القضايا الدينية الكبيرة التي يجب أن يتفطن الداعية لها وأن يفهمها حق الفهم، حتى نصلح المجتمع ونبنيه وفق المنهج القرآني، فنحن بحاجة إلى معرفة موقف ورأي الأستاذ سيد قطب من بعض القضايا والمسائل الدينية الراهنة الذي اتهموه كثيراً ولا يزالون يتهمونه الآن في الوقت الراهن ولا

158 البهي، الخولي: **تذكرة الدعاة**، بيروت، ط2، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم، 1983، ص: 44-50.

سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مثل قضية العنف واستخدام القوة، وقضية المفاصلة والمقاطعة عن المجرمين والعصاة، ومسألة الشرك والمشركين..إلخ.

هذه الأسئلة وغيرها هي التي سيجيب عنها الأستاذ سيد قطب وهو يفسر آيات الدعوة في تفسيره **في ظلال القرآن**..أقول وبالله التوفيق والهداية:

أولاً: مسألة لجوء الدعاة إلى العنف

ويحسن في هذا المقام وأنا بصدد دراسة منهج الأستاذ سيد قطب الدعوي من خلال فهمه لآيات الدعوة أن يورد بعضاً مما كتبه هو في مكان آخر من مؤلفاته في هذا الشأن، حتى نكون على بينة من الأمر في ذلك.

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في رسالة له، كتبها استجواباً للسلطات الأمنية المصرية أثناء محاكمته في سجن من السجون العسكرية المصرية السيئة السمعة والمعروفة بالتعذيب والتنكيل والقتل، وهذه الوثيقة في غاية الأهمية كتبها الأستاذ سيد قطب عندما استجوبوه وحققوا معه حتى يبين فيها نشاطه وتنظيم حركته وانضمامه إلى صفوف الإخوان المسلمين، قال فيها:

"..لا يجوز البدء بأي تنظيم إلا بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة ومن الأخذ بالخلق الإسلامي في السلوك والتعامل ومن الوعي الذي تقدم ذكره..ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية هو نقطة البدء ولكن نقطة البدء هي نقل المجتمعات ذاتها –حكاماً أو محكومين– عن الطريق السالف إلى المفهومات الإسلامية الصحيحة، وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في اتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية.

وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة عن طريق انقلاب في الحكم يجئ من أعلى، ولكن عن طريق تغير في تصورات المجتمع كله–أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله–وفي قيمه وأخلاقه والتزامه بالإسلام يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لا بد منها في حسهم.." [159].

(الأستاذ سيد قطب نازلا من سيارة شحن متجها إلى المحكمة)

يظهر مما سبق من كلام الأستاذ أنه لا مناص ولا انفكاك من تربية المجتمع أولاً تربية إسلامية صحيحة، وأن شهادة الأستاذ سيد قطب رحمه الله واضحة وضوح الشمس، وأنه كان لا يرى التوصل إلى الحكم عن طريق الانقلاب أو الثورة كما اتهموه أعداؤه قديما وحديثا، وأن جماعته التي انتمى إليها – جماعة الإخوان المسلمين المظلومة عبر التاريخ إلى يومنا هذا – بريئة من كل هذه التهم والافتراءات التي افتعلت واختلقت في حقها. لعمري هذا لأكبر دليل على براءة فكر الأستاذ سيد قطب وجماعة الإخوان المسلمين من افتراءات أعدائهم الصهاينة والصليبيين والعلمانيين والليبراليين والملحدين.

[159] قطب، سيد، **لماذا أعدموني**، كتاب الشرق الأوسط، الناشر الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، ص: 43.

(الأستاذ سيد قطب مع إخوانه في المحكمة، الأول من اليمين)

لقد اتهم الإمام حسن البنا ومن بعده الأستاذ سيد قطب على أنهما من أكبر وأهم العناصر التي تربي الإخوان المسلمين على التطرف والثورة والعنف والقتل؟! وإلى غير ذلك من التهم الباطلة[160].

لا شك أن هؤلاء وأمثالهم يحكمون كيفما تملي لهم أهواؤهم ونفوسهم لا تمت إلى الحقيقة بأي صلة، لأنهم لو رجعوا إلى تعاليم الإمام حسن البنا و تعاليم الأستاذ

[160] تصفح على سبيل المثال بعض المواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، لتقف على تلك الإفتراءات والأكاذيب، ولا سيما الهجمات الشرسة على الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11/9 ونحن نود أن نؤكد هذه الشهادة لله وللتاريخ مرة أخرى في الدفاع عن القرآن وأهله أي عن فكر الأستاذ سيد قطب وجماعته، حيث تشهد مصر حركات احتجاجية لليوم التاسع على التوالي مطالبين برحيل الرئيس مبارك وتغيير النظام، ومن المؤكد بشهادة المسلمين والأوروبيين والأمريكان أن جماعة الإخوان المسلمين لم يقوموا بتحريض الشعب على الثورة أو الإنقلاب، وإنما غالبيته الشباب المعاصر هم الذين قاموا بتنظيم هذه المظاهرات هم من عامة الناس وينتمون إلى جماعات وأحزاب سياسية مختلفة لا علاقة لجماعة الإخوان المسلمين بهم. وهذا دليل ساطع وبرهان ناصع على أن حركة الإخوان المسلمين قديماً وحديثاً ملتزمون بتعاليم الجماعة بالحوار والإصلاح والتربية والتوعية والتثقيف للمجتمع المسلم وأنهم لم يكونوا، بل وليسوا من دعاة التعنف والتطرف والانقلاب. بل العكس هو الصحيح، والله أعلم.

سيد قطب رحمهما الله لعرفوا أنهما بريئان منها، وهذا هو اعتقادنا فيهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً [161].

(الإمام حسن البنا والأستاذ سيد قطب رحمهما الله)

[161] انظر المصدر السابق من أول الكتاب إلى آخره، وانظر: د/علي عبد الحليم محمود: **منهج التربية عند الإخوان المسلمين**-دراسة تحليلية تاريخية -، ج1 بأكمله، وج2 إلى النصف، المنصورة - مطابع دار الوفاء –ط2-1992، وانظر: **مجموعة الرسائل للإمام البنا**، دار الشهاب، دون ذكر للطبعة والسنة.

د/محمد مرسي: الرئيس الشرعي لمصر مسجونا، والذي فاز بالأغلبية في الانتخابات الديموقراطية بعد الثورة مع المرشد العام د/ محمد بديع خلف القضبان – فرج الله عنهما

ثانياً: طبيعة هذا الدين وشموليته

هذا، والجدير بالذكر هنا فهم طبيعة هذا الدين وشموليته وأن هذا المجتمع لا يصلح له إلا المنهاج الرباني المتمثل في تعليمات القرآن والسنة المطهرة وهدي السلف الصالح. لقد ثبت لدي أثناء دراستي لفكره ومنهجه في التفسير والدعوة أن الأستاذ سيد قطب كان سلفي المنهج والعقيدة[162]، ولم أقف أنا شخصيا له على مسألة انفرد بها أو شذ عن أهل السنة والجماعة[163] – ولا نزكي على الله أحدا والله حسيبه – وأن الذين نالوا من قدره وبخسوا حقه وطعنوه في فكره وعقيدته هم بشر مثلنا، قد بحثوا عن عيوبه وزلاته ولم يروا شيئا من ميزاته وعبقريته!! وهذا ظلم كبير وغلطة علمية

[162] وانظر أيضا: **منهج سيد قطب في العقيدة** – رسالة الدكتوراه – للدكتور ماجد شبالة من اليمن ، وانظر أيضا: **منهج سيد قطب في الظلال** – رسالة الدكتوره –للدكتورة أسماء عمر حسن فدعق من السعودية.

[163] الدكتور ماجد شبالة أشار في رسالته عن مسألتين خالف فيها الأستاذ سيد قطب القول الراجح وهما: خروج يأجوج والميزان.

ومنهجية لا يغتفر لهم، إلا بالتوبة النصوح وإصدار كتابات وبحوث تنسخ دراساتهم السابقة وتفند مطاعنهم وتدحض أباطيلهم وشبهاتهم، حسبي الله عليهم ونعم الوكيل.

كما أن أكثر الذين اتهموه هم منعّمون في هذه الدنيا في ظل المكيفات والمياه الباردة ولم يصابوا بأدنى أذى في أجسادهم...!! بينما الأستاذ سيد قطب دفع حياته ورقبته ثمنا لهذا الدين والقرآن. ألا فليتق الله هؤلاء الإخوة وليكفوا ألسنتهم وأيدهم عن السوء، و ودّوا لو أننا نضل وننحرف كما انحرف وضل هؤلاء في حق الأستاذ سيد قطب! والمسلم الحقيقي ينبغي أن يسلم من لسانه ويده المسلمون؛ الأحياء منهم والأموات لأنهم قد أفضوا إلى ربهم، بينما نحن ننتظر ولا ندري ماذا يفعل بنا ولا بكم! ونحناج اجتهدنا ولم نر شيئا مخلا بالقرآن أو السنة أو هدي السلف في فكر وعقيدة الأستاذ سيد قطب...وكل حسب نيته...والمشركون أيضا اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ذلك لم يؤثر قط في شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا له ساحر ومجنون وازدُجر! وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا!! وهذه هي سنة الله على وجه الأرض إلى قيام الساعة ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: 62].

وعودا إلى بيان طبيعة هذا الدين الذي تفطن له الأستاذ سيد قطب والذي أكد عليه الأستاذ مرارا وتكراراً، حيث قال رحمه الله:

"..إن طبيعة هذا الدين هي التي قضت بهذا.. فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهية الواحدة..كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا الأصل الكبير.. وكما أن الشجرة الضخمة الباسقة الوارفة المديدة الظلال المتشابكة الأغصان، الضاربة في الهواء.. لا بد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة، وفي مساحات واسعة؛ تناسب ضخامتها وامتدادها في الهواء.. **فكذلك هذا الدين..إن نظامه**

يتناول الحياة كلها؛ ويتولى شؤون البشرية كبيرها وصغيرها؛ وينظم حياة الإنسان لا في هذه الحياة الدنيا وحدها، ولكن كذلك في الدار الآخرة؛ ولا في عالم الشهادة وحده ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها؛ ولا في المعاملات الظاهرة المادية، ولكن في أعماق الضمير ودنيا السرائر والنوايا.. فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية.. ولا بد له إذن من جذور.." . ويضيف رحمه الله قائلاً:

"..هذا جانب من سر هذا الدين وطبيعته؛ يحدد منهجه في بناء نفسه وفي امتداده ويجعل بناء العقيدة تمكينها، وشمول هذه العقيدة واستغراقها لشعاب النفس كلها.. ضرورة من ضرورات النشأة الصحيحة، ومتى استقرت عقيدة : " **لا إله إلا الله**" في أعماقها الغائرة البعيدة، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه : "**لا إله إلا الله**"؛ وتعين أن النظام الوحيد الذي ترتضيه النفوس التي استقرت فيها العقيدة.. واستسلمت هذه النفوس ابتداءً لهذا النظام حتى قبل أن تعرض عليها تفصيلاته، وقبل أن تعرض عليها تشريعاته. فالاستسلام ابتداءً هو مقتضى الإيمان، وبمثل هذا الاستسلام تلقت النفوس تنظيمات الإسلام وتشريعاته بالرضى والقبول، لا تعترض على شيء منه فور صدوره إليها، ولا تتلكأ في تنفيذه بمجرد تلقيها له.

وهكذا أبطلت الخمر، وأبطل الربا، وأبطل الميسر، وأبطلت العادات الجاهلية كلها، أبطلت بآيات من القرآن، أو كلمات من رسول الله بينما الحكومات الأرضية تجهد في شيء من هذا كله بقوانينها وتشريعاتها ونظمها وأوضاعها، وجندها وسلطانها، ودعايتها وإعلامها فلا تبلغ إلا أن تضبط الظاهر من المخالفات.." [164].

يلاحظ جليا مما سبق أن الأستاذ سيد قطب سلك في فهم آيات الدعوة أسلوب القرآن في بيان أمور الدين والعقيدة مع ضرب الأمثال للناس. والدعاة مطالبون

[164] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج 2-1009-1010.

بتنويع الأساليب الدعوية أيضا مع المدعوين، وأفضل كتاب على الإطلاق من نوّع في الأساليب الدعوية بضرب الأمثال المختلفة وأحسن القصص هو القرآن الكريم. فقد كان رحمه الله يهدف من وراء هذا الأسلوب بيان شمولية هذا الدين لكل جوانب الحياة صغيرها وكبيرها، وأن هذا هو سر هذا الدين وطبيعته، وبدون هذا الفهم الشمولي لن يستقيم أمر المسلمين حاضراً ولا مستقبلاً، وأن مثال الشجرة السابقة خير مثال للدعاة إلى الله في بيان فضل العقيدة وغرسها في القلوب كما كان حال السلف الصالح.

ثالثاً: نقطة الانطلاق: تحديد سبيل المؤمنين من سبيل المجرمين

وقد يقول قائل:حسناً إننا نرتضي القرآن منهجاً لحياتنا..ولكن ما خطة هذا المنهج الرباني في العقيدة والحركة، ومن لنا بتحديد معالم هذا المنهج ؟ ومن أين نبدأ وننطلق ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من التعرض إلى بعض المسائل المهمة في حديث الأستاذ عن الدعوة لإصلاح المجتمع وفق منهج قرآني فريد، ليكون هذا هو المنطلق وتكون هذه الخريطة التي يجب أن ينطلق المسلمون منها عامة والدعاة إلى الله خاصة.. تُرى كيف كانت رؤية الأستاذ سيد قطب حول تلك المسائل؟

الجواب عن هذا السؤال نجده عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله عندما حدد وبين لنا نقطة الانطلاق..وقضية المفاصلة والبراء من المشركين والجاهلية التي من حولنا. ولعل كثرة تكراره لهذه القضية يشعرنا للوقوف عندها وقفة متأنية، لاستبيان أبعادها ومدلولها..[165].

[165] ورد الحديث عن هذه المسألة – المفاصلة واستبانة سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين والبراء من المشركين والجاهلية في هذه الصفحات: 1053، 1055، 1057، 1058،1105، 1106،

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

".. ومن هنا يجب أن تبدأ كل حركة إسلامية بتحديد سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين...يجب أن تبدأ من تعريف سبيل المؤمنين وتعريف سبيل المجرمين...ووضع العنوان المميز للمؤمنين، والعنوان المميز للمجرمين، في عالم الواقع لا في عالم النظريات...فيَعرِف أصحاب الدعوة الإسلامية والحركة الإسلامية من هم المؤمنين ممن حولهم ومن هم المجرمون، بعد تحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلامتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم، بحيث لا يختلط السبيلان ولا يتشابه العنوانان ولا تلتبس الملامح والسمات بين المؤمنين والمجرمين.." [166].

وهنا كما هو ملاحظ عند الأستاذ سيد قطب أنه شدَّدَ نظريا على هذا الجانب، وبما أن الناحية النظرية غير كافية. فقد عجّل الأستاذ سيد قطب بالجواب مُطَمْئِناً الدعاة إلى الله والعلماء قائلاً وشارحاً هذا الجانب النظري، حيث قال رحمه الله:

".. سبيل المسلمين هي سبيل الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن معه..وسبيل المجرمين هي سبيل من لم يدخل معه في هذا الدين..وهذا التحديد كان قائماً، وهذا الوضوح كان كاملاً، يوم كان الإسلام يواجه المشركين في الجزيرة العربية. فكانت سبيل المسلمين الصالحين هي سبيل الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن معه. وكانت سبيل المشركين المجرمين هي سبيل من لم يدخل معهم في هذا

1107، 1109، 1125، 1126، 1127، 1128، 1131، 1141، 1167، 1168، (في المجلد الثاني من تفسيره **في ظلال القرآن**)، و1215،1239 (في ج 3 من تفسيره **في ظلال القرآن** ، وكان للأستاذ سيد قطب في هذه المسألة موقف حاسم وقاطع، لا يعرف التهاون والمجاملة.

[166] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2-1106، ويراجع بتوسع: **طريق الدعوة في ظلال القرآن**، لأحمد فائز، بيروت، لبنان مؤسسة الرسالة ط11-1985، ج1، ص: 153.

الدين..وحيثما واجه الإسلام الشرك والوثنية والإلحاد والديانات المنحرفة المتخلفة من الديانات ذات الأصل السماوي بعد ما بدلتها وأفسدتها التحريفات البشرية حيثما واجه الإسلام هذه الطوائف والملل كانت سبيل المؤمنين الصالحين واضحة وسبيل المشركين الكافرين المجرمين واضحة كذلك..لا يجدي معها التلبيس!.." [167].

إذن لابد لنا من بيان سبيل الملحدين والاشتراكيين والشيوعيين والليبراليين والديموقراطيين والشيوعيين والقوميين والرأسماليين والأوروبيين والأمريكيين .. الخ، من سبيل المسلمين والمؤمنين وأن لا نخلط بين هذه السبل وما أكثرها في هذا الزمان.

وبعد بيان الجواب ونقطة الانطلاق، تطرق رحمه الله إلى بيان العقبات والمشقات التي يمكن أن تعتري أمام الدعاة وأنها يمكن أن تحول بينهم وبين تحقيق وتطبيق شريعة الله عزوجل وتنفيذه على الأرض، حيث قال رحمه الله:

".. ولكن المشقة الكبرى التي تواجه حركات الإسلام الحقيقية اليوم ليست في شيء من هذا؛ إنها تتمثل في وجود أقوام من الناس من سلالات المسلمين. في أوطان كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام. يسيطر عليها دين الله، وتحكم بشريعته. ثم إذا هذه الأرض، وإذا هذه الأقوام، تهجر الإسلام حقيقةً، وتعلنه اسماً. وإذا هي تتنكر لمقومات الإسلام اعتقاداً وواقعاً..." [168].

يفهم من كلام الأستاذ سيد قطب، أن المشكلة الكبرى اليوم تكمن لدى بعض الناس والدول الإسلامية التي تتظاهر بأسماء إسلامية شكلاً، بينما في المضمون هم يهجرون تعاليم الإسلام ولا يطبقونه، والأستاذ رحمه الله كما هو ملاحظ؛ كان من منهجه أن يطرح إشكالية أو سؤالاً ثم يجيب عليها ولا يترك القارئ محيراً، فهذه طريقة تربوية معاصرة مؤثرة جدا في التربية والتعليم وعلينا كأكاديميين أن نستفيد منها

[167] نفس المصدر والصفحة.

[168] نفس المصدر السابق والصفحة.

في محاضراتنا في الكليات أثناء التدريس. وبعد أن بين هذا الخطأ الموجود بين رحمه الله حقيقة الإسلام ونواقض التوحيد ونواقض الشهادتين قائلاً:

"..حقيقة الإسلام ..فالإسلام شهادة أن لا إله إلا الله.. وشهادة أن لا إله إلا الله تتمثل في الاعتقاد: بأن الله – وحده – هو خالق هذا الكون المتصرف فيه، وأن الله – وحده – هو الذي يتقدم إليه العباد بالشعائر التعبدية ونشاط الحياة كله، وأن الله – وحده – هو الذي يتلقى منه العباد الشرائع ويخضعون لحكمه في شأن حياتهم كله، **وأيما فرد لم يشهد أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فإنه لم يشهد ولم يدخل في الإسلام بعد، كائناً ما كان اسمه ولقبه ونسبه، وأيما أرض لم تتحقق فيها شهادة أن لا إله إلا الله – بهذا المدلول – فهي أرض لم تدن بدين الله** [169]**، ولم تدخل في الإسلام بعد، وفي الأرض اليوم أقوام من الناس أسماؤهم أسماء المسلمين، وهم من سلالات المسلمين، وفيها أوطان كانت في يوم من الأيام دارا للإسلام، ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إله إلا الله – بذلك المدلول – ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضى هذا المدلول**.. أشق ما تعانيه هذه الحركات، هو الغَبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله، ومدلول الإسلام في جانب، وبمدلول الشرك وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر، وعدم استبانة طريق

[169] إن الإنصاف والمنهجية العلمية والأمانة الدينية تدفعنا إلى التصريح في هذا المقام بأن هذا المقطع من كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى هو من قبيل الكلام المتشابه والمشكل الذي قد يُفهم منه بأنه يكفر المسلمين والمجتمعات المسلمة قاطبة!! غير أننا كما بينا أكثر من مرة وأكثر من موضع في هذا الكتاب بأن الحكم على الأستاذ سيد قطب بأنه يكفر الناس ويخرجهم من ملة الإسلام بناء على هذا الكلام هو حكم باطل وغير صحيح...هذا الكلام المتشابه والمشكل ينبغي أن يرد ويحتكم إلى الكلام المحكم والقطعي الذي ذكره في المؤلفات الأخرى.

المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين؛ والتباس الأسماء والصفات؛ والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق!.." [170].

يتضح من كلام الأستاذ سيد قطب تركيزه على وجوب بيان المنهج الإسلامي بتفاصيله ودقائقه للأمة الإسلامية قاطبة وللدعاة خاصة، وقد أشار أن الغبش والاختلاط في مفاهيم وتصورات المسلمين في عصرنا الحاضر يعود إلى عدم فهمهم لهذا الموضوع، وبُعد الناس عن تعليمات الدين، وأن الأمر أصبح مختلطاً عليهم في كثير من القضايا. ثم تطرق الأستاذ إلى شرح وبيان بعض المسائل الدينية المتعلقة بما سبق، وهي بيانه لحدود المفاصلة مع الفاسقين والمجرمين والعصاة، إلى أي حد يكون؟ ومع من يكون؟ ومتى يجوز مجالستهم؟ ومن هم المشركون؟ وما هي حدود المخالطة مع الفاسقين؟ فقال رحمه الله:

".. ولا نزال نجدنا في حاجة إلى تقرير من هم المشركون؟ إنهم الذين يشركون بالله أحداً في خصائص الألوهية، سواء في الاعتقاد بألوهية أحد مع الله [171]، أو بتقديم الشعائر التعبدية لأحد مع الله [172]، أو بقبول الحاكمية والشريعة من أحد مع الله[173]، ومن باب أولى من يدعوه لأنفسهم واحدة من هذه، مهما تسموا بأسماء المسلمين! فلنكن من أمر ديننا على يقين! حدود مجالسة الظالمين – أي المشركين – والذين يتخذون دينهم لعبا ولهوا...وقد سبق القول بأنها لمجرد التذكير والتحذير، فليست لشيء وراء ذلك – متى سمع الخوض في آيات الله؛ أو ظهر اتخاذها لعباً ولهواً بالعمل بأية صورة مما ذكرنا أو مثلها..– أقول: أي أننا ينبغي أن لا نجالسهم – وقد جاء في قول

---

[170] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1106.

[171] وهذا ما لا يفعله المسلمون

[172] وهذا أيضا لا يفعله أغلب المسلمين

[173] هنا تكمن مشكلة المسلمين اليوم بأنهم راضون بالدساتير والقوانين الوضعية

القرطبي في كتابه، (**الجامع لأحكام القرآن**)، بصدد هذه الآية: [في هذه الآية رد من كتاب الله عزوجل، على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج وأتباعهم، لهم أن يخالطوا الفاسقين، ويصوبوا آراءهم تُقْية..] ونحن نقول – *وهذا كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله* – إن المخالطة بقصد الموعظة والتذكير[174] وتصحيح الفاسد والمنحرف من آراء الفاسقين تبيحها الآية في الحدود التي بينتها. أما مخالطة الفاسقين والسكوت عما يبدونه من فاسد القول والفعل من باب التُقْية فهو المحظور، لأنه –في ظاهره – إقرار للباطل، و شهادة ضد الحق. وفيه تلبيس على الناس، و مهانة لدين الله وللقائمين على دين الله. وفي هذه الحالة يكون النهي والمفارقة " [175].

وفيما مضى من كلام الأستاذ حول مسألة المفاصلة والمخالطة للفاسقين والعصاة المجرمين، في ضوء هذه الآية، قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الأنعام: 55]، غُنيةً وكفايةً لمن أراد أن يتذكر ويسير بمنهج القرآن في الدعوة إلى الله عزوجل. ومعرفة من هم المشركون وما حدود مجالسة الظالمين والفاسقين.

ثم إن الأستاذ رحمه الله بعد أن فصل القول في بيان صفات المشركين وحقيقة الإسلام والحاكمية المطلقة، راح رحمه الله يراجع التاريخ الإسلامية من أحداث السيرة

---

[174] **توضيح**: وهذا الذي يروى عن الإمام حسن البنا في منهجه في دعوة الناس أنه كان يقول: **انشروا الفكرة في كل محيط يتصل بكم: في الحوانيت والشوارع، والبيوت، والمساجد، والمقاهي، والمجالس العامة، والخاصة، وفي القرى والريف والمدن والعواصم، وفي المصانع والمعامل، والحقول والمدارس**.."، اقرأ للمزيد في هذا المجال ما كتبه قادة الإخوان المسلمين في مجلة الدعوة بمناسبة حلول خمسين عاماً على استشهاد الإمام البنا: الدعوة، العدد 82، شوال 1419 هجرية –يناير /فبراير 1999م، ص:14 -15 و 28-48 .

[175] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص:1129.

النبوية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿..**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ**..﴾ [الأنعام:19]، وهذه الآية إحدى الآيات التي تتحدث عن الدعوة وفيها أسلوب الترغيب والتساؤل.. وعندما تعَرَّضَ إليها الأستاذ لتفسيرها، ذكر ما يلي:

"..ولكني أريد أن أتحدث عن القضية التي تضمنها هذا المقطع، وجرت بها هذه الموجة .. إن هذه القضية التي عرضها السياق القرآني في هذه الآيات.. **قضية الولاء والتوحيد والمفاصلة**[176].. هي قضية هذه العقيدة؛ وهي الحقيقية الكبرى فيها. وإن العصبة المؤمنة اليوم لخليقة بأن تقف أمام هذا الدرس الرباني فيها وقفة طويلة.. إن هذه العصبة تواجه اليوم من الجاهلية الشاملة في الأرض، نفس ما كانت تواجهه العصبة التي تنزلت عليها هذه الآيات، لتحدد على ضوئها موقفها، ولتسير على هذا الضوء في طريقها؛ وتحتاج أن تقف وقفة طويلة أمام هذه الآيات، لترسم طريقها على هداها، لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية؛ وعادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ويوم جاءها الإسلام مبيناً على قاعدته الكبرى: "**شهادة أن لا إله إلا الله**".. شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبر عنه ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس، وهو يسأله: "ما الذي جاء بكم؟" فيقول: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.. وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهاً خالقاً للكون؛ ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة؛ ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا

---

[176] انظر القحطاني، محمد بن سالم: **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، رسالة ماجستير، ط1-1401، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، فإنه من أحسن ما وقفت عليه في هذه المسألة.

المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه؛ فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد، ويقرون لهم بخصائص الألوهية – وهي الحاكمية والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية والطاعة لهذا التشريع – وهي الأديان.. إلى عبادة الله وحده وإلى عدل الإسلام.." [177].

وفي نهاية هذا المبحث نريد أن نتطرق إلى بيان **ثمن هذه المفاصلة والمقاطعة**..؟

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"..إن موقف التميز والمفاصلة قد يكلف العصبة المؤمنة تضحيات ومشقات..غير أن هذه التضحيات والمشقات لن تكون أشد ولا أكبر من الآلام والعذاب الذي يصيبها نتيجة التباس موقفها وعدم تميزه، ونتيجة اندغامها وتميعها في قومها والمجتمع الجاهلي من حولها..ومراجعة تاريخ الدعوة إلى الله على أيدي جميع رسل الله، يعطينا اليقين الجازم بأن فتح الله ونصره، وتحقيق وعده بغلبة رسله والذين آمنوا معهم..لم يقع في مرة واحدة، قبل تميز العصبة المؤمنة ومفاصلتها لقومها على العقيدة وعلى منهج الحياة – أي الدين – وانفصالها بعقيدتها ودينها على عقيدة الجاهلية ودينها –أي نظام حياتها –وأن هذه كانت نقطة الفصل ومفرق الطريق في الدعوات جميعاً.. وطريق هذه الدعوة واحد. ولن يكون في شأنها إلا ما كان على عهود رسل الله جميعاً صلوات الله عليهم وسلامه.." [178].

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**

[177] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2-1057.

[178] انظر المرجع السابق،ص: 40، الولاء والبراء من لوازم الإيمان، الولاء والبراء في العهد المكي:160، والولاء والبراء في العهد المدني: 188.

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:19]، قال رحمه الله:

"..قالوا عن الاستفهام هنا للتقرير مع الإنكار والاستبعاد، وقد أمره تعالى أن يجيب بأنه لا يشهد كما يشهدون. ثم أمره أمراً آخر بأن يشهد بنقيض ما يزعمون ويتبرأ منه وهو أن يصرح بأن الإله لا يكون إلا واحداً، ويتبرأ مما يشركونه به من الأصنام وغيرها أو من إشراكهم مهما يكن موضوعه، وإنما قال: ﴿**قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾ فأعاد الأمر ولم يعطف المأمور به على ما قبله لإفادة أن الإقرار بالوحدانية مقصود بذاته لا يغني عنه نفي الشهادة بالشرك..".[179]

فكما نلاحظ أن على الداعي بيان الأحكام والحقائق الإسلامية وأن عليه ربط المقدمات بالنتائج، أي إذا ما اتخذ المسلمون مواقف حازمة، مثل بيان سبيل المسلمين وسبيل المجرمين، وبيان منهج الظالمين والفاسقين والمفاصلة الواجبة.. **وعليهم أن يدركوا أن هذا العمل قد يكلف حياته !!**

يلاحظ كذلك أن من منهجية الأستاذ سيد قطب في فهم آيات الدعوة: مناقشته لبعض المسائل الدعوية الحساسة ومعالجتها وفق القواعد الإسلامية وبيان النتائج المترتبة عليها، مستدلاً بكلام العلماء من السلف الصالح، ثم القيام بتعليق على بعض المسائل التي قد تحتاج إلى مزيد من التوضيح. فهو رحمه الله كان ينير فكره بآراء العلماء أولاً ثم يقوم بتحليل الآراء وهذه هي طبيعة هذا الدين، فالسابق قد يترك فراغاً في مسألة ما للاحق، هذا اللاحق يصبح سابقا لمن يأتي بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

[179] انظر: **تفسير المنار**، للشيخ رشيد رضا، ج2، ص 282 فما بعدها

الأستاذ سيد قطب والأستاذ عبد القادر عودة رحمهما الله

القتلة الفجرة – النظام الشيوعي الإشتراكي الناصري وجماعته من والضباط الأحرار الذين انقلبوا على الأستاذ سيد قطب وإخوانه وبذلك خانوا الله و رسوله وإخوانهم المسلمين

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:24]

المطلب الثالث: تصحيح منهج الفكر والنظر،والدعوة وفق منهج معرفي وتربوي

جاء القرآن الكريم لتصحيح كثير من قضايا الجاهلية ومفاهيمها، سواء في عقائدها أو أخلاقها أو حياتها الاجتماعية، أو اقتصادها، وهذه السورة المباركة التي نحن بصددها خير شاهد على ذلك[180].

من جملة القضايا التي عالجها القرآن الكريم لدى العرب، تصحيح طريقتهم في التفكير والنظر. وفي هذا بيان ودرس عظيم للدعاة إلى الله، لقد رسم لهم القرآن الكريم طريقاً إذا ما أرادوا فهم هذا الدين وطبيعته، ويمكن أن نرى هذه الحقيقة عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى:﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:148]. حيث يقول رحمه الله:

"..واللمسة الثانية كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر.. إن الله أمرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات.. وهذا ما يملكون أن يعلموه علماً مستيقناً.. فأما مشيئة الله فهي غيب لا وسيلة لهم إليه، فكيف يعلمونه؟ وإذا لم يعلموه يقيناً فكيف يحيلون عليه: ﴿ **قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**...﴾ [الأنعام: 148]

إن لله أوامر ونواه معلومة علماً قطعياً، فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية، ليمضوا وراء الحدس والخرص في واد لا يعلمونه؟ هذا هو فصل القول في هذه القضية..

[180] اقرأ مثلاً في القرآن الكريم: الموضوعات التي عالجت سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، سورة النور والفرقان والشورى غير ذلك من السور الكثيرة.

إن الله لا يكلف الناس أن يعلموا غيب مشيئته وقدره حتى يكيفوا أنفسهم على حسبه. إنما يكلفهم أن يعلموا أوامره ونواهيه ليكيفوا أنفسهم على حسبها.. وهم حين يحاولون هذا، يقرر الله سبحانه أنه يهديهم إليه، ويشرح صدورهم للإسلام.. وهذا حسبهم في القضية التي تبدو عندئذ – في واقعها العملي – يسيرة واضحة، بريئة من غموض ذلك الجدل وتحكماته!

إن الله قادر لو شاء على أن يخلق بني آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف إلا الهدى، أو يقهرهم على الهدى، أو يقذف بالهدى في قلوبهم فيهتدوا بلا قهر.. ولكنه – سبحانه – شاء أن يبتلي بني آدم بالقدرة على الاتجاه إلى الهدى أو الضلال، ليعين من يتجه منهم إلى الهدى على الهدى، وليمد من يتجه منهم إلى الضلال في غيه وفي عمايته.. وجرت سنته بما شاء. ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام: 149].

قضية واضحة، مصوغة في أيسر صورة يدركها الإدراك البشري. فأما المعاظلة فيها والمجادلة فهي غريبة على الحس الإسلامي وعلى المنهج الإسلامي.. ولم ينته الجدل فيها في أية فلسفة أو أي لاهوت إلى نتيجة مريحة. لأنه جدل يتناول القضية بأسلوب لا يناسب طبيعتها.. إن طبيعة أية حقيقة هي التي تحدد منهج تناولها، وأسلوب التعبير عنها كذلك.

الحقيقة المادية يمكن تناولها بتجارب المعمل.. والحقيقة الرياضية يمكن تناولها بفروض الذهن.. والحقيقة التي وراء هذا المدى، لا بد أن تتناول بمنهج آخر.. هو كما قلنا من قبل: منهج التذوق الفعلي لهذه الحقيقة في مجالها الفعلي.. وبعد فلقد جاء هذا الدين ليحقق واقعاً عملياً؛ تحدده أوامر ونواه واضحة، فالإحالة على المشيئة الغيبية

دخول في متاهة، يرتادها العقل بغير دليل، ومضيعة للجهد الذي ينبغي أن ينفق في العمل الإيجابي الواقعي المشهود "[181].

يظهر جلياً مما تقدم منهجية الأستاذ سيد قطب في تناول الحقائق الدينية ولا سيما الغيبيات، وهو بذلك رسم طريقاً للذين يريدون فهم هذا الدين وطبيعته، وأن عليهم أن يقفوا في حدود طاقتهم البشرية ومعرفتهم المحدودة، ولا يتجاوزوها إلى الأشياء الغيبية ولا الجدليات العقيمة في مسائل العقيدة حتى لا يتيهوا في متاهات وظلمات الجهل والحدس والتخبط.. فلكل علم منهجها الخاص لفهمه والتعامل معه، فعلم الرياضيات يفهم ويتناول بالفروض الذهنية، والحقيقة المادية يمكن فهمها بتجارب العمل، وأما القضايا الغيبية فلها منهج آخر وطريقة أخرى في التعامل والفهم، ألا وهي طريقة الإيمان بالله تعالى – وهو غيب عنا – ولكن دلائل وجوده موجودة ونراها رأي العين، والإيمان بالخبر الصادق – وهو القرآن الكريم – الذي وصل إلينا متواترا دون أدنى شك. علينا أن نأتمر بالأوامر الإلهية وننتهي عما نهانا عنه، ولا نتطرق ولا نخوض في الأمور الغيبية ومسائل القضاء والقدر كما كان المشركون يخوضون فيها، كما في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: 148]، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى، جاءهم القرآن الكريم **بمنهج معرفي تربوي جديد عليهم**،وقد قام الأستاذ سيد قطب رحمه الله بإبراز هذا المنهج عند تفسيره لقوله تعالى

181 قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج3-1227.

في سورة الأنعام:﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الأنعام:11].

وهنا يظهر منهج الأستاذ رحمه الله التي اعتمده في تفسيره للآيات القرآنية عامة ولآيات الدعوة خاصة. لقد ركز أيضاً على إبراز أهمية التاريخ ودوره في تربية الأجيال، داعياً في كثير من الأحيان في تفسيره (**في ظلال القرآن**) إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي مرة أخرى من جديد.

كان العرب يسيرون في الأرض لأمور التجارة والعيش، ولا يهمهم مصارع المكذبين من قبلهم وهم يمرون بجانب مساكنهم في الليل وفي الصباح ولا يتعظون ولا يعتبرون كما ذكر ذلك في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الصافات:137-138]، فأراد الله تعالى أن يعلمهم وإيانا والأجيال من بعدنا إلى قيام الساعة، أن السير في الأرض يجب أن يكون فوق ما ذكر، بهدف الاعتبار والاتعاظ أيضاً، حتى لا يصيبهم الله مثل ما أصابهم. وهذه الآية هي إحدى الآيات التي تتحدث عن الدعوة، ولكن بأسلوب الاعتبار بمن سبق من الأمم وماذا حل بهم. لنستمع إلى الأستاذ سيد قطب رحمه الله كيف علل هذه المسألة، قال في تفسير قوله:

"..﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [الأنعام:11].. والسير في الأرض: للاستطلاع والتدبر والاعتبار، ولمعرفة سنن الله مرتسمة في الأحداث، والوقائع؛ مسجلة في الآثار الشاخصة، وفي التاريخ المروي في الأحاديث المتداولة حول هذه الآثار في أرضها وقومها.. السير على هذا النحو، لمثل هذا الهدف، وبمثل هذا الوعي.. أمور كلها كانت جديدة على العرب؛ تصور مدى النقلة التي كان المنهج الإسلامي الرباني ينقلهم إليها من جاهليتهم إلى هذا المستوى من الوعي والفكر والنظر والمعرفة.

لقد كانوا يسيرون في الأرض، ويتنقلون في أرجائها للتجارة والعيش، وما يتعلق بالعيش من صيد ورعي.. أما أن يسيروا وفق منهج معرفي تربوي.. فهذا كان جديداً عليهم. وكان هذا المنهج الجديد يأخذهم به؛ وهو يأخذ بأيديهم من سفح الجاهلية، في الطريق الصاعد، إلى القمة السامقة التي بلغوا إليها في النهاية [182].

فكما يظهر أن الأستاذ حاول أن يبرز بوضوح هذه النقطة، أي تصحيح طريقة تفكيرهم ونظرهم وهدفهم في سفرهم، ثم ختم كلامه حول هذا الموضوع المهم قائلاً:

"..ولقد كان تفسير التاريخ الإنساني وفق قواعد منهجية كهذه التي كان القرآن يوجه إليها العرب؛ ووفق سنن مطردة تتحقق آثارها كلما تحققت أسبابها – بإذن الله – ويستطيع الناس ملاحظتها؛ وبناء تصوراتهم للمقدمات والنتائج عليها؛ ومعرفة مراحلها وأطوارها.. كان هذا المنهج برمته في تفسير التاريخ شيئاً جديداً على العقل البشري كله في ذلك الزمان. إذ كان قصارى ما يروى من التاريخ وما يدون من الأخبار، مجرد مشاهدات أو روايات عن الأحداث والعادات والناس؛ لا يربط بينها منهج تحليلي أو تكويني يحدد الترابط بين الأحداث، كما يحدد الترابط بين المقدمات والنتائج، وبين المراحل والأطوار.. فجاء المنهج القرآني ينقل البشرية إلى هذا الأفق؛ ويشرع لهم منهج النظر في أحداث التاريخ الإنساني. وهذا المنهج ليس مرحلة في طرائق الفكر والمعرفة. إنما هو "**المنهج**".. هو الذي يملك وحده إعطاء التفسير الصحيح للتاريخ الإنساني." [183].

---

[182] انظر للفائدة : عماد الدين خليل، **في التاريخ فكرة ومنهاج**، بيروت، ط1-1996 .

[183] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**: ج2-1045-1046، ويراجع للفائدة التفسير الإسلامي للتاريخ في كتاب: **خصائص التصور الإسلامي و مقوماته**، القسم الثاني.

ما أروع هذا المنهج.. يا له من تفسير.. ويا له من لفتة.. في إبراز الحِكَم والجوانب الدعوية من دلالات الآيات القرآنية. لقد كان الأستاذ رحمه الله يحاول بكل ما أوتي من قوة علمية وطاقة فكرية وخطة منهجية شاملة لبيان المنهج الإسلامي الصحيح في كيفية التعامل مع الحقائق القرآنية والتاريخية، الداعية يجب أن يستحضر الماضي والحاضر، وأن يكون له رؤية أفقية وعرضية لأحداث التاريخ،كما نلاحظ أيضاً جزئاً مهماً من منهجية الأستاذ في تفسيره ألا وهو إبراز أهمية التاريخ ودوره في فهم الحقائق الاجتماعية.كما نلاحظ أيضا أنه قد بين مرتكزات ودعائم دراسة تاريخ من وجهة النظر الإسلامية، وأنه دعا في تفسيره **(في ظلال القرآن)** إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، لأنه أدخل فيه أشياء كثيرة غير صحيحة وغير ثابتة في ديننا الحنيف نتيجة لتراكمات فكرية ومذهبية وطائفية عبر القرون إلى يومنا هذا..نرجو من الله أن تلقى هذه الدعوة آذاناً صاغية وقلوباً واعية.

(فضيلة الإمام [184] الدكتور يوسف القرضاوي والأستاذ سيد قطب)

[184] لفضيلة الإمام العلامة له رأي غير مسلم به لدى كثير من العلماء والباحثين عن الأستاذ سيد قطب وفكره في العديد من المسائل! وبالرغم ما أشاد به حفظه الله بجهد وعلم وفكر وريادة الأستاذ سيد قطب، إلا أنه حفظه الله أكد أن مع هذه الريادة الفكرية والعلمية فإن الأستاذ سيد

المبحث الثاني: دعوة الكافرين إلى الإسلام

المطلب الأول: الدعوة عن طريق النظر والتأمل في آيات الكون

الإسلام دين عالمي ورسالته رسالة عالمية، وكانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم عامة للإنس والجن، وللمؤمن والكافر، للصالح والطالح..قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[سبأ:28]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**..﴾[الأعراف:158]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [القلم:52]، وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1]، وغير ذلك من الآيات..

وثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله عليه وسلم: «**فُضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»[185]..وفي رواية: «**كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل**

قطب في أواخر حياته خرج عن منهج أهل السنة والجماعة في بعض المسائل الفكرية والعقدية والفقهية !!! وكم كنت أتمنى أن لا أسمع هذا الكلام من فضيلته! غير أننا مع إجلالنا وتقديرنا لإمامنا فإننا لا نوافقه فيما ذهب إليه وصرح به في العديد من الفضائيات والكتابات!! انظر على سبيل المثال: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title، وشاهد المقطع مع الأستاذ ضياء رشوان: https://www.youtube.com/watch?v=lirXeL9NsA4

[185] **صحيح مسلم**: ج1-ص:371، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، دار إحياء الكتب العربية، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي. و**خرجه الترمذي**: ج3-ص –56، وقال حسن صحيح.

أحمر وأسود»[186]. فالذي يفهم من هذه الآيات والأحاديث من ألفاظ صيغ العموم أن رسالة النبي عليه الصلاة والسلام كانت عامة لكل الناس.

فالإسلام أمرنا بتوجيه الدعوة إلى المسلمين وإلى غير المسلمين أيضاً، حتى نبرئ أنفسنا وذمتنا، وهنا تظهر معجزة الإسلام كخاتم الرسالات، وفضله على الرسالات السابقة.

وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حافلة بالأدلة والحالات والقصص المتواترة الصحيحة، حينما وجه الرسول عليه الصلاة والسلام رسائل متعددة إلى الأمراء والملوك ورؤساء القبائل، يدعوهم فيها إلى الإسلام، فمنهم من استجاب واهتدى وأسلم، ومنهم من رفض وطغى وتجبر ولم يؤمن، وانتكس على عقبيه.

فالإسلام لم يأت لينقذ من ركام الجاهلية المسلمين فحسب، وإنما جاء لينقذ العالم أجمع، هذه هي دعوة الإسلام واضحة جلية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدين، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:108].

وهناك حقيقة أخرى وهي أن كثيراً من كفار اليوم ليسوا أدنى درجة من العلم والمعرفة بحقيقة الإسلام والقرآن ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام من أهل الكتاب الذين كانوا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين قال الله عنهم: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:146]، فهم يعرفون هذه الحقائق عن الإسلام وهذه الأمور جيداً ولديهم مكاتب استخبارات في دول العالمي الإسلامي، ويبذلون جهوداً جبارة – بما

[186] رواه **البخاري في صحيحه**: ج1-91 كتاب التيمم، المصدر السابق: 137.

فيهم المستشرقون والمنصرون، لصرف الناس عامة عن الإسلام والمسلمين خاصة، ولهم نفوذ عالمي في وسائل الإعلام الغربية والعالمية والعربية الإسلامية..[187].

على أية حال، فنحن مأمورون بدعوتهم إلى مائدة الإسلام، وليست هناك طريقة واحدة محددة ومعينة لدعوتهم. إن السبل والوسائل كثيرة جداً لإيصال هذا الإيمان وهذا النور إلى هؤلاء..والذي يتحتم علينا جميعاً معاشر الدعاة، أن نختار أيسر السبل والطرق وأحسنها، وأن نخاطبهم ونجادلهم بالتي هي أحسن وأفضل، كما أمرنا الله جل وعلا، ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:125]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 108].

هذا، ومن الطرق الدعوية الناجحة لهؤلاء الكفار والناس عامة، لفت أنظارهم إلى آيات هذا الكون الفسيح والمليء بالآيات والبراهين الناطقة والدالة على وجود الله ووحدانيته، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: 190]، وقال تعالى:﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا**

---

[187] **للفائدة**، أحيل القارئ الكريم إلى مطالعة هذه الصفحات في تفسير (**في ظلال القرآن**)، حتى يقف على مزيد من المعرفة حول خطط اليهود والنصارى والصليبيين والمستشرقين حول الإسلام ما ذكره الأستاذ سيد قطب فإنه سيقف على حقائق ومعارف قد تخفى على الآخرين..ورد الحديث عنهم في هذه الصفحات في المجلد الأول من الظلال: 1032-1033-1034-1061-1087-1094، وفي المجلد الثالث ورد الحديث عنهم في هذه الصفحات: 1195-1201-1208-1218.

أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164]. قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "..ويحصل اليقين بتدبر القرآن وبتدبر الآيات التي يحدثها في الأنفس والآفاق والعمل بالعلم.."، وكثرة التلاوة المتأنية لآيات القرآن الكريم [188].

وقد تحدث الإمام الغزالي في الإحياء عن فضيلة التفكر والتدبر وحقيقتهما[189]، وذكر جملة من الشروط والآداب يجب الرجوع إليها [190] .

هذه المقدمة ضرورية قبل شرع الحديث في كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله. لنرى ماذا قال في تفسيره عن هذه المسألة المهمة وهو يفسر آيات كتاب الله العزيز، وكيف كان منهجه في عرض آيات الله على الكفار عن طريق النظر والتدبر والاكتشافات العلمية في الكون والأنفس.

وفي تفسير قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام: 99]، فقال رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

---

[188] بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج 3، ص: 330 ، مجمل اعتقاد السلف.

[189] انظر: الشامي، صالح أحمد، **المهذب من إحياء علوم الدين**، دار القلم، بيروت، ج2، ص: 420 . 440

[190] ولكاتب هذه السطور دراسة حول **الآداب الروحية والمبادئ الإيمانية لتدبر القرآن**– قراءة في جهود المفسرين المتقدميين والمعاصرين –، وتم نشره في المجلة المحكمة لجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، العدد الأول، 2012، بسلطنة بروناي..انظر: **www.drhafezi.net**

"..ودور الماء الظاهر في إنبات كل شيء دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر، ويعرفه الجاهل والعالم.. ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة. فقد شارك الماء ابتداءً – بتقدير الله – في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات – إذا صحت النظريات التي تفرض أن سطح الأرض كان في فترة ملتهباً، ثم صلباً لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع، ثم تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها إلى تربة لينة – ثم ظل الماء يشارك في إخصاب هذه التربة، وذلك بإسقاط [النتروجين – الأزوت] من الجو كلما أبرق فاستخلصت الشرارة الكهربائية، التي تقع في الجو، النتروجين الصالح للذوبان في الماء ويسقط مع المطر، ليعيد الخصوبة إلى الأرض.. وهو السماد الذي قلد الإنسان القوانين الكونية في صنعه فأصبح يصنعه الآن بنفس الطريقة! وهو المادة التي يخلو وجه الأرض من النبات لو نفدت من التربة !

فهذه الاكتشافات العصرية في هذه الأيام أثبتت أهمية الماء ودوره في هذه الحياة، ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 99].

فالإيمان هو الذي يفتح القلب، وينير البصيرة، وينبه أجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة، ويصل الكائن الإنساني بالوجود، ويدعو الوجدان إلى الإيمان بالله خالق الجميع.. وإلا فإن هناك قلوباً مغلقة، وبصائر مطموسة، وفطراً منتكسة، تمر بهذا الإبداع كله، وبهذه الآيات كلها، فلا تحس بها ولا تستجيب.. ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ**﴾ [الأنعام: 36]، وإنما يدرك هذه الآيات الذين يؤمنون! .." [191] .

يبدو جلياً من هذا التحليل البديع منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله وهو يعيش في ظلال هذه الآية التي هي إحدى الآيات التي تتحدث عن الدعوة ولكن

[191] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج2، 1162.

بأسلوب تعداد نعم الله وتذكيره على الإنسان وربط هذه النعم بالاكتشافات العلمية لتقوية اليقين والإيمان، وهو منهج حري بدعاة اليوم أن يسلكوه.

في نظر الأستاذ سيد قطب رحمه الله العلوم الكونية لا تسوق إلى إنكار وجود الله تعالى، بل العكس هو الصحيح وهو لا يتحرج في هذا الموضوع عن الاستشهاد بأقوال علماء تلك العلوم لإثبات تلك الحقائق، ويعلل الإلحاد في الغرب بالتعريف السقيم للدين والإله وتأثيرات الكنيسة اللاهوتية السلبية.

لنعش مع هذا التفسير من كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله حتى نرى تعليله وشرحه لهذه القضية، يقول رحمه الله:

".. والقلة الشاذة التي تجادل في وجود الله اليوم لا تعتمد على "**العلم**" وإن كانت هذه دعواها. فالعلم البشري ذاته لا يملك أن يقرر هذا الإلحاد ولا يجد عليه دليلاً لا من هذا العلم ولا من طبيعة الكون.. إنما هي لوثة سببها الأول الشرود من الكنيسة وإلهها الذي كانت تستذل به الرقاب من غير أصل من الدين. ثم نقص في التكوين الفطري لهؤلاء المجادلين، ينشأ عنه تعطل في الوظائف الأساسية للكينونة البشرية.. كما يقع للأمساخ من المخلوقات.. ! ومع أن حقيقة الخلق والتقدير فيه – كحقيقة انبثاق الحياة أيضاً– لم تكن تساق في القرآن لإثبات وجود الله –إذ كان الجدال في وجوده تعالى سخفاً لا يستحق من جدية القرآن العناية به– إنما كانت تساق لرد الناس إلى الرشاد، كي ينفذوا في حياتهم ما تقتضيه تلك الحقيقة من ضرورة إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والحاكمية في حياتهم كلها؛ وعبادته وحده بلا شريك.. "**جوليان هاكسلي**" مؤلف كتاب: **(الإنسان يقوم وحده)** وكتاب **(الإنسان في العالم الحديث)** من هؤلاء المتبجحين المستهترين؛ وهو يقذف بالمقررات التي لا سند لها إلا هواه وهو يقول في كتاب **(الإنسان في العالم الحديث)**؛ في فصل: **(الدين كمسألة موضوعية)** ذلك الكلام! "ولقد أوصلنا تقدم العلوم والمنطق وعلم

النفس إلى طور أصبح فيه الإله فرضاً عديم الفائدة، وطردته العلوم الطبيعية من عقولنا، حتى اختفى كحاكم مدبر للكون، وأصبح مجرد " أول سبب" أو أساساً عاماً غامضًا.

و"**ول ديورانت**" مؤلف كتاب (**مباهج الفلسفة**) يقول: إن الفلسفة تبحث عن الله، ولكنه ليس "**إله اللاهوتيين الذين يتصورونه خارج عالم الطبيعة. بل إله الفلاسفة؛ وهو قانون العالم وهيكله، وحياته ومشيئته** ".. وهو كلام لا تستطيع إمساكه! ولكنه كلام يقال! ونحن لا نحاكم هؤلاء الخابطين في الظلام إلى قرآننا، ولا نحاكمهم كذلك إلى عقولنا المنضبطة بهدى هذا القرآن. إنما نكلهم إلى أندادهم من "العلماء" وإلى العلم البشري الذي يواجه هذه القضية بشيء من الجد والتعقل، يقول **جون كليفلاند كوتران:** من علماء الكيمياء والرياضة. دكتوراه من جامعة كورنيل. رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث، من مقال: **"النتيجة الحتمية"** من كتاب **(الله يتجلى في عصر العلم)**:

"فهل يتصور عاقل، أو يفكر، أو يعتقد، أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟ أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين، ثم فرضته على نفسها؟ لا شك أن الجواب سوف يكون سلبياً. بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة أو تتحول الطاقة إلى مادة، فإن كل ذلك يتم طبقاً لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة التي وجدت قبلها."..

وتدلنا الكيمياء على أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء؛ ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإن المادة ليست

أبدية، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية، إذ أن لها بداية[192]، وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية. وتستطيع أن تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فإن هذا العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة، ليس لعنصر المصادفة بينها مكان،

"فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه، أو يحدد القوانين التي يخضع لها فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدره كائن غير مادي. وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لا بد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة. إلا أن العقل لا يستطيع أن يعمل في العالم المادي – كما في ممارسة الطب والعلاج السيكلوجي – دون أن يكون هنالك إرادة، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً.. وعلى ذلك فإن النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينا العقل ليست مقصورة على أن لهذا الكون خالقاً فحسب، بل لا بد أن يكون هذا الخالق حكيماً عليماً قادراً على كل شيء، حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره؛ ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود، تتجلى آياته في كل مكان، وعلى ذلك فإنه لا مفر من التسليم بوجود الله، خالق هذا الكون وموجهه – كما أشرنا إلى ذلك في بداية المقال، "إن التقدم الذي أحرزته العلوم منذ أيام **(لورد كيلفن)** يجعلنا نؤكد بصورة لم يسبق لها مثيل، ما قاله من قبل، من أننا إذا فكرنا تفكيراً عميقاً، فإن العلوم سوف تضطرنا إلى الإيمان بالله".

---

[192] وللأستاذ.**د. علي منصور كيالي** حفظه الله له محاضرة قيمة في موقع اليوتيوب حيث يثبت فيها علمياً مجيء الآخرة ويبين الإعجاز القرآني في أحداث الآخرة.. لم أسمع شرحا أفضل من هذا، وهذا هو رابط مقطع الفيديو:

http://www.youtube.com/watch?v=OW2fYM7vjxM

ويقول (**فرانك أللن**) عالم الطبيعة البيولوجية في مقال "**نشأة العالم هل هو مصادفة أو قصد**" من الكتاب نفسه: "كثيراً ما يقال: إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق. ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود، فكيف نفسر وجوده ؟ ..هنالك أربعة احتمالات للإجابة على هذا السؤال:

1. فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال – وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده –.
2. وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم.
3. وإما أن يكون أزلياً ليس لنشأته بداية.
4. وإما أن يكون له خالق.

أما الاحتمال الأول فلا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور والإحساس، فهو يعني أن إحساسنا بهذا الكون وإدراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهماً من الأوهام، ليس له ظل من الحقيقة. ولقد عاد إلى هذا الرأي في العلوم الطبيعية أخيراً (**سير جيمس جينز**)، الذي يرى أن هذا الكون ليس له وجود فعلي، وأنه مجرد صورة في أذهاننا. وتبعاً لهذا الرأي نستطيع أن نقول: إننا نعيش في عالم من الأوهام! فمثلاً هذه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست إلا خيالات؛ وبها ركاب وهميون، وتعبر أنهاراً لا وجود لها، وتسير فوق جسور غير مادية.. الخ، وهو رأي وهمي لا يحتاج إلى مناقشته أو جدال!

و**أما الاحتمال الثاني** القائل بأن هذا العالم، بما فيه من مادة وطاقة، قد نشأ هكذا وحده من العدم، فهو لا يقل عن سابقه سخفاً وحماقةً؛ ولا يستحق هو أيضاً أن يكون موضعاً للنظر أو المناقشة.

والاحتمال الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية، إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون – وذلك في عنصر واحد

هو الأزلية – وإذن فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت، وإما أن ننسبها إلى إله حي يخلق، وليس هنالك صعوبة فكرية في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما في الآخر. ولكن قوانين "الديناميكا الحرارية" تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً، وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض، هي الصفر المطلق؛ ويومئذٍ تنعدم الطاقة، وتستحيل الحياة، ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق، بمضي الوقت. أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة، والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذن حدث من الأحداث.. ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي، ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه"[193].

ويلاحظ مما سبق أن من منهج الأستاذ سيد قطب رحمه الله: مناقشة المسائل الفكرية والفلسفية قديماً وحديثاً والرد على الشبهات الفكرية بأقوال أهل العلم من الفلاسفة الغربيين ورد أقوال نظرائهم المنكرين لوجود الله تعالى. وهذا المنهج جدير أن يُتأمل فيه ولا يجرمننا شنآن قوم على أن لا نستفيد منهم، وعلى أن لا نستدل بآرائهم في القضايا العلمية، ولابد للداعية في هذا العالم المليء بالتطورات والاكتشافات العلمية

[193] **في ظلال القرآن**: ج2-1164-1166. **تنبيه**: أعتذر للقارئ من هذا النص المقتبس الطويل نوعاً ما، ولكنني تعمدت ذلك لأمر مهم للغاية، وهو أنه في كثير من الأحيان الدعاة الإسلاميون، لا يستطيعون إيصال هذه الحقائق العلمية إلى أذهان القراء المسلمين والمدعوين من غير المسلمين على الوجه المطلوب لأسباب كثيرة! مع شدة حرصهم وحماسهم على إظهار هذه الحقائق. فرأيت أن أكِل أمر هذه المهمة إلى أصحابها و إلى المختصين ولو كانوا على غير ديننا، حتى يكون ذلك أدعم للحجة وأفحم للخصم.. والله أعلم.

المختلفة، حيث أن أهل هذا العصر والزمان لا يجيدون غير لغة العلم، فلابد لنا أن نتحدث إليهم باللغة التي يفهمونها، والحمد لله لقد تيسرت السبل في هذا الزمان للاستماع ومشاهدة المحاضرات العلمية عن الإعجاز العلمي وعن الله عزوجل وعن خلق الكون في المواقع الإليكترونية المختلفة الموجودة في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

المطلب الثاني: دعوة الكافرين عن طريق الحوار الهادئ والمجادلة بالتي هي أحسن

هذه الدعوة المباركة تصدى لها رجال ودعاة كثيرون في شتى بقاع العالم. منهم من فقه فلسفة عمله واتبع لتحقيق ذلك سبيل المرسلين الأبرار من الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فنجح في عمله أيما نجاح، وانتصر على نفسه وعلى عدوه. ومنهم من لم يفقه فلسفة عمله وماهية الدعوة وظن أن أمر الدعوة يحُل في بضعة أيام أو شهور أو سنوات.. وللأسف لم يوفق إلى بلوغ هدفه السامي.

إن مثل الداعية إلى الله تعالى كمثل الطبيب الجراح في عمله ووظيفته، يمر بين يدي هذا الطبيب مِئات من الجرحى والمرضى على اختلاف أجناسهم وطبائعهم وأديانهم وأخلاقهم..الذي يتحتم على هذا الطبيب هو أن يعامل الجميع بمبدأ العلاج العام وأن يكون هادئاً وصبوراً في معالجتهم، وأن يعتقد أن هذا هو عمله في حياته.. فلا داعي للتضجر والعجلة والغضب مع المرضى ولو كثرت شكواهم وآهاتهم.

وكذلك أمر الدعاة إلى الله تعالى، عليهم أن يهيئوا أنفسهم لمواجهة ومقابلة كثير من أصناف الناس، التقي والفاجر، المؤمن والكافر، العالم والجاهل كما أن عليهم

أن يوسعوا صدورهم للاستماع إلى شكواهم ودعاويهم، وما أكثرها، وعليه أيضاً أن يعوِّد نفسه للإنصات من الآخرين..[194].

ليس من الحكمة في شيء حصر الدعوة في أوساط المسلمين فحسب، هذا ظلم كبير، هذه الدعوة يجب بقدر ما تنشر بين المسلمين أن تنشر أيضاً بين أوساط الكافرين.

إن السؤال الكبير الذي يفرض نفسه هنا هو: من مِن الدعاة يتصدى لدعوة هؤلاء الكفار على اختلاف طبقاتهم؟ وهل هناك شروط يجب التحلي بها لمن يكلف بدعوة في أوساط هؤلاء؟؟ أرى من الضروري تخصيص وتكليف داعية خاص في بلاد المسلمين وكذلك داعية خاص بالكافرين بصفات ومؤهلات خاصة، ولا أرى نصب نفس الداعية لدى الفريقين، إلا إذا توفرت عنده مؤهلات علمية وثقافية ودينية تؤهله لدعوة الفريقين.

حول هذا السؤال المهم سيكون حديثنا في الفصل الذي يلي هذا عن صفات الداعية في المنهج القرآني إن شاء الله.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد مبيناً أهمية القدوة الحسنة وصفات الداعية الناجح:

"إن من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، القدوة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعل أسوة حسنة لغيره، يكون بها أنموذجاً يقرأ فيه الناس معاني

[194] انظر: البهي، الخولي، **تذكرة الدعاة**، فصل، **(مزاج الداعية)**، ص: 51 .

الإسلام فيقبلون عليه وينجذبون إليه، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من الأثر بالكلام وحده.." [195].

وهذا كلام في غاية الأهمية في قضية القدوة الحسنة، سواء في تعاملنا مع المسلمين، أو تعاملنا مع غيرهم..ولأجل أهمية هذه القضية كان للأستاذ سيد قطب رحمه الله موقف سديد ووجيه عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام، والتي هي إحدى الآيات التي تتحدث عن الدعوة بأسلوب الأمر والنهي، ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 108]، قال رحمه الله في تفسيرها:

"ومع أمر الرسول بالإعراض عن المشركين، فقد وجه المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض في أدب، وفي وقار، وفي ترفع، يليق بالمؤمنين.. لقد أُمِروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على سب الله سبحانه – وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه – فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة الحقيرة ذريعة لسب الله الجليل العظيم: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 108]. [196].

إن الطبيعة التي خلق الله الناس عليها، أن كل من عمل عملاً، فإنه يستحسنه، ويدافع عنه! فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها، وإن كان يعمل

---

[195] صالح بن عبد الله بن حميد، **القدوة – مبادئ ونماذج**، الرياض، دار الوطن، ط1-1414 هـ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

[196] انظر: للآلوسي، **روح المعاني** في تفسير هذه الآية فإن فيه كلاماً مفيداً أيضاً، ج: 7-8، ص: 250-251.

السيئات استحسنها ودافع عنها، وإن كان على الهدى رآه حسناً، وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك! فهذه هي طبيعة الإنسان..

وهؤلاء الذين يدعون من دون الله يعلمون حقيقة ربوبية الله عزوجل، ولكنهم يشركون بالله في ألوهيته –أي أنهم يشركون مع الله غيره في العبادات– فهم بالرغم من شركهم إلا أنهم يدافعون عنها بشدة، وإذا سبّ المسلمون تلك الآلهة فهؤلاء سرعان ما ينتقمون من المسلمين، فلأجل هذه الحقيقة نهانا الله عزوجل عن سب آلهتهم.

ثم يواصل الأستاذ سيد قطب كلامه قائلاً: "فليدَعْهم المؤمنون لما هم فيه،﴿**ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 108]، وهو أدب يليق بالمؤمن، المطمئن لدينه، الواثق من الحق الذي هو عليه. الهادئ القلب، الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور، فإن سب آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى ولا يزيدهم إلا عناداً، فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه، وإنما قد يجرهم إلى سماع ما يكرهون من سب المشركين لربهم الجليل العظيم ؟! [197].

يفهم من كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله إعماله لقاعدة "**سد الذريعة**" وقاعدة "**الموازنة بين المصالح والمفاسد**" ووجوب تطبيقها في مجال الدعوة الإسلامية حتى لا يقع الدعاة فيأمر محظور أو ضرر يجرونه على أنفسهم أو دينهم أو مجتمعهم بسبب أفعالهم وأقوالهم عندما يجانبون الحكمة والقواعد الشرعية المذكورة.. والله أعلم.

---

[197] **في ظلال القرآن**: ج2-1169، وللفائدة راجع: **الدعوة إلى الإسلام – مفاهيم ومنهاج وواجبات**: حسني ادهم جرا، عمان، الأردن، ط1-1984-دار الضياء للنشر والتوزيع، ص: 166-178.

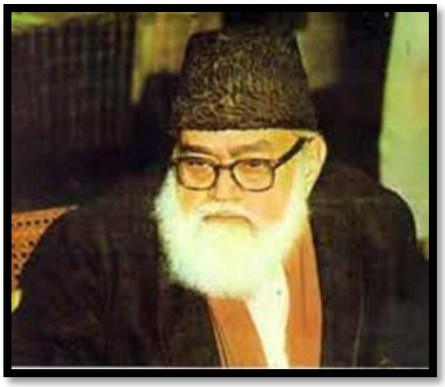

المفكر الإسلامي الكبير أبو الأعلى المودودي رحمه الله، والذي قال عندما علم بخبر اعدام الأستاذ سيد قطب:

"إن هذه الشهادة ليست شهادة الأفراد، وإنها ليست هدراً للدماء وعبثاً بالحقوق البشرية والكرامة الإنسانية فحسب، وإنها ليست همجية وعداء سافراً للإسلام فحسب، بل إنها خسارة فادحه للدعوة الإسلامية والعلم والدراسة والبحث والأدب والنقد، ومأساة علمية ضخمة. إن سيد قطب من أولئك الأفذاذ الذين يسعد بهم العالم الإسلامي، وهو في الطراز الأول من صفوة الدعاة ورجال الفكر والأدب الذين تحظى بهم الأمم بعد فترات طويلة[198].. "

[198] **مراحل التطور الفكري في حياة سيد قطب**، تأليف حسين محمود، ط1، دار الجبهة للنشر والتوزيع 1429 هـ، ص:121

المبحث الثالث: منهج القرآن في القضاء على التصورات الجاهلية

المطلب الأول: التدرج

إن التدرج والمرحلية في دعوة الناس مبدأ عظيم من مبادئ ديننا الحنيف، وعلى هذا المبدأ نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا**﴾ [الإسراء: 106]، وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: 32]، هذا التدرج كان سمة من أبرز السمات في المنهج القرآني، في تربية الأمة والقضاء على التصورات الجاهلية المختلفة، كما أن التدرج يعتبر أحد الخصائص الهامة للقرآن المكي التي وقف طويلاً عندها الأستاذ سيد قطب رحمه الله.

والأستاذ سيد قطب رحمه الله في حديثه عن الحكم والأسرار من نزول القرآن منجماً، ذكر بعض تلك الأسرار قائلاً: "..لقد جاء هذا القرآن ليربي أمة وينشئ مجتمعاً ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثير وانفعال بالكلمة وإلى حركة تترجم التأثير والانفعال إلى واقع، والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل لمنهج جديد، إنما تتأثر بعد يوم بطرف من هذا المنهج وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلا تحفل كما تحفل لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح بالتالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية وأشد قابلية لها والتذاذاً بها.."[199].

و من العبر والحكم في نزول القرآن بالتدرج ومنجماً نذكر ما يلي:

---

[199] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج5-2562 .

1. تفخيم أمر القرآن وأمر من نزل عليه [200].
2. تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية قلبه وتجديد عهده مع جبريل لكي يكون نافذة أمل وبسمة رجاء يمده بالقوة ويعده بالنصر..[201].
3. مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها، فكلما جدت حادثة أو وقعت واقعة نزل القرآن حكماً عدلاً في فصل القضية..[202].

وهناك لطيفة لغوية وسرٌّ بلاغي في قوله تعالى: ﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا**﴾ [الفرقان: 32]، هذا السر هو: أن الترتيل هو التمهل والتأني في الكلام والتبيين له للتمكين والتحقيق، وبناء المعرفة في المتلقين بناء تكاملياً، وذلك لا يحصل بإنزاله جملة واحدة، بل يحصل بإنزاله في دروس تعليمية قسماً بعد قسم مع الاستفادة من الأحداث والمناسبات..[203].

---

[200] انظر: القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، ص: 52.

[201] انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام للطباعة والنشر، ط1-1985، ج7، ص: 3874، ولكاتب هذه السطور دراسة باللغة الإنكليزية حول **الدروس والعبر التربوية والاجتماعية والدينية المستفادة من ظاهرة نزول القرآن منجما**، قدمتها في مؤتمر عالمي باليابان في مدينة أوساكا عام 2013.

[202] انظر: دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم**، نظرات جديدة في فهم القرآن، دمشق، دار القلم، ط: 2،1970، ص: 61.

[203] المرجع السابق: 58-61، وانظر: **الأساس في التفسير**: ج7-3864 .

4- موالاة تقريع الكفار بالحجة بعد الحجة وتجديد تذكيرهم بانحرافهم وسوء عقيدتهم، ولو نزل القرآن دفعة واحدة لواجه الكفار التقريعات وتألموا لها أول مرة ثم ألفوها ونسيها الناس..[204].

5- ولو أن القرآن كان قد نزل جملةً واحدة لتحول سريعاً إلى كلمة مقدسة خامدة، وفكرة ميتة، وإلى مجرد وثيقة دينية، لا صدراً يبعث الحياة في حضارة وليدة، فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التي نهض بأعبائها الإسلام لا سر لها إلا في هذا التنجيم..[205].

ولاشك أن هناك أسباباً أخرى تظهر فيها الحكمة الإلهية من سر التنجيم. إذن نستطيع القول إن القرآن الكريم سلك طريق التدرج في مخاطبة الناس وإنزال أحكامه وشرائعه وإثبات العقائد في نفوس عرب الجاهلية والمؤمنين الجدد، وأن هذا المنهج وجد قبولاً عند العرب، وأخذ خطوة خطوة يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض. والأمثلة من التاريخ الإسلامي على نزول أحكام القرآن على هذه النمط كثيرة جداً مثل تحريم الخمر الذي تم تحريمه في مراحل أربعة، وتحريم الربا وقع في أربعة مراحل، كذلك كان أمر سائر التشريعات والفروض والمحرمات، مثل الجهاد والصوم والصلاة، نزلت الآيات بفرضيتهما في المدينة المنورة ولم تنزل في مكة، وما ذلك إلا تمشياً مع قاعدة التدرج في التشريع وعدم أخذ الناس فجأةً إلى الإسلام.

---

[204] انظر: **روائع البيان في علوم القرآن**، أبو سليمان، صابر حسن محمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1-1988، ص: 41-42.

[205] بن نبي، مالك؛ **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم: عبد الله محمد دراز ومحمود شاكر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 1987، ص: 175.

بهذا المنهج الرباني؛ أعني **منهج التدرج في نزول الأحكام وتكليف الناس بها** قضى القرآن الكريم على التصورات الجاهلية، وهذا الذي أوقف الأستاذ سيد قطب رحمه الله طويلاً عنده يلتمس فيه الأسرار و الحكم، وأفرد لذلك حديثاً خاصاً وطويلاً في تفسيره، وسماه **(بالقرآن المكي أو طبيعة القرآن المكي)**.

هذا النوع من هذا القرآن الكريم الذي نزل في مرحلة العهد المكي كان له هدف خاص في التربية وطبيعة خاصة في بناء الجيل الجديد، وطريقة جديدة في معالجة في معالجة القضايا وأسلوب خاص لمواجهة الجاهلية في تصورها واعتقادها وأخلاقها.

ترى ما حقيقة هذا المنهج القرآني، ما خطواته وما منطلقاته؟

طبيعة القرآن المكي كشفت للأستاذ سيد قطب سراً آخر، وهو الجواب على السؤال الكبير: لماذا لم يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بالدعوة إلى مبادئ القومية العربية أو بالدعوة إلى إصلاح المجتمع العربي الجاهلي أخلاقياًوالذي كان يموج بالفساد في أخلاقه وحياته وتصوراته آنذاك؟

لقد وجد الأستاذ سيد قطب الجواب على ذلك في العهد المكي لنزول القرآن وأيقن أنه لا فائدة ولا جدوى في إنقاذ الأمم من الجاهليات بشتى أنواعها..إلا بغرس العقيدة أولاً في سويدآء قلوبهم، ثم بعد ذلك إصلاح ما فسد من أخلاقهم وعقائدهم وتصوراتهم، إذ بناء العقيدة هو الحجر الأساس لبناء منظومة عقدية وتشريعية في قلب وفكر الإنسان.

لنعش لحظات مع الأستاذ سيد قطب في هذه القضية المهمة لنرى كيف بلور هذه القضية. لقد وجه نداءات وتوجيهات للدعاة إلى الله تعالى لاتباع المنهج القرآني المتدرج في التعامل مع الناس وتربيتهم تربية صحيحة. قال رحمه الله:

".. وأصحاب الدعوة إلى دين الله، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة؛ خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة..ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عاماً..لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام الذي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها.. لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة. وأن يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى خطواته في الدعوة، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله؛ وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق، ويعبدهم له دون سواه، ولم تكن هذه – في ظاهر الأمر وفي نظرة العقل البشري المحجوب – هي أيسر السبل إلى قلوب العرب! فلقد كانوا يعرفون من لغتهم معنى: "**إله**" ومعنى: "**لا إله إلا الله**"، كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا، وكانوا يعرفون أن توحيد الألوهية وإفراد الله – سبحانه – بها، معناه: نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء والحكام[206] ورده

[206] **ملاحظة مهمة جدا:** نرجو من القارئ الكريم أن لا يسئ الفهم لكلام الأستاذ سيد قطب وأن لا يتهمني ولا يتهمه بأنه يدعو إلى القيام بثورات ومظاهرات ضد الحكام! كلا ثم ألف كلا. لقد سبق في الفصل الأول من هذا الكتاب بأننا بينا وأكدنا مرارا وتكرارا بأن الأستاذ سيد قطب لا يؤمن بفكرة الانقلابات أو الثورات، بل العكس هو الصحيح. لقد ركز بشدة على التربية والتثقيف والتوعية للشعب وللناس عامة، وأن التغيير يأتي من خلال التربية والتعليم والتثقيف وغرس العقيدة في نفوس الناس أولا: ولا يأتي التغيير من خلال الانقلاب العسكري أو الثوري كما هو مشاع على ألسنة بعض الناس. إن فكرة الأستاذ سيد قطب تفهم حق الفهم عندما نستقرئ كلامه كله من كتبه دون أن نجتزئه اجتزاء، وأن أي نص موهم ومتشابه من كلامه ينبغي أن يرد إلى المحكم أو المحكمات من كلامه تمشيا مع القاعدة الشرعية. أؤكد وأجزم بأنني لم أفهم من كتاباته أنه من دعاة الثورة أو الانقلاب أو العنف كما اعتاد الناس أن يفتروا عليه وعلى جماعة الإخوان المسلمين ظلما

كله إلى الله..السلطان على الضمائر، والسلطان على الشعائر، والسلطان على واقعيات الحياة..السلطان في المال، والسلطان في القضاء، والسلطان في الأرواح والأبدان .كانوا يعلمون أن: "**لا إله إلا الله**" ثورة على السلطان الأرضي[207]، الذي يغتصب أولى خصائص الألوهية. وثورة على الأوضاع التي تقوم على قاعدة من هذا الاغتصاب. وخروج على السلطات التي تحكم بشريعة من عندها لم يأذن بها الله. ولم يكن يغيب عن العرب – وهم يعرفون لغتهم جيداً، ويعرفون المدلول الحقيقي لدعوة: "**لا إله إلا الله**" – ماذا تعنيه هذه الدعوة بالنسبة لأوضاعهم ورياساتهم وسلطانهم.. ومن ثم استقبلوا هذه الدعوة – أو هذه الثورة – ذلك الاستقبال العنيف، وحاربوها تلك الحرب التي يعرفها الخاص والعام." [208].

زورا، والله المستعان .وانظر هذا التقرير المهم والحوار الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط من الباحثة الأمريكية في رسالتها الدكتوراه عام 2006:

لا علاقة لمحمد بن عبد الوهاب ولا حسن البنا ولا سيد قطب بالتطرف الديني،

http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=9896&article=397873#.VjMh79IrKM8 – جامعة جورج تاون وحاليا بكلية بوسطن، وانظر أيضا هذه الدراسة في غاية الأهمية للأستاذ أحمد عبد المجيد: **سيد قطب بين مؤيديه ومعارضيه**

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title

[207] من باب الأمانة العلمية والدينية أقول مرة أخرى إن هذا الكلام للأستاذ سيد قطب هو من قبيل المتشابه والُمشكل – قد يظن القارئ لأول وهلة أنه يدعو إلى الثورة أو الانقلاب – والأمر ليس كذلك كما قد بينا وشرحنا. هذا الكلام ينبغي أن يرد إلى المحكم من كلامه. و ما هو المحكم من كلامه؟ المحكم من كلامه أنه دعا إلى التثقيف والتربية والتعليم أولا ،كما ثبت ذلك عنه في كل مؤلفاته تقريبا. وإنما هو رحمه الله هنا يفسر ويحلل ويجتهد بهذه العبارات الموهمة للثورة لأنه أستاذ وإمام في البيان والفصاحة! والأمر خلاف وعكس ما توحي هذه العبارات في ظاهرها. فتنبّه بارك الله فيك.

[208]قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2 – ص:1005.

وتأكيدا لما قلناه في تعليقنا في الحاشية أود أن أؤكد كلامي وفهمي مرة أخرى قائلا إن الأستاذ سيد قطب أكد في ظلاله – **كتابه الأم** – أن الواجب على الدعاة غرس العقيدة وعبودية الله في نفوس الناس:" **إن النفوس يجب أن تخلص أولاً لله، وتعلن عبوديتها له،** بقبول شرعه وحده ورفض كل شرع غيره.. قبل أن تخاطب بأي تفصيل عن ذلك الشرع يرغبها فيه !إن الرغبة يجب أن تنبثق من الرغبة في **إخلاص العبودية لله،** والتحرر من سلطان سواه.. لا من أن النظام المعروض عليها.." [209].

يبدو جلياً مما تقدم من تحليل الأستاذ بيان سبب رفض المشركين للدعوة وسبب مقاومتها من العرب بسبب معرفتهم لمدلول: "**لا إله إلا الله**" ومتطلباتها.. وأنهم كانوا يخافون على أنفسهم ومناصبهم الدنيوية.. وهنا درس عظيم للدعاة في أيامنا [210] التي نعيشها، وهو أن الداعي قد يجد معارضة مقاومة لفكرته ودعوته، ليس ذلك بسبب الجهل وعدم المعرفة؛ ولكن لسبب الخوف من ذهاب السلطان والجاه والمنصب والكرسي، فكان من منهج الأستاذ سيد قطب أنه تطرق إلى هذه الأمور، لأنها قد تكون خفية ولكنها حقيقية. وهذا منهج حري بالدعاة أن يفهموه، وأن لا يقفوا مكتفين بالظواهر والسطحيات..[211].

---

[209] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج2 – ص:1011.

[210] أراد الله عزوجل أن أقوم بمراجعة دقيقة لرسالتي التي كتبتها في مرحلة الماجستير في هذه الأيام العصيبة التي تمر بها دولة مصر، حيث إن الاحتجاجات الشعبية والثورة الشبابية المصرية بكافة أطيافه وطوائفه الدينية معتصمون في ميدان التحرير وسط القاهرة يطالبون برحيل الرئيس حسني مبارك وحل نظامه الحاكم. هذا اليوم هو اليوم الرابع عشر على التوالي في صمود وثبات هذا الشعب البطل والجماهير الصابرة المحتسبة.

[211] نفس المصدر والصفحة.

وهنا يأتي تعليل الأستاذ سيد قطب رحمه الله لحكمة البدء بالدعوة إلى العقيدة أولاً حيث استيقن رحمه الله أن هذا هو المنهج القرآني السليم والوحيد للقضاء على التصورات الجاهلية المختلفة ولا ثاني له.. يجب أن تكون نقطة الانطلاق والبداية من الأساس. وحتى يقوى هذا الأساس إننا نحتاج إلى زمن طويل إلى أن تنضج وتستوي فكرة الإيمان، ثم تأتي مرحلة البناء ثم مرحلة جنيُ الثمار وقطفها. والأستاذ سيد قطب يتساءل ويطرح عدة احتمالات وفرضيات:

"..فلم كانت هذه نقطة البدء في هذه الدعوة؟ ولم اقتضت حكمة الله أن تبدأ بكل هذا العناء؟ لقد بعث رسول الله بهذا الدين، وأخصب بلاد العرب وأغناها ليست في أيدي العرب؛ إنما هي في يد غيرهم من الأجناس! بلاد الشام كلها في الشمال خاضعة للروم، يحكمها أمراء من العرب من قبل الرومان. وبلاد اليمن كلها في الجنوب خاضعة للفرس يحكمها أمراء من العرب من قبل الفرس.. وليس في أيدي العرب إلا الحجاز ونجد وما إليهما من الصحارى القاحلة التي تتناثر فيها الواحات الخصبة هنا وهناك! وهنا أورد سيد قطب عدة احتمالات كان من الممكن أن تبدأ الدعوة أولى خطواتها بها. ولكن شيء من هذا القبيل لم يحدث:

-الاحتمال الأول-: **كان في استطاعته أن يثيرها قومية عربية تستهدف تجميع قبائل العرب،** التي أكلتها الثارات، ومزقتها النزاعات وتوجيهها وجهة قومية لاستخلاص أرضها المغتصبة من الإمبراطوريات المستعمرة.. وإنشاء وحدة قوية في كل أرجاء الجزيرة.."[212].

ثم يواصل الأستاذ قائلاً:

[212]قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج2، ص: 1005.

".. ولو دعا يومها رسول الله هذه الدعوة لاستجابت له العرب قاطبة – على الأرجح – بدلاً من أن يعاني ثلاثة عشر عاماً في اتجاه معارض لأهواء أصحاب السلطان في الجزيرة!.. وربما قيل: إن محمداً كان خليقاً بعد أن يستجيب له العرب هذه الاستجابة؛ وبعد أن يولوه فيهم القيادة والسيادة؛ وبعد استجماع السلطان في يديه والمجد فوق مفرقه.. أن يستخدم هذا كله في إقرار عقيدة التوحيد التي بعثه بها ربه، وفي تعبيد الناس لسلطان ربهم بعد أن عبدهم لسلطانه!

ولكن الله –سبحانه– وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله هذا التوجيه! إنما وجهه إلى أن يصدع بلا إله إلا الله: وأن يحتمل هو والقلة التي تستجيب له كل هذا العناء! لماذا؟ إن الله —سبحانه— لا يريد أن يعنت رسوله والمؤمنين معه.. إنما هو — سبحانه— يعلم أن ليس هذا هو الطريق.. ليس الطريق أن تخلص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي.. إلى يد طاغوت عربي.. فالطاغوت كله طاغوت!.. إن الأرض لله، ويجب أن تخلص لله. ولا تخلص لله إلا أن ترتفع عليها راية: "**لا إله إلا الله**".. وليس الطريق أن يتحرر الناس في هذه الأرض من طاغوت روماني أو طاغوت فارسي.. إلى طاغوت عربي.. فالطاغوت كله طاغوت! إن الناس عبيد لله وحده، ولا يكونون عبيداً لله وحده إلا أن ترتفع راية: "**لا إله إلا الله**".. "**لا إله الا الله**" كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد على أحد، لأن السلطان كله لله.. ولأن الجنسية التي يريدها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة [213]، التي يتساوي فيها العربي والروماني والفارسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله. وهذا هو الطريق..".

---

[213] **في ظلال القرآن**: ج2 – ص:1006، وانظر: الباب الثاني من كتاب: **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، ص:273، فإنه مهم للغاية حيث تطرق فيه المؤلف عن دعوة نوح وهود وصالح وموسى عليهم السلام.

وكان من منهج القرآن في الدعوة أن الله لم يوجه رسوله **أن يثير ويعلن دعوة اجتماعية أيضاً**، لأن هذه كتلك، ولم تكن لتصلحهم وتهديهم سبيلاً.. فلأجل ذلك لم يأمره الله تبارك وتعالى بذلك.. لننظر إلى الأستاذ سيد قطب ماذا قال عن هذه النقطة المهمة..قال رحمه الله:

-الاحتمال الثاني-: "..**وكان في استطاعة محمد أن يرفعها راية اجتماعية؛ وأن يثيرها حرباً على طبقة الأشراف**؛ وأن يطلقها دعوة تستهدف تعديل الأوضاع ورد أموال الأغنياء على الفقراء! ولو دعا يومها رسول الله هذه الدعوة، لانقسم المجتمع العربي صفين: الكثرة الغالبة فيه مع الدعوة الجديدة، في وجه طغيان المال والشرف. بدلاً من أن يقف المجتمع كله صفاً في وجه: "**لا إله إلا الله**" التي لم يرتفع إلى أفقها في ذلك الحين إلا الأفذاذ من الناس.. ولكن الله -سبحانه- وهو العليم الحكيم، لم يوجهه هذا التوجيه..

لقد كان الله -سبحانه- يعلم أن هذا ليس هو الطريق.. كان يعلم أن العدالة الإجتماعية لا بد أن تنبثق في المجتمع من تصور اعتقادي شامل؛ يرد الأمر كله لله؛ ويقبل عن رضى وعن طواعية ما يقضي به الله من عدالة في التوزيع، ومن تكافل بين الجميع؛ ويستقر معه في قلب الآخذ والمأخوذ منه أنه ينفذ نظاماً يرضاه الله.." [214].

ثم تطرق الأستاذ سيد قطب إلى ذكر -الاحتمال الثالث-:

"..**وكان في استطاعة محمد أن يعلنها دعوة إصلاحية**، تتناول تقويم الأخلاق، وتطهير المجتمع، وتزكية النفوس، وتعديل القيم والموازين.. وكان واجداً وقتها -كما يجد كل مصلح أخلاقي في أية بيئة - نفوساً طيبة، يؤذيها هذا الدنس؛ وتأخذها الأريحية والنخوة لتلبية دعوة الإصلاح والتطهير.. وربما قال قائل: إنه لو

[214] نفس المصدر والصفحة نفسها.

صنع رسول الله ذلك فاستجابت له – في أول الأمر – جمهرة صالحة؛ تتطهر أخلاقها، وتزكو أرواحها، فتصبح أقرب إلى قبول العقيدة وحملها..بدلاً من أن تثير دعوة أن لا إله إلا الله المعارضة القوية منذ أول الطريق! [215].

ولكن الله –سبحانه– وهو العليم الحكيم، لم يوجه رسوله إلى مثل هذا الطريق، لقد كان الله –سبحانه– يعلم أن ليس هذا هو الطريق! كان يعلم أن الأخلاق لا تقوم إلا على أساس من عقيدة، تضع الموازين، وتقرر القيم وتقرر السلطة التي ترتكن إليها هذه الموازين والقيم؛ كما تقرر الجزاء الذي تملكه هذه السلطة وتوقعه على الملتزمين والمخالفين، وأنه قبل تقرير تلك العقيدة تظل القيم كلها متأرجحة؛ وتظل الأخلاق التي تقوم عليها متأرجحة كذلك؛ بلا ضابط، وبلا سلطان، وبلا جزاء!

فلما تقررت العقيدة – بعد الجهد الشاق —:

- وتقررت السلطة التي ترتكن إليها هذه العقيدة.
- لما عرف الناس ربهم وعبدوه وحده.
- لما تحرر الناس من سلطان العبيد، ومن سلطان الشهوات سواء.
- لما تقررت في القلوب : "**لا إله إلا الله**"..
- صنع الله بها وبأهلها كل شيء مما يقترحه المقترحون.

تطهرت الأرض من الرومان والفرس.. لا ليتقرر فيها سلطان العرب.. ولكن ليتقرر فيها سلطان الله.. لقد تطهرت من الطاغوت كله: رومانياً وفارسياً وعربياً على السواء. وتطهر المجتمع من الظلم الاجتماعي بجملته، وقام النظام الإسلامي يعدل بعدل الله، ويزن بميزان الله ويرفع راية العدالة الاجتماعية باسم إله وحده؛ ويسميها راية الإسلام، لا يقرن إليها اسماً آخر؛ ويكتب عليها: "**لا إله إلا الله**"! وتطهرت النفوس

[215] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2 –ص:1007.

والأخلاق، وزكت القلوب والأرواح؛ دون أن يحتاج الأمر إلى الحدود والتعازير التي شرعها الله – إلا في الندرة النادرة – لأن الرقابة قامت هنالك في الضمائر؛ ولأن الطمع في رضى الله وثوابه، والحياء والخوف من غضبه وعقابه قد قامت كلها مقام الرقابة ومقام العقوبات[216].. وارتفعت البشرية في نظامها، وفي أخلاقها، وفي حياتها كلها، إلى القمة السامقة التي لا ترتفع إليها من قبل قط؛ والتي لم ترتفع إليها من بعد إلا في ظل الإسلام.. ولقد تم هذا كله لأن الذين أقاموا هذا الدين في صورة دولة ونظام وشرائع وأحكام؛ كانوا قد أقاموا هذا الدين من قبل في ضمائرهم وفي حياتهم، في صورة عقيدة وخلق وعبادة وسلوك...، لما أن علم الله منهم ذلك كله، علم أنهم قد أصبحوا – إذن – أمناء على هذه الأمانة الكبرى. أمناء على العقيدة التي يتفرد فيها الله سبحانه بالحاكمية في القلوب والضمائر وفي السلوك والشعائر، وفي الأرواح والأموال، وفي الأوضاع والأحوال.. وأمناء على السلطان الذي يوضع في أيديهم ليقوموا به على شريعة الله ينفذونها.." [217].

أقول: تبدو بوضوح معالم منهجية تعامل الأستاذ سيد قطب مع آيات الدعوة وفهمه فيما نقلته آنفاً، ومن أبرز هذه المعالم فهم الآيات القرآنية وما دلت عليه في ضوء أحداث السيرة النبوية العطرة، والمراحل الدعوية التي مرّ بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ، حيث رأيناه رحمه الله يؤسس أفكاره وآراءه وفقاً لتلك المنهجية معتمداً على السيرة النبوية نصوصاً كاملة من العلماء، ليستنبط في ضوئها دلالات الآية وما دلت عليه من دروس وعبر.

وفي ختام هذا المبحث المهم، كنت أتمنى أن أورد كلام الأستاذ سيد قطب للتأكيد ما سبق ذكره أن الدعوة الإسلامية لو بدأت يومها، بالدعوة إلى التجمع

---

[216] ما أروع الكلام وليت المسلمين يدركون معاني هذا الكلام و دلالاتها الإيمانية والأخلاقية

[217] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2–ص:1008.

القومي أو بالدعوة إلى التطهير أو الإصلاح الأخلاقي أو بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي التي كانت موجودة ومنتشرة بكثرة وقتئذ بين القبائل والأسر؛ لفشلت الدعوة الإسلامية ولم تكن لتنجح هذا النجاح الكبير والمعجز في وقت قياسي.

قال رحمه الله:

"..ولم يكن شيء من هذا المنهج المبارك ليتحقق على هذا المستوى الرفيع، إلا أن تبدأ الدعوة ذلك البدء، وإلا أن ترفع الدعوة هذه الراية وحدها.. **راية لا إله إلا الله.. ولا ترفع معها سواها**.. وإلا أن تسلك الدعوة هذا الطريق الوعر الشاق في ظاهره المبارك الميسر في حقيقته. وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله،لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية،[218] أو دعوة اجتماعية، أو دعوة أخلاقية..

---

[218] **توضيح**: أرى من الضروري في هذا الصدد التعليق عن القومية الذ ورد الحديث عنها كثيراً في كتابات الأستاذ سيد قطب رحمه الله.. **أقول**: إن الذي يبدو لي في هذه المسألة هو: أن **للقومية أو الانتماء القومي أو العرقي أو العنصري** أساس وذكر في القرآن والسنة، ولكن بضوابط وحدود. فمن جملة ما ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾[الروم:22]، **ووجه الإستدلال**: أن الله ذكر هذه النعم في معرض المدح وليس الذم، كما يفهم ذلك من السياق العام في الآية والآيات التي سبقتها ولحقتها. إن اختلاف الألسن والألوان هي من نعم الله على الإنسان ومن آياته الدالة على وجود الله الخالق تبارك وتعالى. إذن لا مجال لإنكار هذه الحقيقة ولا مفر منها. حيث شاء ال يخلقني الله في أرض كوسوفا وأن أكون من أبوين مسلمين ألبانيين، إذن فأنا مسلم ألباني ولا ضير ولا حرجأن أحتفظ بهويتي ولغتي وقوميتي ووطنيتي وبِسِمَاتِ شخصيتي وهويتي التي خلقني الله عزوجل عليها. وأي إنكار لذلك هو إنكار لإرادة الله وحكمته، إذ أنه تعالى لو شاء أن يخلقني عربياً أو تركياً أو فارسياً...إلخ، لفعل ذلك وما ذلك على الله بعزيز. إذن أنا فخور بكوني مسلماً ألبانياً منضبطاً بضوابط الإسلام وقواعده. وأي خروج عن ضوابط الإسلام وحدوده؛ يعتبر خروجاً عن هدي الإسلام. المهم تطبيق أوامر الدين والاجتناب عن نواهيه، أما الذين يرفعون شعارات القومية هتافة وبراقة فوق شعار الدين والعياذ بالله.. فهؤلاء وأمثالهم لا شأن لنا بهم وهو بعيدون كل البعد عن هدي الإسلام، وقد يكون هو

أو رفعت أي شعار إلى جانب شعارها الواحد: "**لا إله إلا الله**" ..[219].

المطلب الثاني : مراعاة أحوال المخاطبين

المقصود من كلام الأستاذ سيد قطب والله أعلم. نقطة أخرى مهمة أود الإشارة إليها أن قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [إبراهيم:4]، **وجه الاستدلال**: أن الإسلام لم يأت ليحارب الصفات الجِبِلّية عند الإنسان مثل الأكل والشرب والزواج والتمتع بالطيّبات في هذه الحياة الدنيا: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:32]، ولغة الإنسان ووطنه وعاداته هي من الأمور الجِبِلّية عند الإنسان، وأن الإسلام جاء ليهذبها ويطهرها من دنس الأخلاق وليتمم فيها مكارم الأخلاق..جاءت هذه الآية الكريمة مقررة لهذه الحقائق التي نعتقد بها، وأن الله أرسل كل رسول بلسان قومه الذين أرسل إليهم، ولم يأمر رسله أن يلغوا لغة أقوامهم التي بعثوا إليها..كما أن هناك آيات أخرى تتحدث عن هذه الأمور مثل آية سورة الحجرات وغيرها.. والله أعلم.

وأما من السنة المطهرة: عن عبدالله بن عدي الحمراء، قال: رأيتُ رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِه وسلَّمَ – واقفًا على الحزورةِ فقال: (واللهِ إنك لخيرُ أرضِ اللهِ وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ ولولا أني أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ)، المصدر : **الصحيح المسند –** الصفحة أو الرقم: 714 ، المحدث: الوادعي، خلاصة حكم المحدث: على شرط الشيخين، **ووجه الاستدلال**:حبه الشديد صلى الله عليه وسلم لوطنه ومكان ولادته ونشأته.. إذ أن هذه من الأمور الجِبِلّية التي لا يتعارض مع الإسلام، كما قررنا سابقاً. **وما حال سيدنا بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي** رضى الله عنهم أجمعين عنا ببعيد.لم نسمع قط ولم يرْوِ لنا أحد في السيرة المطهرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر هؤلاء الصحب الكرام عندما أسلموا أن ينسوا هويتهم ولغتهم وجنسيتهم.. المهم والمطلوب من المسلمين كافة أن تكونوا مسلمين مؤمنين مخلصين.. مع الحفاظ على أصولكم وهويتكم القومية والعرقية..والله أعلم.

[219] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2 – ص: 1009.

هذا المطلب له علاقة بالمطلب السابق. وقد رأينا فيه المعالم التي يجب أن ينطلق منها الداعية إلى الله تعالى، كم لا يخفى علينا أن الدعوة تتعلق بالمدعوين على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم وأطيافهم، فمن المهم جداً معرفة أحوال المخاطبين بالدعوة الإسلامية. إن مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة إلى الله نالت اهتماماً كبيراً عند تفسير الأستاذ سيد قطب رحمه الله، لأن هذا المنهج الرباني راعى أحوال العرب والناس عامةوهو يأخذهم وينتقل بهم من خطوة إلى خطوة رويداً رويداً.. ومن حكم إلى آخر، ولأن القرآن الكريم لم يحملهم جملة واحدة إلى تنفيذ وتطبيق الأحكام. فعلى الداعية أن يكون على بينة من الأمر من هذه المسألة المهمة وعليه الالتزام بقاعدة: **فقه النص، وفقه الواقع، وفقه تنزيل النص على الواقع،** وللإمام ابن القيم كلام جميل ومهم حول هذه المسألة، فارجع إليه إن شئت في باب: **آداب المفتي والمستفتي**.

لننظر إلى هذا التحليل الذي حلله الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى، في قضية بناء الأمة والقاعدة الإيمانية، ومراعاة الخطوات الواجبة اتباعها في أحوال المخاطبين، قال رحمه الله:

".. وبصفة خاصة كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حية واقعية.. كان يخوض بها معركة مع الركام المعطل للفطرة.. في نفوس آدمية حاضرة واقعة.. ومن ثم لم يكن شكل "**النظرية**" هو الشكل الذي يناسب هذا الواقع الحاضر. إنما كان هو شكل المواجهة الحية للعقابيل والسدود والحواجز والمعوقات النفسية والواقعية في النفوس الحاضرة الحية.. ولم يكن الجدل الذهني الذي انتهجه – في العصور المتأخرة – علم التوحيد [220]، هو الشكل المناسب كذلك.. فلقد كان القرآن يواجه واقعاً بشرياً كاملاً

[220] وقد ذكر الأستاذ محمد توفيق بركات في كتابه: **سيد قطب، خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه** فصلاً خاصاً عن الانتقادات الموجهة إلى سيد قطب، ومن جملة الانتقادات التي وجهها الناس للأستاذ سيد قطب رحمه الله، أنه كان معارضاً لمناهج علماء علم التوحيد في تناولهم

بكل ملابساته الحية؛ ويخاطب الكينونة البشرية بجملتها في خضم هذا الواقع .. وكذلك لم يكن "**اللاهوت**" [221] هو الشكل المناسب. فإن العقيدة الإسلامية ولو أنها عقيدة، إلا أنها عقيدة تمثل منهج حياة واقعية للتطبيق العملي؛ ولا تقبع في الزاوية الضيقة التي تقبع فيها الأبحاث اللاهوتية النظرية! كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بهذه الجماعة المسلمة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها؛ كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها..ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة:

- **لا في صورة نظرية.**
- **ولا في صورة لاهوت.**
- **ولا في صورة جدل كلامي.**

ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة، ممثل في الجماعة المسلمة ذاتها وكان نمو الجماعة المسلمة في تصورها الإعتقادي، وفي سلوكها الواقعي وفق هذا التصور وفي دربتها على مواجهة الجاهلية كمنظمة محاربة لها.. كان هذا النمو ذاته ممثلاً تماماً لنمو البناء العقيدي، وترجمة حية له.. وهذا هو منهج الإسلام الذي يمثل طبيعته كذلك..[222].

مباحث العقيدة على شكل المناهج الفلسفية، ورأى رحمه الله أنه كان من الواجب علينا أن نسلك منهج القرآن الكريم في تناول قضايا العقيدة بشكل مباشر من القرآن والسنة دون الخوض في الجدليات العقيمة..لمعرفة التفاصيل في هذا الموضوع..راجع المسألة في ص: 199 وما بعدها.

[221] انظر: Ali Muhsin : *Let the Bible Speak* ,pp :20-55

[222] وكأن المستشار **د. علي محمد جريشة** يتفق مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله في هذه النقطة عندما تحدث عن ملامح الدعوة الإسلامية في كتابه: (**أصول الدعوة الإسلامية**) عندما قال: "ملامح الدعوة: **أنها ربانية، وأنها شاملة، وأنها دعوة تخطيط ومناهج**.." .

والذي يبدو لي أن هذا الكلام على النحو الذي سبق لم يكن معروفاً لدى المفسرين المتقدمين بهذا الشكل. وإنما الذي جر الأستاذ سيد قطب رحمه الله إلى هذا هو عيشه في الحضارة الغربية ودراسته لهذه الحضارة دراسة متعمقة وفاحصة حيث توصل إلى النتيجة: أن تدريس الدين للمسلمين في الغرب وشرحه وتناوله، كان على شكل: **نظرية فلسفية**، وعلى **شكل اللاهوت** أي **الإلهيات تارةً** أخرى، وهذا التفسير المشوه جرهم إلى نتائج سلبية على العلماء في ذلك العصر مثل قتلهم وإحراقهم بسبب دَور رجال الدين والكنيسة السلبي على العلم.. فلأجل هذا كان للأستاذ سيد قطب رحمه الله نظرة خاصة في هذا الموضوع، بأن الإسلام ودعوته ليس مثل تلك الدعوات الدينية المسيحية الفارغة في الغرب. وهو بذلك قد أعطى للدعاة من بعده معالم منهجية وضَّاءة ونَيِّرة، وعلى وفق تلك المعالم يفهم هذا الدين الإسلامي، وعلى هذا السبيل ندعو إليه. قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"وإنه لمن الضروري لأصحاب الدعوة الإسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه في الحركة على هذا النحو الذي بيناه.. ذلك ليعلموا أن مرحلة بناء العقيدة التي طالت في العهد المكي على هذا النحو، لم تكن منعزلة عن مرحلة التكوين العملي للحركة الإسلامية، والبناء الواقعي للجماعة المسلمة..، لم تكن مرحلة تلقي "**النظرية**" ودراستها! ولكنها كانت: مرحلة البناء الأساسي للعقيدة وللجماعة وللحركة وللوجود الفعلي معاً.. وهكذا ينبغي أن تكون كلما أريد إعادة هذا البناء مرة أخرى.. هكذا ينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة؛ وأن تتم خطواتها على مهل وفي عمق وتثبت.. وهكذا ينبغي ألا تكون مرحلة بناء العقيدة مرحلة دراسة نظرية للعقيدة؛ ولكن مرحلة ترجمة لهذه في صورة حية، متمثلة في ضمائر متكيفة بهذه العقيدة، ومتمثلة في بناء جماعي يعبر نموه عن نمو العقيدة ذاتها، ومتمثلة في حركة واقعية تواجه الجاهلية وتخوض

معها المعركة في الضمير وفي الواقع كذلك، لتتمثل العقيدة حية وتنمو نمواً حياً في خضم المعركة.." [223]

نلاحظ مما مر سابقاً من كلام الأستاذ سيد قطب منهجيته في فهمه لآيات الدعوة هذه المنهجية ظهرت على صورة نقد شديد لما عليه مناهج التعليم الغربية للأديان عموماً وللإسلام على وجه خاص، إذ أن مناهجهم التعليمية كانت وما زالت على شكل صورة: **النظرية أو اللاهوت** أو **الإلهيات** وبين الأستاذ سيد قطب تهافت هذه المنهجية، بأن تناول الإسلام ودراسته لا يتمشى مع هذا المنهج، وذلك لأن الله أراد بهذا القرآن وبهذه العقيدة أن يبني الجماعة والعقيدة في آن واحد أو أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الفعلي في تنظيم واقعي. وهذا المنهج جدير بدعاة اليوم أن يسلكوه في فهمهم للدعوة والمدعوين، فلابد من التنظيم سواء في التربية وفهم العقيدة وغرسها في نفوس وعقول الناس بشكل منطقي متسلسل، وقبل غرس العقيدة وتقويتها في النفوس يستحيل أن تجد ثمار العقيدة وآثارها في الحياة مثل الصبر وتحمل المشاق في سبيل تبليغ رسالة الله إلى الناس والتضحية بالنفس والمال كما فعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويلاحظ مما سبق من منهجية الأستاذ سيد قطب إعماله وتطبيقه للقواعد الشرعية في فهمه لآيات الدعوة، وهي عدم استعجاله في النتائج قبل أوانها، وخاصة في مراحل بناء الأمة وإعدادها إعداداً كاملاً.وهذا المنهج حري بالدعاة أن يسلكوه في دعوتهم إلى الله تعالى. وهذه القضية هي طبيعة هذا الدين تقتضي هذا المنهج. لقد ركز الأستاذ سيد قطب رحمه الله على أن:

[223] راجع لمعرفة التفصيل في هذا الموضوع: **في ظلال القرآن**: ج2- ص: 1012 – 1013.

"..هذه هي طبيعة هذا الدين – كما تستخلص من منهج القرآن المكي – ولا بد أن نعرف طبيعته هذه؛ ولا نحاول أن نغيرها تلبية لرغبات معجلة مهزومة أمام أشكال النظريات البشرية! فهو بهذه الطبيعة صنع الأمة المسلمة أول مرة، وبها يصنع الأمة المسلمة في كل مرة يراد أن يعاد إخراج الأمة المسلمة للوجود، كما أخرجها الله أول مرة .." [224]

قد يقول قائل: حسناً من الناحية النظرية فهمنا أن القرآن الكريم سلك مبدأ التدرج وراعى أحوال المخاطبين في الجزيرة العربية في قضائه على التصورات الجاهلية المختلفة، ولكننا لم نر أي مثال حي واقعي وتطبيقي على هذا الكلام فيما ذكرته لنا إلى الآن فكيف كان فهم وتعليل الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى لهذه القضية؟

أقول في الجواب على هذا السؤال: إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله بين منهجه في فهمه للآيات، وضرب لنا أروع الأمثلة على كل ما قاله وذكره،وكيف تم ذلك.. وهنا يظهر طريقته ومنهجه في تناوله للآيات خطوة خطوة. ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ**

[224] انظر المرجع السابق.

سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 136-153].

لقد بين رحمه الله أولاً مزاعم وعقائد المشركين التي كانوا عليها ثم أتبع ذلك بكيفية معالجة القرآن لتلك العقائد الباطلة في الثمار والأنعام والأولاد حيث ذكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله المعنى الإجمالي لتلك الآيات بعد أن عرض جملة من تلك المزاعم: ".. ولقد سلك سياق القرآن بهذا المنهج في خطواته البطيئة الطويلة الدقيقة:

1. لقد قرر ابتداء خسران الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله – افتراءً على الله، وأعلن ضلالهم المطلق في هذه التصورات والمزاعم التي ينسبونها إلى الله بغير علم.
2. ثم لفت أنظارهم إلى أن الله هو الذي أنشأ لهم هذه الأموال التي يتصرفون فيها هذه التصرفات.. هو الذي أنشأ لهم جنات معروشات وغير معروشات، وهو الذي خلق لهم هذه الأنعام.. والذي يرزق هو وحده الذي يملك، وهو وحده الذي يشرع للناس فيما رزقهم من هذه الأموال .. وفي هذه اللفتة استخدم حشدا من المؤثرات الموحية من مشاهد الزروع والثمار والجنات المعروشات وغير المعروشات.
3. بعد ذلك استعرض في تفصيل شديد سخافة تصوراتهم فيما يختص بالأنعام، وخلوها من كل منطق، وألقى الأضواء على ظلمات التصورات حتى لتبدو تافهة مهلهلة متهافتة.. وفي نهاية هذا الاستعراض يسأل: علام تركنون في

هذه التشريعات الخالية من كل حجة ومنطق: ﴿..**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا**..﴾ [الأنعام: 144]، فكان ذلك سراً تعلمونه أنتم ووصية خاصة بكم! ويشنع بجريمة الافتراء على الله، وإضلال الناس بغير علم. ويجعل هذا التشنيع أحد المؤثرات المتنوعة التي يستخدمها.

4. وهنا يقرر السلطة صاحبة الحق في التشريع. ويبين ما حرمته هذه السلطة فعلاً من المطاعم. سواء ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود خاصة وأحله الله للمسلمين.
5. ثم يناقش إحالتهم هذه الجاهلية – الممثلة في الشرك بالله وتحريم ما أحل الله وكلاهما في مستوى الآخر من ناحية دلالته ووصفه الشرعي عند الله – على إرادة الله وقولهم: ﴿ ..**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ**..﴾ [الأنعام: 148]، فيقرر أن هذه المقالة هي مقالة كل كافر مكذب من قبل، وقد قالها المكذبون حتى جاءهم بأس الله: ﴿..**كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا**..﴾ [الأنعام: 148]، فالشرك كالتحريم بدون شرع الله، كلاهما سمة المكذبين بآيات الله. ويسألهم في استنكار علام ؟
6. تحيلون هذه المقررات التي تقررونها: ﴿..**قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: 148]!
7. ثم ينهي مناقشتهم في هذا الشأن بدعوتهم إلى موقف الإشهاد والمفاصلة – تماماً كما دعاهم إلى هذا الموقف في أول السورة في شأن أصل الاعتقاد – مع استخدام نفس العبارات والأوصاف، بل نفس الألفاظ، للدلالة على أن القضية واحدة: قضية الشرك بالله، وقضية التشريع بغير إذن من الله: ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ**

مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 150]، ونرى من الآية إلى جانب وحدة المشهد والعبارة واللفظ، أن الذين يزاولون هذه التشريعات هم الذين يتبعون أهواءهم وهم الذين كذبوا بآيات الله. وهم الذين لا يؤمنون بالآخرة. فلو أنهم صدقوا بآيات الله وآمنوا بالآخرة واتبعوا هدى الله ما شرعوا لأنفسهم وللناس من دون الله. وما حرموا وحللوا بغير إذن من الله.

وفي نهاية الشوط يدعوهم ليبين لهم ما حرمه الله حقاً.. وهنا نرى جملة من المبادئ الأساسية للحياة الاجتماعية، في مقدمتها توحيد الله، وبعضها أوامر تكاليف ولكن التحريمات أغلب، فجعلها عنواناً للكل: لقد نهى الله عن الشرك، وأمر بالإحسان للوالدين، ونهى عن قتل الأولاد من الفقر مع طمأنتهم على الرزق.." [225].

ومن خلال تتبعنا واستقرائنا لمنهجية الأستاذ يتضح مما ذكره آنفاً تركيزه على الجانب العملي في الإسلام حيث حلّل تصرفات المشركين في التحريم والتحليل في الأنعام والثمار، وأعتبر هذه التصرفات كالشرك الخالص لله عزوجل، وأنه ليس دين نظريات فلسفية، وإنما الإسلام منهج حياة ليعيش المجتمع المسلم وفق تعاليمه.

والأمر الثاني: استنباطه من منهج القرآن في إزالة العقائد والتصورات الباطلة نهجاً دعوياً، ينبغي مراعاته من قبل الدعاة، وأهم دعائم هذا المنهج: المرحلية والتدرج ومراعاة أحوال المخاطبين، والله أعلم.

المطلب الثالث: مخاطبة القرآن للفطرة البشرية

[225] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج3، ص: 1215 بتصرف، وانظر: فائز، أحمد، **الدعوة في ظلال القرآن**: ج 1، ص: 148-152

إن مخاطبة القرآن للفطرة البشرية[226]، لا أبالغ إن قلت إن هذا المنهج الدعوي القرآني يعتبر من أهم الموضوعات التي أولاها الأستاذ سيد قطب عناية بالغة من خلال عيشه في ظلال القرآن..ذلك، لأن مخاطبة النفس البشرية من هذا الجانب له أثره الكبير في إيقاظ الهمم والعزائم والدعوة إلى الإسلام. والله سبحانه تعالى هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويعلم ما تكن النفوس. وقد تطرق الأستاذ سيد قطب رحمه الله إلى بيان سبب عدم إيمان المشركين بالرسالة المحمدية، مشيراً إلى أن أجهزة الاستقبال الفطرية عندهم مثل السمع والبصر والفكر كانت معطلة عن أداء وظيفتها بسبب الحياة الجاهلية والتصورات الباطلة عن الله والكون. هذا النوع من التحليل الدعوي الفكري الفلسفي شدّ انتباهي كثيراً كيف أن الله عز وجل فتح على الأستاذ سيد قطب في تناولها وشرحها وتفسيرها وتذكير الدعاة بها. قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"..كلا.. لقد كان القرآن الكريم يخاطب **فطرة** "الإنسان" بما في وجوده هو وبما في الوجود من حوله من دلائل وإيحاءات..كان يستنقذ فطرته من الركام؛ ويخلص أجهزة الاستقبال الفطرية مما ران عليها وعطل وظائفها؛ ويفتح منافذ الفطرة لتتلقى الموحيات المؤثرة وتستجيب لها..والسورة التي بين أيدينا نموذج كامل من هذا المنهج المتفرد..هذا بصفة عامة. وبصفة خاصة كان القرآن يخوض بهذه العقيدة معركة حية واقعية كان يخوض بها معركة مع الركام المعطل للفطرة..في نفوس آدمية حاضرة واقعة..فلقد كان القرآن يواجه واقعاً بشرياً كاملاً بكل ملابساته الحية؛ ويخاطب الكينونة البشرية بجملتها في خضم هذا الواقع..كذلك لم يكن "**اللاهوت**" هو الشكل

[226] ورد الحديث عن الفطرة في هذه الصفحات من الظلال في تفسيره لسورة الأنعام: 1053،1087،1088،1098،1123،1137،1138،1146،1153،1161،من المجلد الثاني، وكذلك ورد في ج 3، ص: 1202.

المناسب. فإن العقيدة الإسلامية ولو أنها عقيدة إلا أنها عقيدة تمثل منهج حياة واقعية للتطبيق العملي؛ ولا تقبع في الزاوية الضيقة التي تقبع فيها الأبحاث اللاهوتية النظرية!

كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بهذه الجماعة المسلمة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها؛ كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها..ومن هذه الملابسات ظهر بناء العقيدة، لا في **صورة نظرية، ولا في صورة لاهوت ولا في صورة جدل كلامي**..ولكن في صورة تكوين تنظيمي مباشر للحياة، ممثل في الجماعة المسلمة ذاتها. وكان نمو الجماعة المسلمة في تصورها الاعتقادي، وفي سلوكها الواقعي وفق هذا التصور، وفي دربتها على مواجهة الجاهلية كمنظمة محاربة لها..كان هذا النمو ذاته ممثلاً تماما لنمو البناء العقيدي، وترجمة حية له..وهذا هو منهج الإسلام الذي يمثل طبيعته كذلك..**وإنه لمن الضروري لأصحاب الدعوة الإسلامية أن يدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه في الحركة على هذا النحو الذي بيناه**..ذلك ليعلموا أن مرحلة بناء العقيدة التي طالت في العهد المكي على هذا النحو، لم تكن منعزلة عن مرحلة التكوين العملي للحركة الإسلامية، والبناء الواقعي للجماعة المسلمة..لم تكن مرحلة تلقي "**النظرية**" ودراستها! ولكنها كانت مرحلة البناء القاعدي للعقيدة وللجماعة وللحركة وللوجود الفعلي معاً..وهكذا ينبغي أن تكون كلما أريد إعادة هذا البناء مرة أخرى..هكذا ينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة؛ وأن تتم خطواتها على مهل وفي عمق وتثبت.. وهكذا ينبغي ألا تكون مرحلة بناء العقيدة مرحلة دراسة نظرية للعقيدة؛ ولكن مرحلة ترجمة لهذه في صورة حية، متمثلة في ضمائر متكيفة بهذه العقيدة؛ ومتمثلة في بناء جماعي يعبر نموه عن نمو العقيدة ذاتها؛ ومتمثلة في حركة واقعية تواجه الجاهلية وتخوض معها المعركة في الضمير وفي الواقع كذلك؛ لتتمثل العقيدة حية وتنمو نمواً حياً في خضم

المعركة.وخطأ أي خطأ – بالقياس إلى الإسلام – أن تتبلور النظرية في صورة نظرية مجردة للدراسة النظرية..المعرفية الثقافية.. [227].

يظهر لنا مما سبق من منهجية الأستاذ رحمه الله اعتقاده الجازم فيما ذهب إليه من أن نمو العقيدة في نفوس الأجيال يجب أن يسير وفق نمو العظام مع اللحم متصلةً مع بعضها وليست منفصلةً عنها على شكل نظرية لاهوتية أو نظرية فلسفية عقيمة، ولكنه في نفس الوقت يبني قاعدة الإيمان والجماعة والحركة عقيدةً حيةً وسط التحديات الاجتماعية والفكرية والمذهبية وهذا هو منهج القرآن – في القضاء على التصورات والعقائد الجاهلية الباطلة –..فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿..**الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 20]، قال:

"لقد خسروا أنفسهم وفقدوها، فلم تعد لهم نفس تؤمن..وهو تعبير دقيق عن حالة واقعة..إن الذين لا يؤمنون بهذا الدين – مع عمق ندائه وإيحائه للفطرة بموحيات الإيمان ودلائله – هؤلاء لا بدأن يكونوا قد فقدوا قبل ذلك فطرتهم! لا بد أن تكون أجهزة الاستقبال والاستجابة الفطرية في كيانهم معطلة مخربة أو محجوبة مغلفة. فهم في هذه الحالة قد خسروا أنفسهم ذاتها..ومن ثم لا يؤمنون..وهذا هو التفسير العميق لعدم إيمانهم مع توافر دلائل الإيمان وموحياته من حولهم.." [228].

ونلاحظ مما سبق من كلام الأستاذ سيد قطب أن النتيجة لهؤلاء الكفار كانت هي الخسارة الكبرى والتي هم تسببوا فيها. وهنا تحليل دقيق انتبه إليه الأستاذ سيد قطب في معرفة سبب عدم إيمانهم بربهم الحق، وذلك بسبب فساد فطرتهم وتعطلها أو غفلتها.

---

[227] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص:1012.

[228] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1053.

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الأنعام: 40]، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

" إنها مواجهة الفطرة بتصور الهول..عذاب الله في الدنيا عذاب الهلاك والدمار، أو مجئ الساعة على غير انتظار..والفطرة حين تلمس هذه اللمسة وتتصور هذا الهول تدرك – ويعلم الله أنها تدرك– حقيقة هذا التصور وتهتز له لأنه يمثل حقيقة كامنة فيها، يعلم بارئها أنها كامنة فيها ويخاطبها بها على سبيل التصور، وتهتز لها وترتجف وتتعرى..إن الهول يعري فطرتكم – حينئذٍ– فتتجه بطلب النجاة إلى الله وحده وتنسى أنها أشركت به أحداً..بل تنسى هذا الشرك ذاته..إن معرفتها بربها هي الحقيقة المستقرة فيها، فأما هذا الشرك فهو قشرة سطحية طارئة عليها.."[229].

يظهر مما سبق من كلام الأستاذ رحمه الله أن الشرك والكفر والإلحاد..كل هذه المظاهر السلبية هي طارئة على النفس البشرية بدليل اعترافها بربها الحق والإيمان به أمام الهول والشدائد والحالات الحرجة والكوارث الطبيعية، وهذا مشاهد وملموس في أيامنا أثناء رحلاتنا الجوية أو البرية أو البحرية فإن أي هزة مفاجئة للطائرة أو السفينة أو المركبة، أو أي هبوط مفاجئ بسبب الضباب أو الأمطار الشديدة أو السحب الرعدية فإن جميع المسافرين دون استثناء – المؤمنون والمسلمون منهم والكفار والملاحدة والشيوعيون – على متن الطائرة يصرخون قائلين: يا رباه..!! Oh my God. كما أننا نرى ذلك في وسائل الإعلام المختلفة عندما نشاهد الأفلام الوثائقية أو التسجيلات حينما تعرض اللقطات المباشرة للفيضانات والزلازل والعواصف والبراكين، عافانا الله وإياكم.

[229] **المصدر السابق**: ج 2، ص: 1087.

لعمري هذا تفسير له شأن كبير في حياتنا الدعوية، ويظهر هذا الشأن في مخاطبتنا للناس من مختلف الطبقات بأن ما يتظاهرون من هذه الكفريات والشركيات والمخالفات الإسلامية أنها لا تعبر عن الحقيقة المطلقة لما عليها فطرتهم الأصلية، وإنما الحقيقة المطلقة هي ما دلنا عليه القرآن من الأمر مختلف عن ذلك تماماً، وذلك عندما تعترف النفس البشرية يوم القيامة أمام الشدائد والأهوال بربها الحق.

وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ سيد قطب رحمه الله من أنه شك شكاً عميقاً في صدق أولئك الذين يمارسون الإلحاد في شتى صوره وأشكاله.. ويبدو لي أن هذا من منهجه في تفسيره للحقائق الدينية، وأن الفطرة البشرية السليمة تأبى ذلك وترفضه.

وهنا يكشف الأستاذ سيد قطب عن غطاء تاريخي من تاريخ اليهود الأسود من استغلالهم للشعوب الإسلامية. وهذا الكشف يظهر هذه الحقيقة الكبرى الفطرية من أنهم عندما يحاولون غرس أفكارهم ومذاهبهم لا يحاربون الإسلام علانيةً حتى لا يتصادموا مع الفطرة..وإنما ينشرون هذه المذاهب تحت ستار الإسلام وتحت رايته من مختلف المستنقعات والقاذورات والانحلال الخلقي على حد تعبير الأستاذ[230].

وحتى يتم إنقاذ الفطرة وإيقاظها وتحريكها لابد من وحي إلهي لأنها بلا وحي تنحرف، وكذلك العقل بلا وحي من الله ورسالة يضل، فلا بد من إرسال الرسل وإنزال الوحي حتى يستقيم أمر الفطرة وأمر العقل[231].

وفي تفسيره لقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي**

[230]انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1088.

[231]انظر في هذا الصدد بشيء من التفصيل**المصدر السابق**: ج2، ص: 1098.

فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 74-83]، إن جملة ما ذكره الأستاذ في هذا الصدد أن الفطرة السليمة في قصة إبراهيم عليه السلام تبحث عن إلهها الحق وبارئها، وتنكر التصورات الجاهلية من حولها وتستنكرها..وعندما تجد هذه الحقيقة فهي تفرح وتشرق وتتجلى لها..وهذا مشهد رائع للفطر السليمة..[232].

والفطرة قد تنحرف وتفسد بسبب ما يقع عليها من ضغوط داخلية وخارجية وبسبب الإغواء والاستهواء التي يقوم به شياطين الإنس والجن..فكان من رحمة الله تعالى أن بعث الرسل والأنبياء حتى يستنقذوا تلك الفطر السليمة من الإنحراف والضلال[233].

وأخيراً ذكر الأستاذ رحمه الله في موضوع الفطرة في هذه السورة المباركة، أن هناك فطراً منتكسة ومطموسة..وتسائل عن الخلاص لهذه الفطر المنتكسة؟ ثم أجاب

[232] انظر: للتوسع **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1137-1138.

[233] المصدر السابق: ص: 1146.

الخلاص الوحيد لها هو الإيمان الذي يفتح القلب وينير البصيرة وينبه أجهزة الاستقبال الفطرية ويوقظها ويصل الكائن الإنساني بالوجود[234].

إذن فلننتبه نحن الدعاة إلى تفسير وتحليل هذه القضايا النفسية والروحية التي قد يعجز عن حسن بيانها وإبراز هذه الحقائق المسلمة فيها أكبر عالم من علماء علم النفس، كما يحسن بالدعاة أن ينتبهوا إلى رصيد مهم جداً يملكه من يخاطبونهم من المدعوين..إنه رصيد الفطرة فالدعوة إذن تحتاج إلى بذل الجهد والتضحية والصبر وعدم الاستعجال، فإن الكثير من المدعوين قابل للإستجابة لنداء فطرته في أية لحظة من اللحظات، فلنحسن استغلالها واستخدامها، لأن التشريعات الإسلامية ليست خالية من الجوانب الروحية والنفسية والعقلية.. فلابد من مخاطبة الناس من هذه الزوايا الثلاثة، ولا نركز على جانب دون جانب.. والله أعلم.

إذن نخلص إلى القول بأنه كان من منهج القرآن في القضاء على التصورات والعقائد الباطلة أنه حرك قضية من قضايا النفس الداخلية والخفية، وهي الفطرة لما لها من دور إيجابي في كثير من الأحيان[235].

---

[234] المصدر السابق: ج2، ص: 1161.

[235] للمزيد عن الموضوع راجع: **هذا الدين**، لسيد قطب، فصل: (**الفصام النكد**)، (**تيه وركام**).

لماذا أعدموني ؟
سيد قطب

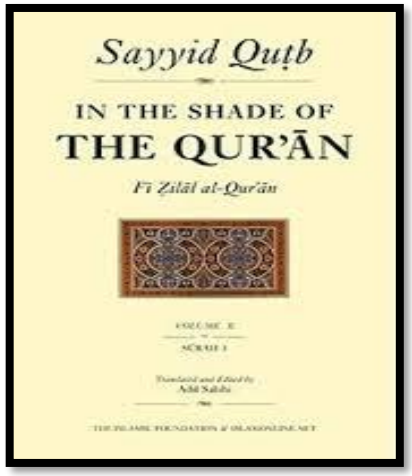
Sayyid Quṭb
IN THE SHADE OF
THE QUR'ĀN
Fī Ẓilāl al-Qur'ān

الفصل الرابع:

صفات الداعية في المنهج القرآني

المبحث الأول:المكونات النفسية للداعية

المطلب الأول: الجانب الروحي

لقد أولى الأستاذ سيد قطب رحمه الله اهتماماً كبيراً عن الصفات والآداب التي يجب أن يتحلى وأن يلتزم الداعية بها من منظور المنهج القرآني في تفسيره **في ظلال القرآن** ولاسيما في تفسيره لسورة الأنعام[236]. كما أنه رحمه الله صحح بعض المفاهيم الخاطئة لدى المتحمسين من الدعاة الذين تشتاق نفوسهم لرؤية النتائج قبل أوانها، حيث أن أرواحهم تتطلع دائماً إلى نصر الله عزوجل– وهو آت لا محالة –، ولكنهم قوم يستعجلون.. فقال الأستاذ رحمه الله:

"..ولقد يخيل إلى بعض المخلصين المتعجلين، ممن لا يتدبرون طبيعة هذا الدين، وطبيعة منهجه الرباني القويم، المؤسس على حكمه العليم الحكيم، وعلمه بطبائع البشر وحاجات الحياة.. نقول لقد يخيل لبعض هؤلاء أن عَرْضَ أسس النظام الإسلامي – بل التشريعات الإسلامية كذلك – على الناس مما ييسر لهم طريق الدعوة، ويحبب الناس في هذا الدين! وهذا وهم تنشئه العجلة! وهم كالذي كان يقترحه المقترحون: أن تقوم دعوة رسول الله – في أولها تحت راية قومية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، تيسيراً

---

[236] انظر الصفحات التالية من تفسيره، ج 2، ص: 1011-1012-1013-1014-1015-1033-1054-1058-1070-1071-1073-1077-1078-1079-1081-1082-1083-1084-1097-1099-1100-1126-1127-1159-1169، وفي ج3، ص: 1189-1190-1191-1202-1220-1227.

للطريق! **إن النفوس يجب أن تخلص أولاً لله، وتعلن عبوديتها له،** بقبول شرعه وحده ورفض كل شرع غيره.. قبل أن تخاطب بأي تفصيل عن ذلك الشرع يرغبها فيه! إن الرغبة يجب أن تنبثق من الرغبة في **إخلاص العبودية لله،** والتحرر من سلطان سواه.. لا من أن النظام المعروض عليها.." [237].

يبدو جلياً من كلام الأستاذ سيد قطب السابق منهجيته في التركيز على أهم صفة من الصفات الروحية التي يجب أن يتحلى بها الداعية. ألا وهو صفة (**الإخلاص**) الذي قامت عليه سعادة المؤمن في الدنيا والآخرة. إن كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله وإن كان في الحديث عن المسلمين عامة في كيفية التأدب والتربية وتلقي شرع الله عزوجل؛ إلا أنه يفهم من هذا الكلام أيضاً أن الإخلاص أمر مهم بالنسبة للداعية أيضاً وأن الإخلاص وتقوى الله رأس الأمر كله وشرط للنجاح في الدنيا والآخرة، والآيات الكثيرة في القرآن الكريم تؤكد هذا المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي**﴾ [الزمر: ١٤]، وقوله: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله:﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [غافر: ١٤]، وقوله:﴿ **هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [غافر: ٦٥]، والآيات أكثر من أن تحصى تدل دلالة واضحة صريحة على أهمية وفضيلة الإخلاص. وقد تحدث عن هذا الأمر المهم الأستاذ الدكتور صالح بن عبد الله بن عبيد في الحديث عن أصول القدوة، فذكر أن للقدوة لها ثلاثة أصول:

1. **الصلاح،** وله ثلاثة أركان:

[237] قطب ،سيد، **في ظلال القرآن** ،ج2 –ص:1011

أ- الإيمان، ب- العبادة، ج- الإخلاص.

2. **حسن الخلق.**

3. **موافقة القول للعمل.**

وعندما تحدث عن الإخلاص قال: "وهو سر عظيم وباب دقيق والتميز به من أعظم المطالب –وهو أولى ما ينبغي أن يفتش عنه في الرجل المقتدى به، فيكون المقصود بالقول والعلم والعمل وجه الله عزوجل بعيداً عن أغراض النفس وأغراض المخلوقين.." [238].

والذي يظهر لي أن الإخلاص رأس الأمر كله وجماع الخير كله، فبالإخلاص يتميز الجادون والمخلصون من غيرهم، على أساس هذه الخصلة العظيمة يجازى الناس عند ربهم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والقلب السليم كما قال بعض أهل العلم؛ سبب سعادتك الأبدية، القلب السليم سبب نجاتك من النار، القلب السليم ثمن دخول الجنة.[239] وحتى تثبت أمام التحديات والابتلاءات، يحتاج الدعاة إلى مزيد من التزويد لأنفسهم بالإخلاص، وإلى تعبئة قلوبهم بهذه الشحنة الكهربائية الربانية.

وهذا الباب في الإسلام هو باب عظيم من أبواب إصلاح النفوس وتزكيتها وتربيتها. إلا أننا نعلم علم اليقين، أن بهذا الإخلاص أمر جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين[240].

---

[238] صالح بن عبد الله بن حميد، **القدوة مبادئ و نماذج**: 113-14 بتصرف .

[239] راجع تفسيره في: http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=10822

[240] أقول: إن الإخلاص سر عظيم ومنبع القوة والتوفيق في حياة الداعية وحياة طالب العلم خاصةً والمسلمين عامة. ذلك، أن تنقية الروح وتطهيرها وتزكيتها من شوائب النفس وتطهيرها من سلطان

لنعش مع هذه الآيات القرآنية، لكي نرى التوجيهات الإلهية إلى الأنبياء والمرسلين،وكيف أنهم أمروا أيضاً بهذا الأمر العظيم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[البينة: 5]، وقال تعالى:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر: 1-2].

الهوى وشهوات هذه الدنيا من أعظم الواجبات وأهمها، وذلك يجب أن يفهمه الداعية من أستاذه أو شيخه أو والديه أو من يقوم برعايته وتربيته من أول يوم وهو يسلك طريق العلم، وينهج نهج العلماء والأنبياء..وإلا فإن كل تقصير في هذا الجانب سيؤدي فيما بعد إلى فشل هذا الطالب أو الداعية والاستسلام في منتصف الطريق. لقد كان لي زملاء في مراحل أيام الدراسة الإعدادية والثانوية في دمشق الشام ويبدو لي أن هذا الجانب المهم خفي عليهم فبالتالي لم يوفقوا لإتمام وإنهاء الدراسة. وقد لعب عندي دوراً كبيراً والداي في توجيه اهتمامي إلى هذا الأمر العظيم في أولى مراحل حياتي الدعوية. ولم يكن دور مشايخي وأساتذتي العلماء العاملين والمخلصين في توجيه اهتمامي أخف أو أدنى من دور الوالدين...فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.. وأنا لهم جميعاً شاكر ومقدر ما دمت حياً. وبالمناسبة جاء ذكر الشام في هذا المقام؛ إنني أسأل الله تعالى أن يفرج عنهم من ويلات الحرب المدمرة والقصف الوحشي من الظام السوري والإيراني والروسي والتي دخلت عامها الخامس والتي راح ضحيتها أكثر من 500 ألف قتيل معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء، وأكثر من 12.000.000 شُردوا من أوطانهم كمهاجرين ولاجئين هاربين من الموت إلى المصير المجهول! والموت غرقا وسجنا وضربا ! عبر بعض الدول البلقانية فأصبحوا كأيتام على موائد اللئام! عار وخزي على هنغاريا ومقدونيا للمعاملة اللاإنسانية مع المهاجرين واللاجئين السوريين!! وطوبى لألمانيا والنمسا وبعض دول شمال أوربا مثل السويد و فنلندا لحسن استقبال المهاجرين وإيوائهم وتقديم الورود لهم مع الخدمات الإنسانية الراقية. فشكرا شكرا لألمانيا والنمسا فالتاريخ لن ينساكم ونحن المسلمين أيضا لن ننساكم أبدا.

ألا فلننتبه إلى هذه القضية كما انتبه إليها الأستاذ سيد قطب، فكان خير من اشتغل وعمل وفهم الإخلاص وأوذي وصبر حتى لقي الله بوجه مشرق منور وكريم.

إن الإصلاح في الجانب الروحي له أهمية كبيرة في شخصية الداعية، حتى يكون ناجحاً وموفقاً في عمله. إصلاح الروح بكافة وسائل الإصلاح المشروعة، يعتبر بمثابة الإصلاح لأساس البناء الشامخ الضخم، ولا يمكن لبناء شامخ أن يستقر على أساس ضعيف وواه. فلا يمكن للشجرة أن تؤتي أكلها دون أصل ثابت وضارب في الأعماق.. ولا يمكن تحقيق ثمار الأخلاق الإسلامية دون إصلاح القلوب والنفوس على مبدأ الإخلاص الكامل والمنزه من الشرك أو الرياء.

وإن قوماً تساهلوا في هذه القضية فكان أمرهم فرطاً، فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسراً. إن إصلاح روح الداعية وإعداده للقيام بمهام الأمور من مسلّمات هذا الدين الحنيف ومن مستلزمات العقيدة الإسلامية.

لقد اهتم بهذا الجانب الرعيل الأول من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ومن السلف الصالح رحمهم الله فكانوا سرجاً وضاءة في ليالي الدجى ومنارات نور ومصابيح الهدى، رباهم خير البرية وأفضل خلق الله، محمد المصطفى صلى الله ربي عليه وعلى أصحابه ومن اهتدى.

وللأستاذ حسن أدهمي في هذه القضية كلام جميل ونفيس رأيت من الفائدة العلمية نقله هنا:

"..القوة الروحية هي الأساس في شخصية الداعية، وبدونها يكون الداعية خاوياً فارغاً كجسد بلا حياة..والرسول عليه الصلاة والسلام كانت قوته الروحية سامية فائقة في جعل شخصيته آسرة للناس جاذبةً لهم مؤثرةً فيهم، يستجيبون لدعوته

بعفوية وفطرية، ويحبونه بصدق وإخلاص، ويتبعونه بإيمان وحماس، ويضحون في سبيل الإسلام بكل غالٍ ونفيس.." [241].

ولاستبيان هذا الجانب الروحي المهم من منظور المنهج القرآني، لقد كان للأستاذ سيد قطب موقف ومنهج موافق لمنهج القرآن الكريم حيث استطاع أن يستلهم بعضاً من الصفات التي عَلَّم الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم لكي يثبت أمام قومه الذين يطالبونه بأشياء قد يعجز الإنسان عن الإتيان بها. لننظر بدقة إلى هذا الكلام الذي ذكره الأستاذ سيد قطب رحمه الله وهو يفسر قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾[الأنعام: 50]، حيث يقول:

".. وهكذا حفلت الجاهليات – ومنها الجاهليات التي انحرفت عن التصور الصحيح الذي جاءت به الرسالات السماوية – بمثل هذه التصورات الباطلة عن طبيعة النبوة وطبيعة النبي. وكان الناس ينتظرون ممن يدعي النبوة مثل هذه الأمور؛ ويطالبونه بالتنبؤ بالغيب تارة؛ وبالتأثير في النواميس الكونية عن طريق الكهانة أو طريق السحر تارة.. ومن هذا المعين كانت اقتراحات المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتصحيح هذه الأوهام كلها جاءت التقريرات المكررة في القرآن الكريم عن طبيعة الرسالة وطبيعة الرسول.. ومنها هذا التقرير: ﴿**قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأنعام: 50]

إنه يؤمر من ربه أن يقدم:

---

[241] حسن، أدهمي جرار، **الدعوة إلى الإسلام، مفاهيم ومنهاج وواجبات**، ص: 201.

- لهم نفسه بشراً مجرداً من كل الأوهام التي سادت الجاهليات عن طبيعة النبي والنبوة. وأن يقدم لهم كذلك هذه العقيدة بذاتها:
- مجردة من كل إغراء...
- لا ثراء ولا ادعاء..
- إنها عقيدة يحملها رسول، لا يملك إلا هداية الله تنير له الطريق !
- ولا يتبع إلا وحي الله يعلمه ما لم يكن يعلم.
- إنه لا يقعد على خزائن الله، ليغدق منها على من يتبعه.
- ولا يملك مفاتح الغيب ليدل أتباعه على ما هو كائن.
- ولا هو ملك كما يطلبون أن ينزل الله ملكاً.
- إنما هو بشر رسول؛ وإنما هي هذه العقيدة وحدها، في صورتها الناصعة الواضحة البسيطة.

إنها العقيدة هتاف هذه الفطرة، وقوام هذه الحياة ودليل الطريق إلى الآخرة، وإلى الله. فهي مستغنية بذاتها عن كل زخرف.. من أرادها لذاتها فهو بها حقيق، وهي عنده قيمة أكبر من كل قيمة. ومن أرادها سلعة في سوق المنافع، فهو لا يدرك طبيعتها، ولا يعرف قيمتها، وهي لا تمنحه زاداً، ولا غناء.. لذلك كله يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدمها للناس هكذا، عاطلةً من كل زخرف، لأنها غنية عن كل زخرف؛ وليعرف من يفيئون إلى ظلها أنهم لا يفيئون إلى خزائن مال، ولا إلى وجاهة دنيا، ولا إلى تميز على الناس بغير التقوى. إنما يفيئون إلى هداية الله وهي أكرم وأغنى.."[242].

[242] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، 1097. وهذا دليل آخر ناصع وبرهان ساطع على براءة فكر الأستاذ سيد قطب من فكر الثورة أو الانقلاب على النظام عن طريق العسكر. إن الإنقلابيين والثوريين يَعِدون أتباعهم مئات الوعود بأنهم إذا ما استلموا زمام الحكم ومناصب الدولة أنهم سيفعلون

نخلص إلى القول إن منهجية الأستاذ سيد قطب رحمه الله انبنى على التقيد والتزام الداعية بالمنهج القرآني، وعدم الخروج منه كما بينه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، بل وحتى التأدب بأدب القرآن في كل الأمور روحياً أو سلوكياً.

ولحجة الإسلام أبي حامد الغزالي كلام نفيس حول الصفات والمكونات التي يجب أن يتحلى المسلم عموماً والداعية خاصة فقد ذكر في (**إحياء علوم الدين**) في: **كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة**، جملة من الأخلاق والصفات التي يجب على الدعاة التحلي بها، وهذه الصفات والأخلاق والمكونات قسم منها يتعلق بالجانب الروحي والقسم الآخر يتعلق بالجانب السلوكي.

قال رحمه الله:

"وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال** " [243]، ومن ذلك حسن المعاشرة، وكرم الصنيعية، ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم، براً كان أو فاجراً، وتشييع جنازة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورت – مسلماً كان أو كافراً –وتوقير ذي شيبة المسلم، وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والمعازف كلها، وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغلبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة، والنميمة وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال

كيت وكيت وسينجزون مئات من المشاريع وهيهات هيهات لما يوعدون...!!؟؟ وهم يعلمون علم اليقين أنهم كاذبون لشعوبهم ومخلفون لوعودهم ولكن الشعوب المسكينة والمغلوبة على حالها لا تفقه ولا تعي هذه الحقيقة...رجاء قارن هذا الحقيقة الواقعية بكلام الأستاذ سيد قطب السابق.

[243] انظر: http://dorar.net/hadith

والاستطالة، والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم..**قال أنس رضي الله عنه: فلم يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يدع غشاً –أو قال عيباً أو قال شيئاً –إلا حذرنا ونهانا عنه**، ويكفي من ذلك كله هذه الآية : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 90]..وقال معاذ: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة، السر بالسر والعلانية بالعلانية**»..، فهكذا أدب عباد الله الصالحين ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب " [244]

وعندما نتحدث عن إصلاح الجانب الروحي، لا نعني بهذا هو عزل الناس والتخلي عنهم والتزام الخلوات وزوايا المساجد أو التكايا، بقصد الذكر والتجرد والزهد وتهذيب النفس فحسب! فلهذه الأمور لها حديث خاص ليس هنا موضع بسط الكلام، وإنما الذي نعني به هو تدريب المسلم الناشئ منذ نعومة أظفاره على حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب من يقربه إلى حبهما، من أمثال العلماء الكبار والصالحين الأبرار ومجالستهم والاستفادة من علومهم والجلوس بين أيديهم بقصد

[244] انظر: **إحياء علوم الدين**: ج2، 560.

اكتساب العلم والمعرفة والخبرة والتجربة، في مواجهة مصاعب الحياة والثبات أمام العقبات، وتعلم الشريعة والعلوم المختلفة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: ماالسبل والوسائل لتحقيق ذلك الهدف العظيم؟ أعني تحقيق الإصلاح الروحي لدى الدعاة خاصة والمسلمين عامة. للإجابة على هذا السؤال ذكر العلماء عدة السبل والوسائل والمكونات في كيفية تحقيق ذلك المطلب السامي والخلق الإسلامية النبيل، منها:

1. **المحافظة على الصلوات المفروضة والمسنونة**، في أوقاتها، والحرص على صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الفجر..[245].
2. **تلاوة القرآن بشكل مستمر مع التدبر ومطالعة بعض كتب التفاسير**، لمعرفة معاني الآيات القرآنية التي يقرأها.

[245] ذكرت هذا المكون أولاً، لأنني رأيت كثيراً من زملائي العاملين في مجالات الدعوة، يتهاونون ويتكاسلون في أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها بحجة كثرة الأشغال وعدم التفرغ للصلاة على وقتها..!!العمري متى كان الإنشغال بأمور الدنيا أفضل وأعز عند الله من الصلاة على وقتها..!! وما جاء في مسند الإمام أحمد: (حدثنا صاحبُ هذهِ الدارِ وأشار بيدِه إلى دارِ عبدِ اللهِ وما سمَّاه لنا قال: سألت رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ فقال: الصلاةُ على وقتِها. قال الحجاجُ: لوقتِها، قال: ثم أيُّ، قال: ثم برُّ الوالدينِ، قال: ثم أيُّ، قال: ثم الجهادُ في سبيلِ اللهِ، ولو استزدْته لزادني)، الراوي: أبو عمرو الشيباني، المحدث: أحمد شاكر، المصدر: **مسند أحمد** – الصفحة أو الرقم:6/107 ، إسناده صحيح. والأسوأ من ذلك، هؤلاء الزملاء الأفاضل، أئمة في المساجد يعظون الناس ويخطبون على المنابر..!! والذي يبدو لي أن هؤلاء وأمثالهم يجب أن يوعَظُوا وأن يخضعوا لدورات علمية مكثفة، وأن يجلسوا بين أيدي العلماء المخلصين الربانيين ليتعلموا الإسلام من جديد، لعلهم يصلحون ويتقون الله تعالى أكثر ويلتزموا بأوامره..وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضى.

3. **الإهتمام بالنوافل من العبادات** مثل قيام الليل وصلاة الضحى وصوم الأيام المسنونة والذكر والاستغفار.
4. **الحرص على الأوراد والأذكار المأثورة**، مع حضور القلب وصفاء الذهن، وأن يتجنب الحركات غير اللائقة أثناء الذكر (مثل الرقص والتثني ورفع الأصوات إلى حد لا يطاق)، كما يفعله بعض أصحاب الطرق الصوفية المنحرفة..[246] قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "..و الرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والفناء لهو ولعب.." [247].
5. **الاستعداد للتضحية بالنفس والمال**، "..فالداعية رائد للناس ولا بد أن يكون قدوة في التضحية؛ يضحي بوقته وبماله يواسي أصحاب الاحتياجات، فلا يحرص على أي عرض زائل، بل يرجو ما عند الله.. وأخيراً يضمر التضحية بروحه في سبيل الله، ويدعو الله ويلح في الدعاء أن يبلغه منازل الشهداء فإذا تم له ذلك بورك سعيه، وارتفع شأنه واستطاع التأثير في غيره.." [248].

وقد أدرك هذا المعنى العظيم الأستاذ سيد قطبوانتبه إلى أهمية هذا الجانب الروحي العظيم عند الداعية المسلم..عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام: 39]، قال الأستاذ سيد قطب:

---

[246] انظر: حسن، أدهمي جرار، **الدعوة إلى الإسلام: مفاهيم ومنهاج وواجبات**، ص: 202 .

[247] **مجموع الفتاوى**: ج5، ص: 83 .

[248] انظر: المرجع السابق، ص: 205 .

"..إن طريق الدعوة إلى الله تعالى شاق ومحفوف بالمكاره، ومع أن نصر الله للحق آت لا ريب فيه، إلا أن هذا النصر إنما يأتي في موعده الذي يقدره الله، وفق علمه وحكمته، وهو غيب لا يعلم موعده أحد – حتى ولا الرسول – والمشقة تنشأ من عاملين أساسيين: من التكذيب والإعراض اللذين تقابل بهما الدعوة في أول الأمر، والحرب والأذى اللذان يعلنان على الدعاة، ثم من الرغبة البشرية في نفس الداعية لهداية الناس إلى الحق الذي تذوقه وعرف طعمه، والحماسة للحق والرغبة في استعلانه! وهذه الرغبة لا تقل مشقة عن التكذيب والإعراض والحرب والأذى. فكلها من دواعي مشقة الطريق.." [249].

إذن نفهم من كلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله أنه لابد من الصبر والتحمل للمشقات والصعوبات التي تعترض على الطريق ولا ينبغي الإستسلام من أول وهلة، ولاشك أن الصبر والتحمل للأذى ينبع من هذه الصفات المذكورة وغيرها.

[249] انظر: قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1081.

المطلب الثاني: الجانب السلوكي

هذا المطلب الثاني لا يقل وزناً وأهمية عن سابقه، ذلك لأن هذا الجانب الثاني متمم للأول، وإذا فقد أحدهما فُقد نصف الأساس ولأن ما يحتاجه إليه الداعية في تعامله مع المدعوين هو الصبر واللين والرحمة وغيرها من المناقب فلأجل ذلك آثرت أن أشرع في حديثي عن الصبر واللين والرحمة، مستدلاً بكلام الأستاذ سيد قطب رحمه الله فيما ذكره في تفسيره لسورة الأنعام. هذا الخلق والأدب المهم أولى له الأستاذ سيد قطب رحمه الله اهتماماً كبيراً في تفسيره.

أولا: الصبر

لننظر ماذا قال الأستاذ في هذا الشأن..وإن كنت أرى أن هذا الخلق والأدب عندي يصلح أن يكون للجانب الروحي والسلوكي معاً.. ولكن كيفة فهم الأستاذ سيد قطب رحمه الله لفلسفة الصبر وكيف ذاق حلاوته، وكيف لقي ربه على الصبر والاحتساب..وكيف تزود بفهم فريد؛ لنرى تحليله وتفسيره هذه الآيات التي تتحدث عن الدعوة. ولقد أكّد الأستاذ سيد قطب رحمه الله هذا المعنى العظيم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: 34]، حيث قال رحمه الله:

"إن موكب الدعوة إلى الله موغل في القدم، ضارب في شعاب الزمن، ماض في الطريق اللاحب، ماض في الخط الواصب.. مستقيم الخطى، ثابت الأقدام. يعترض طريقه المجرمون من كل قبيل، ويقاومه التابعون من الضالين والمتبوعون، ويصيب الأذى من يصيب من الدعاة، وتسيل الدماء وتتمزق الأشلاء.. والموكب في طريقه لا ينحني

ولا ينثني ولا ينكص ولا يحيد.. والعاقبة هي العاقبة، مهما طال الزمن ومهما طال الطريق.. إن نصر الله دائماً في نهاية الطريق : ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: 34]، كلمات يقولها الله – سبحانه – لرسوله .. كلمات للذكرى، وللتسرية وللمواساة والتأسية.. وهي ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله طريقهم واضحاً، ودورهم محدداً، كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته، ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله في نهاية الطريق[250].. إنها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة. كما أنها كذلك وحدة. وحدة لا تتجزأ.. دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى.. وصبر من الدعاة على التكذيب وصبر كذلك على الأذى.. وسنة تجري بالنصر في النهاية.. ولكنها تجيء في موعدها.." [251].

وحول الصبر وأهميته في حياة المسلم عامة والداعية خاصة، قال الأستاذ سيد قطب في **تفسيره في ظلال القرآن**:

"الصبر هو زاد الطريق في هذه الدعوة..إنه طريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك مفروش بالدماء والأشلاء والإيذاء والابتلاء..الصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصورهم وانحراف طباعهم وأثرتهم الطغيان، وانتفاش الشر، وغلبة الشهوة وتصعير الغرور والخيلاء، الصبر على قلة الناصر وضعف المعين، وطول الطريق ووسواس الشيطان في ساعات الكرب والضيق، والصبر على مرارة الجهاد..وضعف الثقة أحياناً في الخير وقلة الرجاء أحياناً في الفطرة البشرية.. والصبر

[250] في الساعة الواحدة ليلاً بتوقيت سلطنة بروناي، عام 2011 في اليوم الثامن عشر للمظاهرات الموافق 11.02.2011، أعلن نائب الرئيس حسني مبارك تنحي الرئيس حسني مبارك عن الرئاسة، وإسناد أمر شؤون البلاد إلى المجلس الأعلى للجيش المصري.. والحمد لله أولاً وآخراً.

[251] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1077.

بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعة القدرة والغلبة والانتصار، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر، وبدون خيلاء، والبقاء في السراء والضراء على صلة بالله واستسلام لقدره ــ و ــ رد الأمر إليه كله في طمأنينة وثقة وخشوع، الصبر على هذا كله وعلى مشقة ما يصادف السالك في هذا الطريق الطويل، لا تصوره حقيقة الكلمات.. الكلمات لا تنقل المدلول الحقيقي لهذه المعاناة.. إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق وتتذوقها، انفعالات وتجارب ومرارات، فيجب أن لا ينفذ صبر المؤمنين..[252].

يتضح من تلك المقتطفات من كلام الأستاذ سيد قطب أهمية الجانب السلوكي والروحي في التعامل مع أوامر الدين ونصوصه، وأن تذوق حلاوة الصبر وفضله لا يكون إلا إذا عانينا المشقات وألوان العذاب المختلفة — وما أكثرها – وعندما نتجاوز ذلك بطيب النفس وسعة الصدر والرضا بقضاء الله وقدره محتسبين الأجر عنده سبحانه وتعالى.. حينئذ نكون قد فهمنا الإسلام وحققنا مرضاة الله تعالى.

وإنني إذ أدعو نفسي أولاً ثم إخواني الدعاة من العلماء وطلبة العلم الشرعي ثانيا الذين اختارهم الله واصطفاهم على أن يكونوا حماة الإسلام وحراس العقيدة الإسلامية؛ أدعوهم أن يمعنوا النظر في كلام الأستاذ سيد قطب المتقدم حتى يفهموا أبعادها التربوية والدينية، وذلك بسبب فضل وشرف الاستشهاد الذي ناله — إن شاء الله – في سبيل الله تعالى. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً والله حسيبه، والثبوت

[252] فائز، أحمد، **طريق الدعوة في الظلال**: ج 1، ص: 198 -199.

أمام ذلك الاضطهاد والقمع الوحشي اللا إنساني الذي مارسه نظام جمال عبد الناصر الشيوعي الاشتراكي الظالم ضده و ضد الإخوان المسلمين..[253].

ثانيا: اللين والرحمة

أما عن هذا الخلق والأدب الرفيع لدى الداعية، فإن الأستاذ سيد قطب رحمه الله رأيناه قد ناقش ذلك في موضع آخر من غير سورة الأنعام. ففي تفسيره لقوله تعالى من سورة آل عمران، وضع الأستاذ سيد قطب لنا نموذجاً تطبيقياً من خلال متابعته لأحداث السيرة النبوية العطرة، ومن خلال تحليله لمواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في غزوة أحد وبدر..قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسير الآية: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: 159]، نجد حقيقة الرحمة الإلهية المتمثلة

---

[253] ولقد ورد عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله كلام جميل في الصبر، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "..والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم،وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب، قال الله تعالى:﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾ [غافر:55]، فأمره بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن:11]، قال بن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند الله فيرض ويسلم، وأما عن حكم الصبر فيقول شيخ الإسلام: والصبر واجب باتفاق العلماء، وأعلى من ذلك الرضى بحكم الله والرضى، قد قيل: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وهو الصحيح، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه، ورفع درجاته، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين.."، **الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن**، شيخ الإسلام، الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، بلا تاريخ،ص:107.

في أخلاق النبي وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة، المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس..فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم؛ فجعلته رحيماً بهم، ليناً معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا.. وهكذا كان قلب رسول الله وهكذا كانت حياته مع الناس. ما غضب لنفسه قط. ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية. ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم. وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه من نفسه الكبيرة الرحيبة. وكان هذا كله رحمةً من الله به وبأمته.. يذكرهم بها في هذا الموقف. ليرتب عليها ما يريده — سبحانه — لحياة هذه الأمة من تنظيم .." [254].

فكما رأيت أيها القارئ الكريم فيما سبق من كلام الأستاذ سيد قطب، تركيزه على أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم والتي أصبغ الله عليه، والذي كان خلقه القرآن..وأن الداعية عليه أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله.. وأن يدرك أن الإسلام دين وخلق وعمل وتطبيق لأوامر الله واجتناب نواهيه، وأنه "..ليس فكراً مجرداً يكتفي فيه بالمجادلة والمناظرة وإقامة الحجة فحسب وإنما هو دين عملي شرعه الله ليقوم به المجتمع الإنساني الفاضل..من أجل هذا كان على الداعية أن يكون سلوكه وعمله وتصرفاته منطبقة كلها على ما شرع الله وأمر، حتى لا

[254] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج1، ص:501.

يكون هناك تناقض بين ما يدعو إليه وبين ما يطبقه فيكون كلامه صرخة في واد ونفخة في رماد.. ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 44]. وسئلت عائشة رضي الله عنها ماذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت:كان خلقه القرآن. فكان صلى الله عليه وسلم في سلوكه نموذجاً حياً لما يدعو إليه.."[255].

إن سلوك الداعية الإيجابي وأخلاقه النبيلة وأعماله الطيبة يعد ذلك أهم من علمه وثقافته العامة، ولو كان متبحراً ومتضلعاً في العلوم المختلفة، هناك بعض الدعاة والعلماء الذين أعرفهم معرفة جيدة. لقد أوتوا العلم الغزير والجدل الكثير، وأوتوا من الفصاحة والبلاغة ما تبهر السامعين وتأخذ بالقلوب والأبصار، ولكنهم للأسف الشديد قليلو الأدب والتربية! ولو أننا ألقينا نظرة عابرة وفاحصة على سلوكهم وأخلاقهم وأعمالهم اليومية، وصاحبناهم وعايشناهم ردحاً من الزمن، لوجدناهم أبعد ما يكونون عن الهدي القرآني والنبوي، وهؤلاء أحوج ما يكونون إلى إصلاح نفوسهم وقلوبهم وتزكيتها قبل كل أحد.. قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ**

255حسن، أدهمي جرار، **الدعوة إلى الإسلام: مفاهيم ومنهاج وواجبات**، ص: 203-204. وقال الأستاذ صالح بن عبد الله بن حميد: "..وقدوة المسلمين الأولى صاحب الخلق الأكمل والمنهج الأعظم رسولنا محمد صلى الله عليه وسل م، وفي ذلك يقول الله عزوجل: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب:21]. ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه أو خلق من أخلاقه أو عمل من أعماله الكريمة وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الإقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدى به، صلى الله عليه وسلم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه..". انظر: **القدوة، مبادئ ونماذج**، ص: 7-8.

وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:44]، وقال تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾** [الصف: 3].

ثالثا: التسامح واللين وسعة الأفق[256]

وقد أدخل الأستاذ سيد قطب هذا الخلق السلوكي ضمن أحد الأنواع للصبر عندما قال مؤكدا ومبينا:

"..والصبر ألوان وللصبر مقتضيات..صبر على تكاليف الميثاق من عمل وجهاد ودعوة واجتهاد..الخ، وصبر على النعماء والبأساء وقل من يصبر على النعمة فلا يبطر ولا يكفر، وصبر على حماقات الناس وجهالاتهم وهي تضيق الصدور.." [257].

ولقد ذكر الأستاذ سيد قطب في كتابه " **معالم في الطريق** " كلاما في غاية الأهمية له علاقة بهذا التسامح الذي نعنيه وكيفية تطبيقه مع الناس، يقول رحمه الله:

"..ولا بد أن نثبت أولاً، ولابد أن نستعلي ثانياً، ولا بد أن نرى الجاهلية حقيقة الدرك الذي هي فيه بالقياس إلى الآفاق العليا المشرقة للحياة الإسلامية التي نريدها.

---

[256] الذي أعنيه بالتسامح وسعة الأفق هو: أن يكون عند الداعية نوع من سعة المعرفة والثقافة والانفتاح على الآخر واللين والمرونة والصبر ونبذ التعصب،بحيث يستطيع أن يفهم نفسية المخاطب وتفكيره ويستطيع بعد ذلك أن يصل إلى هداية المدعو بلا أدنى مداهنة على حساب الشريعة.. واقرأ إن شئت ما سطره الأستاذ سيد قطب في هذا الموضوع في تفسيره (**في ظلال القرآن**): ج2، ص: 1073- 1074، والله أعلم.

[257] فائز، أحمد، **طريق الدعوة في الظلال**: ج1، ص: 201.

ولن يكون هذا بأن نجاري الجاهلية في بعض الخطوات كما أنه لن يكون بأن نقاطعها الآن وننزوي عنها وننعزل. كلا..إنما هي المخالطة مع التميز، والأخذ والعطاء مع الترفع، والصدع بالحق في مودة، والاستعلاء بالإيمان في تواضع.."[258].

فما أروع هذا الكلام وما أحكم هذه المنهج الرشيد في التعامل مع الآخرين وتسامحنا معهم وفي دعوتنا إياهم، وهذا رد قاطع وبرهان ساطع للمفترين بأن الأستاذ سيد قطب لديه فكرة تكفيرية أو إقصائية للآخر!؟ لقد ظهر الحق بهذه الشهادة وزهق الباطل، وجعل الله كلمة الذين آمنوا وصدقوا بربهم هي العليا، وكلمة الذين افتروا وكذبوا السفلى، نسأل الله لهم الهداية والتوبة.

رابعا: الالتزام بأوامر الإسلام والاجتناب عما نهى عنه

هذه قضية أخرى لا تقل أهميتها عن سابقتها، ذلك أن طبائع الناس جبلت على أن تنظر إلى الدعاة كأنهم ملائكة الله يمشون على الأرض، لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم يفعلون ما يؤمرون! وأن صغائر الذنوب تعتبر في عيون الناس من الكبائر! وأظن أن هذه الظاهرة قديمة بِقِدَمِ الناس، وعندنا أمثلة من التاريخ الإسلامي على ذلك. فرب عمل يقوم به الشخص لا يلقي له بالاً يكون في منظورهم من الكبائر، لأنهم يعدونه قدوة لهم. إن على الدعاة إلى الله تعالى أن يجتنبوا المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن قدر المستطاع لا سيما تعاطيها وارتكابها أمام الناس، وإيانا ثم

[258] قطب، سيد، **معالم في الطريق**:158 ، وهذا دليل آخر على نقاء فكر الأستاذ سيد قطب من الفكر الثوري والإنقلابي، وإلا لو كان تكفيريا كيف يسمح لنفسه ولغيره أن يقول هذا الكلام؟! **المخالطة مع التميز، والأخذ والعطاء مع الترفع والصدع بالحق في مودة، والاستعلاء بالإيمان في تواضع...فافهم بارك الله فيك ولا تكونن من المستعجلين بحكمك الخاطئ على الحق المبين.**

إيانا أن يسبق إلى عقول الناس إنكاره وإن كان عندنا اعتذاره. فإذا ما زلت أقدامنا إلى شيء من ذلك سهوا غير متعمدين وغير قاصدين، فعلينا بالتوبة إلى الله تعالى في السر والعلن إصلاح أنفسنا وتطهيرها من دنس الأخلاق وسفاسف الأمور تقرباً إلى الله وامتثالاً لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. والآيات القرآنية الواردة في فضل التوبة كثيرة نذكر منها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التحريم: 8]

ويؤكد الأستاذ سيد قطب هذا المعنى في تعليقه على قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة:143]، وعلى قوله تعالى: ﴿..**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 140]،، حيث يقول رحمه الله في تفسيرها:

".. وهو يؤدي هذه الشهادة –أولاً–في ذات نفسه: بأن يطابق بين واقع حياته الشخصية، في كل جزئية من جزئيات نشاطه، وبين مقتضيات التصور الذي يقوم عليه اعتقاده. فليست هنالك حركة واحدة من حركات حياته إلا وهو مطالب بأن يشهد فيها لهذا الدين شهادة عملية، لا شهادة اللسان وحده، ولا شهادة القلب

معه كذلك ولكن شهادة العمل المصدق للإيمان، المجسم للعيان، المنشئ لآثاره في عالم الواقع وفي دنيا الناس.." [259].

المفكر الإسلامي العلامة أبي الحسن الندوي رحمه الله مع العلامة الفقيه والمفسر الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله، والذي استفاد كثيرا من منهج الأستاذ الأستاذ سيد قطب في ترتيب وكتابة تفسيره بعنوان: التفسير والمنير في العقيدة والشريعة والمنهج.

[259] قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي**، ص: 184-185.

المبحث الثاني: الآداب والمؤهلات الفكرية للداعية

المطلب الأول:علم الداعية بما يدعو إليه

هذا المطلب له علاقة وطيدة بالذي قبله، ذلك؛ لأنه يتعلق بالمؤهلات والآداب التي يجب على الداعية أن يتحلى بها سواء الفكرية منها أم السلوكية حتى يكون قادرا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..والذي أعنيه بالمؤهلات هنا: هو أن يكون عند الداعية جملة من العلوم الشرعية واللغوية والثقافية المعينة له على الفهم الصحيح لهذا الدين الإسلامي الحنيف حتى يكون على بصيرة من أمره وفقاً لقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[260] [يوسف: 108].

لنر الأستاذ سيد قطب ماذا قال في تفسيره لهذه الآية الكريمة، حتى نكون على بينة من الأمر، وماذا نعني بأن يكون الداعي عالماً بما يدعو إليه وفاهماً له على الوجه الصحيح..قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

---

[260] ذكر ثلة من المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة: أن المراد منها: أي **قل يا محمد أن هذه هي سنتي ومنهاجي ودعوتي أدعو إلى الله على يقين ودين وحق وحجة وبرهان**..وكذلك يدعو إليها ومن اتبعني من المؤمنين.. انظر: الشيخ أحمد مصطفى المراغي، جـ5، ص: 51، ط3، 1974 – دار الفكر، **والإمام القرطبي** جـ9، ص: 374، **والإمام الفخر الرازي** في جـ9، ص: 229،**والإمام السيوطي** في تفسيره: **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، جـ4، ص: 75، دار الكتب العلمية ، بيروت، الشيخ محمد سليمان عبد الله الأشقر في **القرآن الكريم** وبالهامش زبدة التفسير من فتح القدير، ص:319، ط1–وزارة الأوقاف الكويتية، و**تفسير القرآن** للشيخ الإمام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السليمي الدمشقي الشافعي جـ2، ص: 142،ط1، 1991، قدم وحقق وعلق د/عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي، دار بن حزم، بيروت.

"..﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾.. واحدة مستقيمة، لا عوج فيها ولا شك ولا شبهة. ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فنحن على هدى من الله ونور.. نعرف طريقنا جيداً، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة، لا نخبط ولا نتحسس، ولا نحدس.. فهو اليقين البصير المستنير.. ننزه الله – سبحانه – عما لا يليق بألوهيته، وننفصل وننعزل ونتميز عن الذين يشركون به. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾..لا ظاهر الشرك ولا خافيه.. **هذه طريقي فمن شاء فليتابع**، ومن لم يشأ فأنا سائر في طريقي المستقيم.. وأصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم من هذا التميز، لا بد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عمن لا يعتقد عقيدتهم، ولا يسلك مسلكهم ولا يدين لقيادتهم، ويتميزون ولا يختلطون! ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى دينهم، وهم متميعون في المجتمع الجاهلي..فهذه الدعوة لا تؤدي شيئاً ذا قيمة! إنه لا بد لهم منذ اليوم الأول أن يعلنوا أنهم شيء آخر غير الجاهلية؛ وأن يتميزوا بتجمع خاص آصرته العقيدة المتميزة، وعنوانه القيادة الإسلامية.. لا بد أن يميزوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي؛ وأن يميزوا قيادتهم من قيادة المجتمع الجاهلي أيضاً.

إن اندغامهم وتميعهم في المجتمع الجاهلي، وبقاءهم في ظل القيادة الجاهلية، يذهب بكل السلطان الذي تحمله عقيدتهم، وبكل الأثر الذي يمكن أن تنشئه دعوتهم، وبكل الجاذبية التي يمكن أن تكون للدعوة الجديدة.. وهذه الحقيقة لم يكن مجالها فقط هو الدعوة النبوية في أوساط المشركين.. إن مجالها هو مجال هذه الدعوة كلما عادت الجاهلية فغلبت على حياة الناس.. وجاهلية القرن العشرين لا تختلف في مقوماتها الأصيلة، وفي ملامحها المميزة عن كل جاهلية أخرى واجهتها الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ!..**إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم**

وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تفترق تماماً عن سبيل الجاهلية؟ .." [261].

يظهر واضحاً من منهجية الأستاذ رحمه الله في فهمه لآيات الدعوة، أن على الدعاة إلى الله التميز من المجتمع الجاهلي الذي لا يدين بالإسلام في سلوكه وأخلاقه وكافة مجالات الحياة..كما أن أصحاب المذاهب الأخرى لا يتحرجون من الإعلان مما هم عليه، فهم أيضا ينبغي أن لا يتحرجوا من بيان دعوتهم وحقيقة أمرهم. وأعتقد أن هذا الفهم وهذا المنهج هو عين الإخلاص وعين الحقيقة لا داعي للإختفاء والتمثيل والتحرج..!! ألسنا على الحق؟ ألسنا على الصواب؟ بلى. إننا على الحق المبين وصراط الله المستقيم ومنهج رسوله الكريم وأصحابه الطيبين والطاهرين. وانظر أخي الكريم رعاك الله وسدد خطاك ماذا قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله مستنبطا العبر والتوجيهات من الآيات القرآنية.

"..والعقل بمصاحبة وحي الله وهداه بصير، وبترك وحي الله وهداه أعمى، ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: 50].. اقتران الإشارات وتتابعها على هذا النحو في السياق، أمر ذو دلالة في التعبير القرآني.. فالتفكر مطلوب، والحض عليه منهج قرآني؛ ولكنه التفكر المضبوط بضابط الوحي، الذي يمضي معه مبصراً في النور؛ لا مطلق التفكر الذي يخبط في الظلام أعمى، بلا دليل ولا هدى ولا كتاب منير..والعقل البشري حين يتحرك في إطار الوحي[262] لا يتحرك في مجال ضيق، إنما يتحرك في مجال واسع جداً.. يتحرك في

---

[261] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج5، ص: 1034-2035.

[262] قضية العقل والوحي من أهم القضايا التي نوقشت قديماً وحديثاً، واختلفوا في مسألة هل العقل مخالف للوحي أم موافق له أو هل العقل مقدم على الوحي أم العكس؟ هذه القضية نوقشت أيضاً في أوساط العلماء الذين ينادون (**بفكر إسلامية المعرفة**) أو (**أسلمة العلوم**) أو (**التأصيل**

مجال هو هذا الوجود كله، الذي يحتوي عالم الشهادة وعالم الغيب أيضاً؛ كما يحتوي أغوار النفس ومجالي الأحداث، ومجالات الحياة جميعاً.. **فالوحي لا يكف العقل عن شيء إلا عن انحراف المنهج**، وسوء الرؤية والتواء الأهواء والشهوات! وبعد ذلك يدفعه إلى الحركة والنشاط دفعاً.. فهذه الأداة العظيمة التي وهبها الله للإنسان..

الإسلامي للعلوم). ولنا دراسة حول هذه المسألة بعنوان: (**تكامل العقل والوحي والحواس في إسلامية المعرفة**)، تم تقديمها ونشرها في مؤتمر عالمي في جاكرتا -إندونيسيا، ويمكن تنزيل البحث من موقعي الشخصي **www.drhafezi.net**. وملخص ما قلت فيه: إن الإسلام شرع لاكتساب المعرفة عدة طرق، ولم يقتصر على واحدة من هذه الثلاثة (**العقل والوحي والحواس)**، فالمعرفة عندي كما عرفها الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله: (**عملية تتعاون فيها وسائل الحس الظاهرة والباطنة والآلات والأدوات التي تستخدمها الحواس وموازين العقل الفطرية والمكتسبة ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه، والتي تلقاها عن غيره مما اكتسبه الآخرون من معارف، يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوماً يقينية أو شبيهة بالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون..**). انظر: (**ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة)**، الشيخ حسن عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص: 126-127، دار القلم، دمشق، ط1-1993، وتُلاحظ هذه الحقيقة في الإسلام عند تقسيمه للوجود إلى عالم الشهادة وعالم الغيب، ولكل عالم من العالمين وسائله الخاصة لمعرفتها، ومن الخطأ استعمال وسيلة خاصة بعالم الشهادة في مجالات تتعلق بالغيب أو العكس. ولمعرفة المزيد في هذا المجال راجع: (**الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة)**، د/ رياض صالح جنزرلي، دار البشائر الإسلامية، ط دون، 1994، و(**إسلامية المعرفة،المبادئ العامة)**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986، (**الإسلام والعقل)**، محمد جواد مغنية، دار الجواد، لبنان، 1984، (**التعارض والترجيح وأثرهما في الفقه الإسلامي)**، د/ محمد إبراهيم الحفناوي، دار الوفاء –المنصورة، ط2-1987، (**حول تشكيل العقل المسلم**)، د/عماد الدين خليل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (**خلافة الإنسان بين الوحي والعقل)**، د/ عبد الحميد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (**أزمة العقل المسلم)**،د/ عبد الحميد أبو سليمان، دار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2-الرياض –1992 وغيرها من الكتب والمجلات..

العقل.. إنما وهبها له لتعمل وتنشط في حراسة الوحي والهدى الرباني..**فلا تضل إذن ولا تطغى..**" [263].

بعد التتبع والاستقراء لما تقدم من كلام الأستاذ سيد قطب يظهر لنا جانب آخر من منهجيته في فهمه لآيات الدعوة..هذه المنهجية ركزت على اتخاذ الوحي مصدراً لكل شيء حتى لا يضل العقل ولا يشقى..ولعل تركيزه رحمه الله على الوحي مما يشعرنا على استقاء علومنا وفهمنا من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة.. هذان المصدران لا مناص ولا انفكاك عنهما في دعوتنا إلى الله تعالى، لأن فيهما الحق والبصيرة والنور لنا معشر الدعاة ولمن نريد دعوته وهدايته.

إننا نرى ونعتقد بأن القرآن الكريم في الدرجة الأولى هو كتابة هداية وعقيدة وإرشاد ودعوة للناس أجمعين دون استثناء إلى الإيمان بالله العزيز الحكيم والتعرف عليه من خلال التدبر في آياته وكتاب الله المسطور، والنظر والتأمل في كتاب الله المنظور وهو الكون. هذا هو المقصد الأساسي والأول الذي من أجله نزل القرآن، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿**وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]، **وقال تعالى**﴿ **وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٢].

وأود في هذا الصدد أن أؤكد بأن القرآن الكريم لم يأت ليكون كتاب علم في الرياضيات أو في الفزياء أو في علم الفلك أو في علم الهندسة أو الطب أو غيرها من

[263] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1099.

العلوم..إلخ. ومع إقرارنا لهذه الحقيقة فإننا نقول: نعم، حقا؛ لقد تحدث القرآن الكريم عن كثير، بل ربما عن جميع العلوم الكونية والإنسانية والاجتماعية، وهنالك إشارات ومفاتيح ودلائل وآيات صريحات واضحات جليات تجزم وتقطع بهذه الحقيقة، ومع هذا فليس من واجب القرآن الإخبار عن تفاصيل الجزئيات لتلك العلوم المذكورة. إن البحث عن الجزئيات والتفاصيل والتعرف على أسرار تلك العلوم هو من شأن وواجبات الإنسان والباحث والطالب المعاصر في كل زمان وفي كل مكان. يكفي لنا شرفا وفخرا أن القرآن الكريم دلنا عليها وعلى مظانها وفتح لنا الطريق إليها وحثنا على البحث والسير في مناكب الأرض لننظر كيف بدأ الخلق، جل وعلا، والحمد لله أولا وآخرا ولكن كثيراً من الناس لا يفقهون.

وهناك خلاف مشهور بين أهل العلم في مجال علوم القرآن عما إذا كان القرآن الكريم مشتملا وحاويا لعلوم الأولين والآخرين أم لا، كما ذهب إليه الإمام السيوطي وغيرهم من أهل العلم.[264]

والذي يبدو لي أن مصيبة المصائب اليوم لدى كثير من الدعاة هي أن الجانب الثقافي والعلم الشرعي، أي الفهم الأصيل للغة العربية وعلوم القرآن والسنة النبوية والأصول والفقه وغيرها من العلوم الدينية، بشكل عام)، هو سطحي وهزيل..وإن كان أصحابها من حاملي الشهادات الأكاديمية العليا !! وما أكثر هؤلاء المتعلمين في زماننا هذا حيث الجامعات العالمية المفتوحة من دول إسلامية وغير إسلامية، وحيث الدراسة والتدريس عن بُعد عبر الشبكة العنكبوتية وتوزيع الشهادات ودبلومات

[264] راجع رسالتنا العلمية في الدكتوراه بعنوان: **الاتجاهات الفكرية والدينية في الدراسات القرآنية لدى علماء الألبان في القرن 19– 20**، لمعرفة موقفنا من التفسير العلمي وشروطه وضوابطه للقرآن الكريم، ص 214 **في الباب الثالث – مبحث عرض التفسير العلمي على ميزان القرآن والسنة**. النسخة العربية تحت الطبع في كوسوفا، بينما الترجمة الألبانية ظهرت عام 2009 في مقدونيا.

ومقررات دراسية عبر مواقع الانترنت المختلفة أون لاين Online Degrees !! وكثير من هذه الكليات والجامعات لها أغراض تجارية بحتة وهي ممولة من جهات مشبوهة ومجهولة الأصل. فينبغي علينا أن نكون حذريين من هؤلاء، كما أن كثيرا من تلك الشهادات تفتقر إلى الاعتماد الأكاديمي وليست معتمدة وموثوقة.

وما النداءات والصيحات التي وجهها الأستاذ سيد قطب رحمه الله في مختلف المجالات فيما كتب بقوله مثل: " **وإن من الواجب على أصحاب الدعوة أن يدركوا هذا الأمر جيداً** ".. " **وإن من الواجب على الدعاة إلى الله أن لا يستعجلوا**".. "**وأصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم**.." الخ، أقول: وما هذه النداءات إلا توكيدات وتوجيهات ودعوة إلى الدعاة إلى تعلم وتفهم هذا الدين وطبيعته فهماً صحيحاً وعميقاً، وكيفية إيصاله إلى الناس دون أدنى تحريف أو تبديل أو تعطيل.

هذه المسألة المهمة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً، وهو ما اصطلح عليه العلماء قديماً (بالحسبة). ولعل هذا الإجمال هنا من الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الإعتماد على الوحي وانضباط العقل في إطاره سيفصله لنا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله[265]. لقد تحدث عنه مفصلاً في كتابه (**إحياء علوم الدين**) حيث قال رحمه الله:

---

[265] **قال صاحب وفيات الأعيان في ترجمته للإمام الغزالي**: هو " أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسى الفقيه الشافعي. (ولد في سنة 450 هـ بالطابران وتوفي في يوم الإثنين 14 من جمادى الآخرة سنة 505 هـ. لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله. اشتغل في مبدأ أمره بطوس، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين. أبي المعالي الجويني، وجدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وصنف في ذلك الوقت، وكان أستاذه يتبجح به ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي. خرج من نيسابور إلى العسكر ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه، وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس فظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره

"اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: **المحتسِب، والمحتَسَب عليه، والمحتَسَب فيه، ونفس الاحتساب**. فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروطه.

الركن الأول: **المحتسِب**، وله شروط وهو أن يكون مكلفاً، مسلماً، قادراً فيخرج منه المجنون والصبي، والكافر، والعاجز، ويدخل فيه آحاد الرعية وإن لم يكونوا مأذونين، ويدخل فيه الفاسق، والرقيق، والمرأة.."[266].

أقول: ما أروع هذه الشروط الواجب توفرها لمن يباشر الدعوة إلى الله تعالى، لقد أدرج الفاسق والرقيق والمرأة...وما ذلك إلا لأهمية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

ثم تابع الإمام الغزالى في باب آداب المحتسب قائلاً:

"قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسِب:

العلم والورع وحسن الخلق.

الركبان..ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد،فجاء وباشر إلقاء الدروس بها..وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته..ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزهد والانتفاع وقصد الحج..ثم توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة وانتقل منها إلى بيت المقدس، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد المواضع المعظمة، ثم قصد مصر فأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى طوس، واشتغل بنفسه وصنف، منها: الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه، واحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجملها، وله في الأصول: المستصفى، وله في الفلسفة: تهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم.." بتصرف: انظر: **وفيان الأعيان وأنباء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان**، المتوفى: 608-681 هجرية، بيروت، حققه د.إحسان عباس، ج4، ص: 216.

266الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، المتوفى في سنة 505 هجرية، تحقيق أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، القاهرة، دار الحديث، ج2، ص: 487، ط1.

- **أما العلم**: فلعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه.
- **والورع**: ليردعه عن مخالفة معلومة، فماكل من علم عمل بعلمه.
- وأما **حسن الخلق**: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه. والعلم والورع لا يكفيان فيه. فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب.

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات. وإن فقدت لم يندفع المنكر. بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم: " **لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه**"[267] وهذا يدل أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً، بل فيما يأمر به وينهى عنه، وكذا الحلم.." [268].

ومن تأمل جيداً فيما سبق من كلام الأستاذ سيد قطب في نفسيره وغيرها من المؤلفات يرى ويعتقد أن الأستاذ سيد قطب قد استفاد من كتاب (**إحياء علوم الدين**) للإمام الغزالي في الجانب الأخلاقي الشيء الكثير. أعتقد أن هذا القدر من الكلام كاف في هذا المطلب الأول.

---

[267] قال المحقق:لم أجده هكذا، وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (**من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف**)، (قلت) –أي المحقق – أخرجه البيهقي في الشعب (7603/6) ولكنه حديث ضعيف جداً وذكر الألباني في الضعيفة /590.

[268] نفس المصدر، ج 2، ص: 519-520.

المطلب الثاني: أن يكون الداعية ملماً بثقافة العصر الذي يعايشه

الذي نعني بإلمام الداعية بثقافة العصر الذي يعيش فيه، هو أن يكون عند الداعية جملة من العلوم المعاصرة الحديثة، بحيث يستطيع بذلك معالجة المشاكل الدعوية، وأن يصل إلى بلوغ مراده الشرعي بالحكمة..وهذا من باب – فقه الواقع – الذي اصطلح عليه العلماء وأوجبوه على الداعية معرفته لكي يكون موفقا في دعوته.

كان انطلاقنا إلى هذه النقطة المهمة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: **«يا معاذ إنك تأتي قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم صدقةً في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب..»** [269].

إن فقه الواقع الذي يعيش فيه الداعية ومعرفة البيئة التي تحيطه يجب أن يكون على رأس الأولويات الدعوية عنده، بعد تعلمه وتربيته تربية إسلامية صحيحة. ولا أرى تكليف الدعاة بالدعوة إلى الله أو التبليغ بشيء من أمور الدين حتى نلاحظ

[269] رواه الإمام **أحمد في مسنده** برقم: 1968 من رواية عبد الله بن صيفي، **والبخاري** (في كتاب الزكاة): 1308-1365-1401، وفي (كتاب المظالم): 2268، وفي (المغازي):4000، وفي (التوحيد): 6824، والإمام **مسلم** في (كتاب الإيمان): 27، والإمام **الترمذي في سننه** (في كتاب الزكاة): 567، والإمام **النسائي في سننه** (في كتاب الزكاة): 2392، **وأبو داود** (في كتاب الزكاة): 1351، **وابن ماجه** (في كتاب الزكاة): 1773، **والدارمي**: 1563.

عندهم ان هذا الجانب قد نضج واستوى على سوقه، بعد ذلك يسمح لهم بالنزول إلى ميدان الدعوة لمباشرة العمل، فَهُم وقتئذ أهل لها ويكونون من جندها وأبطالها.

فما الأمور التي يجب التركيز عليها لدى الداعية حتى يكون على علم وبينة بواقعه الذي يواجهه ويعيش فيه؟

هناك جملة من الأمور ينبغي توفرها بين يدي الداعية وبعض القضايا التي ينبغي فهمها والاطلاع عليها حتى يكتمل فقهُهُ للواقع على النحو الذي ينبغي، وهذه الأمور استطعنا أن نستنبط من منهجية الأستاذ سيد قطب في تفسيره لآيات الدعوة. وهذه المنهجية برزت معالمها عند مناقشة الأستاذ لكبرى الموضوعات المنتشرة آنذاك في عصره وبيئته حيث برز فيها رائداً وإماما يدحض شبهات خصوم الإسلام بالحجة والبرهان. وإليك هذه الأمور أو العلوم:

1. **التزود الكامل بالعلوم الشرعية،** وأقل ما يمكن أن يقال في هذا المجال هو أن يكون الداعية خريج إحدى كليات الإسلامية من الجامعات العالمية المشهودة لهم بالعلم، وهذا لا يمنع في نظري غير المختصين في العلوم الشرعية من عدم ممارسة الدعوة إذا توفرت لهم شروط الدعوة غير متجاوزين لحدودهم العلمية أو اختصاصهم العلمي الدقيق.
2. **أن يكون مطّلعاً على آراء أهل العلم حول بعض القضايا الفلسفية والعلمية والفقهية والفكرية المثيرة للجدل،** مثل قضية الإيمانب الغيب، ومسألة الوجودية، والتطور في خلق الإنسان، والاستنساخ أو طفل الأنابيب أو العمليات التجميلية وغيرها. وكذلك يجب أن يكون لديه خلفية بالنظم والأوضاع السياسية مثل الشيوعية والديموقراطية والاشتراكية والعلمانية والإلحاد والقراءات المعاصرة للقرآن الكريم وغيرها.

3. **أن يعرف طبقات الناس الذين من حوله،** إذ لا يستقيم الأمر والداعية يجهل من حوله وينظر إلى الجميع بعين واحدة، ويخاطبهم بنفس الأسلوب[270].

4. **من المسائل المهمة في المؤهلات العلمية والثقافية للداعية هي ضرورة تعلم وإتقان لغة من اللغات العالمية المهمة والمستعملة في العالم،** مثل: اللغة الإنكليزية، أو الفرنسية، أو الإيطالية، أو الألمانية، إذ لا أرى إقحام الداعية إلى ميدان الدعوة وخاصة في الدول الغربية، دون إجادة واحدة من تلك اللغات المذكورة، ولا سيما: الإنكليزية..ولا أرى اعتماد الداعية في الدول الغربية على الترجمات.. فإنه يذهب من هيبته وشأنه ويقلل من قيمة المحاضرة أو الخطبة التي يلقيها على مسامع الحاضرين. ولا أتفق مع أعمال بعض المؤسسات الدينية الخيرية في الدول العربية وذلك عندما يرسلون دعاة إلى مختلف البلاد الغربية والآسيوية، مكتفين فقط بمعرفتهم للغة العربية!! دون أن تكون لديهم معرفة كافية وثقافة شاملة لثقافة البلد الذين هم يعملون فيه أو يقصدونه للدعوة إلى الله!

إنني أقترح عليهم: أن لا يرسل داعية إلى أي بلد من بلدان العالم إلا بعد خضوع الداعية لدورة لغوية وثقافية مكثفة للبلد الذي يبتعث إليه ليتمكن من معرفة لغة القوم وعاداتهم وتقاليدهم لكي يتمكن من توصيل الرسالة الإسلامية دون أن تكون هنالك مواجهات أو سوء التفاهم، ومن ثم يكون خطأ أو جهل هذا الداعية محسوبا على الإسلام!! هذا الاقتراح نابع من أساس المنهج الرباني في إرسال رسله وأنبيائه إلى الناس بلسان أقوامهم الذين أرسلوا إليهم، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا**

[270] انظر: محمد بن سيدي بن الحبيب، **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل،** فصل: منهج نوح عليه السلام في دعوته وأسلوبه، ص: 291-295 .

مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]، وبسبب عدم إعمال وتطبيق هذا المقترح ضلّ كثير من أعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، حيث إن الله لم يرسل رسولاً ولا نبياً إلى قوم من الأقوام وهو يجهل لغة قومه..فلننتبه إلى هذا الركن الدعوي العظيم، ولا نكتفي بحسن النية والغاية والمظهر دون تحقيق الجوهر.

لم يكن لنا بد من عرض هذه الفكرة قبل أن نرى هذه الحقائق عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وإنه لخير مثال حي واقعي لما ندعو إليه في هذه المسألة، من إلمام الداعية بثقافة عصره الذي يعيش فيه حتى يكون ناجحاً وموفقاً.

فقد كان رحمه الله على قدر كبير من العلم بثقافة [271] عصره الذي كان يعيش فيه، حيث إن عصره كان عصر صراع بين التيارات الفكرية بين الأدباء والشعراء والنثريين والنقديين. كما أنه رحمه الله كان على معرفة كبيرة للقوانين الوضعية والمذاهب الهدامة من أمثال الشيوعية والديموقراطية والرأسمالية والاشتراكية واللادينية وصراعها مع الإسلام وغيرها من النظم، ومن استقرأ مؤلفاته يرى هذه الحقيقة رأي العين.

لننظر إلى كلام الأستاذ سيد قطب في هذه المقتطفات من تفسيره لكي نرى فضله وقدره وتبحره في هذه العلوم الأخرى السالفة الذكر، حتى نرى مدى تحقيق هذا الجانب الفكري والمعرفي عنده، حتى يكون نوراً ونبراساً لغيره من الدعاة.

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

"وهذا يقودنا إلى المجال الأشمل لهذا التوجيه القرآني.. إنه ليس خاصاً بزمن، ولا محصوراً في حادث، ولا مقيداً باقتراح معين. فالزمن يتغير، وأهواء الناس تتمثل في

[271] انظر لمعرفة المزيد عن مصادر ثقافة الأستاذ سيد قطب العربية والغربية في كتاب: **سيد قطب الأستاذ الحي**، ص: 161 فما بعد.

اقتراحات أخرى. وأصحاب الدعوة إلى دين الله ينبغي ألا تستخفهم أهواء البشر، إن الرغبة في الاستجابة لمقترحات المقترحين هي التي تقود بعض أصحاب الدعوة الإسلامية اليوم إلى محاولة بلورة العقيدة الإسلامية في صورة "**نظرية مذهبية** " على الورق كالذي يجدونه في النظريات المذهبية الأرضية الصغيرة، التي يصوغها البشر لفترة من الفترات؛ ثم يمضي الزمن فإذا كلها عورات وشطحات ومتناقضات! وهي التي تقود بعض أصحاب هذه الدعوة إلى محاولة بلورة النظام الإسلامي في **صورة مشروع نظام – على الورق – أو صور تشريعات مفصلة – على الورق أيضاً–** تواجه ما عليه أهل الجاهلية الحاضرة من أوضاع لا علاقة لها بالإسلام (**لأن أهل هذه الجاهلية يقولون: إن الإسلام عقيدة ولا علاقة له بالنظام العام الواقعي للحياة!**) وتنظم لهم هذه الأوضاع؛ بينما هم باقون على جاهليتهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ولا يحكمون أو يتحاكمون إلى شريعة الله.. وكلها محاولات ذليلة، لا يجوز للمسلم أن يحاولها استجابة لأزياء التفكير البشري المتقلبة، التي لا تثبت على حال. باسم تطور وسائل الدعوة إلى الله!

وأذل من هذه المحاولة محاولة من يضعون على الإسلام أقنعة أخرى، ويصفونه بصفات من التي تروج عند الناس في فترة من الفترات، كالاشتراكية، والديمقراطية، وما إليها، ظانين أنهم إنما يخدمون الإسلام بهذه التقدمة الذليلة! .. إن "**الاشتراكية** " مذهب اجتماعي اقتصادي من صنع البشر؛ قابل للصواب والخطأ. وإن "**الديمقراطية**" نظام للحياة أو للحكم من صنع البشر كذلك، يحمل صنع البشر من القابلية للصواب والخطأ أيضاً، والإسلام منهج حياة يشمل التصور الاعتقادي، والنظام الاجتماعي الاقتصادي، والنظام التنفيذي والتشكيلي، وهو من صنع الله المبرأ من النقص والعيب، فأين يقف من الإسلام من يريد أن يستشفع لمنهج الله – سبحانه – عند البشر بوصفه بصفة من أعمال البشر؟ بل أين يقف من الإسلام من يريد أن يستشفع لله

– سبحانه – عند العبيد بقول من أقوال هؤلاء العبيد؟! لقد كان كل شرك المشركين في الجاهلية العربية أنهم يستشفعون عند الله ببعض خلقه، يتخذونهم أولياء، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: 3] فهذا هو الشرك! فما الوصف الذي يطلق إذن على الذين لا يستشفعون لأنفسهم عند الله بأولياء من عبيده، ولكنهم – ويا للنكر والبشاعة! – يستشفعون لله – سبحانه – عند العبيد بمذهب أو منهج من مذاهب العبيد ومناهجهم؟!

إن الإسلام هو الإسلام. والاشتراكية هي الاشتراكية. والديمقراطية هي الديمقراطية ذلك منهج الله ولا عنوان له ولا صفة إلا العنوان الذي جعله الله له، والصفة التي وصفها بها.. وهذه وتلك من مناهج البشر. ومن تجارب البشر.. وإذا اختاروها فليختاروها على هذا الأساس.. ولا ينبغي لصاحب الدعوة إلى دين الله، أن يستجيب لإغراء الزي الرائج من أزياء الهوى البشري المتقلب. وهو يحسب أنه يحسن إلى دين الله!

على أننا نسأل هؤلاء الذين هان عليهم دينهم، ولم يقدروا الله حق قدره.. إذا كنتم تقدمون الإسلام اليوم للناس باسم الاشتراكية، وباسم الديمقراطية لكونهما من أزياء الاتجاهات المعاصرة. فلقد كانت الرأسمالية في فترة من الفترات هي الزي المحبوب عند الناس وهم يخرجون بها من النظام الإقطاعي! كما كان الحكم المطلق في فترة من الفترات هو الزي المطلوب في فترة التجميع القومي للولايات المتناثرة [272] كما في ألمانيا وإيطاليا أيام بسمرك وماتزيني مثلاً! وغداً من يدري ماذا يكون الزي الشائع من الأنظمة الإجتماعية الأرضية وأنظمة الحكم التي يضعها العبيد للعبيد، فكيف يا ترى ستقولون غداً عن الإسلام ؟ لتقدموه للناس في الثوب الذي يحبه الناس؟!

[272] يقصد رحمه الله الولايات المتحدة.

إن التوجيه القرآني في هذه الموجة التي نحن بصددها – وفي غيرها كذلك – يشمل هذا كله.. إنه يريد أن يستعلي صاحب الدعوة بدينه؛ فلا يستجيب لاقتراحات المقترحين؛ ولا يحاول تزيين هذا الدين بغير اسمه وعنوانه؛ ولا مخاطبة الناس به بغير منهجه ووسيلته.. إن الله غني عن العالمين. ومن لم يستجب لدينه عبودية له، وانسلاخاً من العبودية لسواه، فلا حاجة لهذا الدين به، كما أنه لا حاجة لله – سبحانه – بأحد من الطائعين أو العصاة.." [273].

إن هذا التحليل وهذا التفسير لهذه الآيات، دراسة ومقارنة واستنتاجاً..لم يكن ليكمل على هذا النحو لو لم يتمتع صاحبه بثقافة واسعة من العلوم والمعارف ومعرفة للمذاهب الفكرية المعاصرة، والتي استصحبها أثناء تفسيره لكتاب الله عز وجل، ومناقشته لأمور الدعوة. فلابد للداعية أن يعايش هموم الإسلام والأمة الإسلامية. فلابد له أن يبين للناس ميزة المنهج الرباني والتمسك به وخطورة المنهج البشري الذي يتغير بين عشية وضحاها.. لأن المناهج الوضعية قاصرة وليست معجزة العصور إلى قيام الساعة [274].

لنعد إلى الأستاذ سيد قطب مرة أخرى لكي يحدثنا عندما كان في أمريكا وماذا شاهد هناك من انحراف في الأخلاق والقيم والأوضاع، وكيف استطاع على ضوء ذلك الواقع أن يفهم السنن الإلهية في إنزال العذاب على الأمم. لولا فقهه لهذا الواقع وعرضه على ميزان الإسلام..لما استطاع أن يصل إلى بعض النتائج الدعوية المهمة. قال رحمه الله:

---

[273] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1083-1084.

[274] من منّا تصوّر أو خطر بباله سقوط أكبر نظامين عربيين سياسيين في شهر واحد، نظام زين العابدين في تونس 2011-01-14، ونظام حسني مبارك في 2011-02-18

"..ولقد كنت – في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكية – أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 44]، فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية.. مشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب !لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك ! وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقف على " **الرجل الأبيض**" وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة! وفي صلف على أهل الأرض كلهم لا يقاس إليه صلف النازية الذي شهر به اليهود في الأرض كلها حتى صار علما على الصلف العنصري.. بينما الأمريكي الأبيض يزاوله تجاه الملونين في صورة أشد وأقسى! وبخاصة إذا كان هؤلاء الملونون من المسلمين..كنت أرى هذا كله فأذكر هذه الآية، وأتوقع سنة الله، وأكاد أرى خطواتها وهي تدب إلى الغافلين، قال تعالى:﴿**حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 44-45]. وإذا كان الله قد رفع عذاب الاستئصال بعد بعثة رسول الله فهناك ألوان من العذاب باقية. والبشرية – وبخاصة الأمم التي فتحت عليها أبواب كل شيء – تذوق منها الكثير. على الرغم من هذا النتاج الوفير، ومن هذا الرزق الغزير!

إن العذاب النفسي، والشقاء الروحي، والشذوذ الجنسي، والانحلال الخلقي الذي تقاسي منه هذه الأمم اليوم، ليكاد يغطي على الإنتاج والرخاء والمتاع؛ وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء! ذلك إلى جانب الطلائع التي تشير إليها القضايا الأخلاقية السياسية، التي تباع فيها أسرار الدولة، وتقع فيها الخيانة للأمة، فيمقابل شهوة أو شذوذ.. وهي طلائع لا تخطىء على نهاية المطاف !

وليس هذا كله إلا بداية الطريق.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلمحيث قال: إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا – على معاصيه – ما يحب،

فإنما هو استدراج..[275] ثم تلا: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**﴾.

غير أنه ينبغي مع ذلك ، التنبية إلى أن سنة الله في تدمير [الباطل] أن يقوم في الأرض [حق] يتمثل في [أمة]، ثم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.. فلا يقعدن أهل الحق كسالى يرتقبون أن تجري سنة الله بلا عمل منهم ولا كد. فإنهم حينئذ لا يمثلون الحق، ولا يكونون أهله..وهم كسالى قاعدون..والحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتقر حاكمية الله في الأرض، وتدفع المغتصبين لها من الذين يدعون خصائص الألوهية.." [276].

والذي يبدو لي أن الشيوعية والمادية في الخمسينات والستينات[277] كانت في أوجها وفي أعلى نشوتها وقمتها، وكانت الجامعات الروسية واليوغوسلافية عندنا وجامعات الألبانية في ألبانيا تزخر بطلبتها ومدرسيها، دارسين مبادئ الماركسية واللينينية والفرويدية..وغيرها من المبادئ الهدامة لعقيدة الإسلام وللأسف الشديد بدأت هذه الجرثومة القاتلة تنتشر في أوساط المسلمين والدول الإسلامية والعربية كمصر وغيرها بكثرة.. فكان لا بد من الوقوف أمام هذا التيار الجارف والسيل العرم،حتى لا تغرق الأمة الإسلامية في تيهها وظلماتها.. فقام الأستاذ سيد قطب خير قيام بتوظيف معارفه للدفاع عن الإسلام وبيان خطورة النظم البشرية بيانا توضيحيا خطوة خطوة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وانتصارا وتوفيقا.

---

[275] أخرجه الإمام **أحمد في مسنده**، كتاب الزهد، من حديث عقبة بن عامر، ج4، ص 145

[276] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**: ج2، ص: 1091-1092.

[277] وانظر لمعرفة المزيد عن الحياة السياسية في مصر في عصر الأستاذ سيد قطب كتاب: **سيد قطب الأستاذ الحي**، للأستاذ الخالدي، ص: 18-30.

ولا يزال حديثنا عن الثقافة [278] التي يجب أن يتحلى الداعية بها في عصره، وهنا لنا أن نحلل مقطعاً آخر من كلام الأستاذ سيد قطب حيث يظهر مدى تبحره في العلوم الذي كان عصره يموج ويزخر بها.. قال رحمه الله:

"... لقد كان الإيمان بالغيب هو مفرق الطريق في ارتقاء الإنسان عن عالم البهيمة. ولكن جماعة الماديين في هذا الزمان – كجماعة الماديين في كل زمان – يريدون أن يعودوا بالإنسان القهقري.. إلى عالم البهيمة، الذي لا وجود فيه لغير المحسوس ! ويسمون هذا "**تقدمية**" ! وهو النكسة التي وقى الله المؤمنين إياها. فجعل صفتهم المميزة هي صفة: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾... والحمد لله على نعمائه؛ والنكسة للمنتكسين والمرتكسين".

والذين يتحدثون عن "**الغيبية**" و" **العلمية** " يتحدثون كذلك عن " **الحتمية التاريخية**" كأن كل المستقبل مستيقن! و" **العلم**" في هذا الزمان يقول: إن هناك "**احتمالات**" وليست هنالك "**حتميات**"! ولقد كان ماركس من المتنبئين "**بالحتميات**"! ولكن أين نبوءات ماركس اليوم ؟ [279]

---

[278] للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي كتاب قيم جداً بعنوان: **ثقافة الداعية**، وكذلك للشيخ المرحوم محمد الغزالى له كتب قيمة للدعاة إلى الله منها: **السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث، خلق المسلم، الحق المرومع الله – دراسات في الدعوة والدعاة**، وغيرها، ويجب على القارئ أن يطالع كتب أمثال هؤلاء العلماء فإن لهم فوق فضل العلم الذي لهم علينا، لهم أيضاً فضل التجربة والخبرة الطويلة في حقل الدعوة، ولكاتب هذه السطور بحث محكم بعنوان: **ثقافة المسلم المعاصر**...يمكن تنزيله من موقعي الشخصي **www.drhafezi.net**

[279] رحمك الله يا أستاذ سيد قطب.. أبشّرك وأهنّئك وأنت في قبرك بأن الماركسية ونظامها ودولتها الإتحاد السوفييتي قد زالتا وانهارتا وقد صدقت تنبؤاتك وخاب تنبؤات هؤلاء.

لقد تنبأ بحتمية قيام الشيوعية في انجلترا، نتيجة بلوغها قمة الرقي الصناعي ومن ثم قمة الرأسمالية في جانب والفقر العمالي في جانب آخر.. فإذاً الشيوعية تقوم في أكثر الشعوب تخلفاً صناعياً.. في روسيا والصين [280] وما إليها.. ولا تقوم قط في البلاد الصناعية الراقية !

ولقد تنبأ لينين وبعده ستالين بحتمية الحرب بين العالم الرأسمالي والعالم الشيوعي. وها هو ذا خليفتهما "خروشوف" يحمل راية "التعايش السلمي"! ولا نمضي طويلاً مع هذه "الحتميات" التنبؤية ! فهي لا تستحق جدية المناقشة.

(الشيخ الداعية محمد الغزالي والمفكر أبو الأعلى المودودي مع الأستاذ سيد قطب رحمهم الله)

إن هنالك حقيقة واحدة مستيقنة هي حقيقة الغيب، وكل ما عداها احتمالات. وإن هنالك حتمية واحدة هي وقوع ما يقضي به الله ويجري به قدره. وقدر الله غيب لا يعلمه إلا هو. وإن هنالك – مع هذا وذلك – سنناً للكون ثابتة،

[280] الصين في الآونة الأخيرة أصبحت من الدول الرائدة في الصناعة والتكنولوجيا ويجب أن لا ننسى أن هذا التقدم والازدهار الصناعي ليس بسبب مبادئ الشيوعية وإنما بسبب تنافسها الشديد مع الولايات المتحدة الأميريكية والسيطرة على سوق العالم. والأستاذ سيد قطب كتب هذا الكلام قبل ستين عاماً تقريباً، وفعلاً الصين في ذلك الوقت كانت متخلفة.

يملك الإنسان أن يتعرف إليها، ويستعين بها في خلافة الأرض، مع ترك الباب مفتوحاً لقدر الله النافذ؛ وغيب الله المجهول..وهذا قوام الأمر كله.﴿ **إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: 9]. [281]

ومن الذين جاهدوا بالصوت والقلم وأسهموا في بيان خطر الشيوعية والإشتراكية والديموقراطية والمذاهب الهدامة المعاصرة، وقاموا بتوعية المسلمين فضيلة العلامة الداعية الشيخ محمد الغزالي والعلامة الداعية أبو الأعلى المودودي – أستاذ سيد قطب – رحمهم الله جميعا وأسكنهم فسيح جنته.

وهكذا نصل إلى نهاية هذه الرحلة الدعوية مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله،بعد أن عشنا مع فكره فترة غير قصيرة نجوب في خريطة ظلال القرآن الدعوية كما عاش صاحبه فيها، ورأينا كيف أنه ربط تفسيره للقرآن بالرد على الفرق والنظريات الهدامة القائمة في وقته، وصدق حين قال : ". **الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه** " [282].

رحم الله الأستاذ سيد قطب رحمة واسعة وجعلنا الله من أمثاله ممن ينالون الشهادة في سبيل الله، ورزقنا الله الفهم السليم لكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وبعد هذه الجولة في عالم التفسير والدعوة ننتقل إلى تسجيل بعض الاقتراحات والملاحظات المنهجية التي بدت لنا في فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله أثناء قراءتنا لتفسيره ومؤلفاته لاستخراج منهجه الخاص في فهم آيات الدعوة وكيفية التعامل بها.

---

[281] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج2، ص: 1120-1121.

[282] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج1، ص: 2.

في ظلال القرآن

المنهج الحركي
في ظلال القرآن

مدخل إلى
ظلال القرآن

وقفات
في ظلال القرآن 1
بقلم/ليبي مكسد
1436هـ
AL-MALHAMA

ولاء حامد
عقيدة الشهيد
سيد قطب المفترى عليها !!

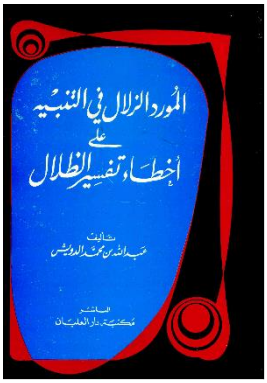
المورد الزلال في التنبيه
على
أخطاء تفسير الظلال

مع الأستاذ
سيد قطب
"محطات تاريخية ، ووقفات نقدية"

روائع الظلال
إعداد
رامي عمر باعطية
www.warraqeat.com

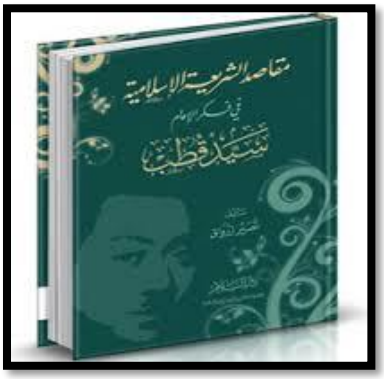
مقاصد الشريعة الإسلامية
في فكر ومواقف
سيد قطب

المبحث الثالث: النقد، الخاتمة واقتراحات الباحث

المطلب الأول: بعض ملاحظات على منهج الأستاذ سيد قطب

وبعد هذه الجولة الفكرية الممتعة مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله في رحاب الدعوة إلى الله تعالى، حيث وقفنا على تجربته الطويلة والمريرة في أمور الدعوة وفلسفتها واستراتيجيتها. إلا أن هذه الرحلة والاستفادة لا يمنعني أن أشير إلى بعض الملاحظات التي بدت لي كباحث من خلال دراستي لمنهجه. فلا يتوهمنّ متوهّم بأن هذه الملاحظات تنقص من قدر و فضل الأستاذ سيد قطب، بل العكس هو الصحيح، فإن ذلك يرفع من مقام هذا العالم والمفسر والداعية ويزيده حباً إكراماً وفضلاً لأن اعتقادنا في أصحاب الفضيلة العلماء أنهم من البشر، ولأن النقص من الصفات الملازمة والطبيعية للإنسان..

و هذه الملاحظات قد بدت لي، وقد تخفى على الآخرين، أو قد لا يرونها البتة من قبيل الملاحظات، فالأمر فيه سعة إن شاء الله. أقول إن هذه الملاحظات نرى تقسيمها إلى قسمين:

1. **ملاحظات خاصة**، لوحظت من قبلي كباحث ودارس لمنهجه الدعوي في هذه الرسالة العلمية.
2. **ملاحظات عامة**، لوحظت من قبل الآخرين من الباحثين والكتاب الذين قاموا بدراسة فكر ومنهج وحياة الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى.

أولاً: الملاحظات الخاصة

1. تكراره الكثير لكثير من المسائل العقائدية مثل: "**التصور الإسلامي**"، أو"**خصائص التصور الإسلامي**"، أو "**الحاكمية**"، أو"**سلب أخص**

خصائص الألوهية"، أو"**قضية المفاصلة والبراء**"، و"**القوانين الوضعية التي هي من وضع البشر وإنتاجهم**"، "**قضية القرآن المكي**" **والمرحلة الطويلة التي قضاها في تربية الجماعة الأولى**..وغيرها من المسائل. والذي يبدو لي أنه كان يكفيه رحمه الله الحديث عن هذه المسائل مرة واحدة بالتفصيل، فإذا ما جاء موضع آخر في التفسير والسياق يقتضي إعادة ما ذكره سابقاً، كان من الأفضل أن يحيل القارئ إلى الصفحة المذكورة ولا يبذل مجهوداً كبيراً في إعادة نفس الكلام..والله أعلم.

2. صَعُبَ عليّ جداً جمع شتات هذا الموضوع ولمُّ أطرافه أي استخلاص منهجه الدعوي في تفسيره لآيات الدعوة..إذ أنه رحمه الله لم يبين منهجه، ولم يرسم لنا أو لنفسه منهجاً معيناً من أول تفسيره من حيث كيفية تعامله مع آيات الدعوة خاصة، والآيات الأخرى عامة ولم يخبر القارئ بشيء من ذلك كما فعل ذلك كثير من المفسرين المتقدمين والمعاصرين. إن للأستاذ سيد قطب كلاما متفرقا في كتبه ومؤلفاته عامة حول المسائل الدعوية..وكان من المفضل أن يريحنا من ذلك بكلمتين في التمهيد أو المقدمة وكفى.. والله أعلم.

3. أما استعمال الأستاذ سيد قطب لمصطلح "**الجاهلية**" أو " **المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه**".. فالذي فهمته أنا شخصيا وبدى لي من خلال دراستي لفكره ومؤلفاته ومنهجه أن لفظ "**الجاهلية**" عند الأستاذ سيد قطب له معنيان: **معنى خاص ومعنى عام**.

وأما **المعنى العام** فهو قد يقصد بهذا المصطلح **كل النظم الوضعية البشرية والاجتماعية الحالية والتي لم تستق مناهجها ودساتيرها من القرآن**

الكريم والسنة النبوية مباشرة..والناس يحتكمون إليها ويعملون بمقتضياتها ولا يجعلون القرآن الكريم ولا السنة النبوية الطاهرة أساساً للاحتكام إليها في شؤونهم الإجتماعية والإقتصادية والتربوية..إلخ، مثل حال الناس اليوم في البلاد العربية أو البلاد الغربية عندما يتجهون إلى **وزارة العدل أو الداخلية**، أو **حال المسلمين في البلاد الغربية، عندما يحتكمون إلى قانوة الدولة الديموقراطي أو الشيوعي أو الاشتراكي أو العلماني أو غيرها**.. وبهذا المفهوم للجاهلية، يرى الأستاذ سيد قطب ويقصد أن عمل المسلمين هذا مخالف ومناف للإسلام؛ ولكنهم مع ذلكك مسلمون مضطهدون مغلوبون على أمرهم تحت وطأة هذه القوانين، حيث ليس لهم خيار آخر إلا الهجرة إلى الدول الغربية والتي لا تدين بشريعة الله، وأن العيش والإقامة في ظل تلك الدول التي لا تدين بالإسلام عقيدة وعملا، فهؤلاء جميعا من منظور الأستاذ سيد قطب مجتمعات جاهلية يعيشون في تلك المجتمعات الجاهلية، وفيهم جهل بأحكام الإسلام والقرآن، ومع ذلك فهم مسلمون 100% ولكنهم مقصرون في عدم تطبيق الشريعة الإسلامية. **وأنا أميل وأرجح هذا المفهوم والمقصد لدى الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وإنني أوافقه على ذلك إن كان يقصد هذا، ولا ضير في استخدام مثل هذه المصطلحات في كتاباتنا، والله أعلم بالصواب.**

أما **المعنى الخاص** فهو رحمه الله قد – أقول قد – يقصد بهذا المجتمع الجاهلي هو المجتمع الكافر بكل معانيه ومقوماته (جاهلية العقيدة)، كما كان الحال في المجتمع الجاهلي الأول قبل الإسلام، أو المجتمع الجاهلي القبلي في مكة المكرمة أيام نزول القرآن... فحسب هذا المعنى للجاهلية أو المجتمع الجاهلي؛ فإن جميع المسلمين اليوم

الذين يحملون أسماء المسلمين ويتظاهرون بالإسلام فهم كفار وغير مسلمين، فحالهم يشبه حال أهل مكة من المشركين الذين عاصروا التنزيل ولكنهم لم يؤمنوا برسالة الإسلام...إلخ. أقول: قد يقصد الأستاذ سيد قطب هذا!!

أقول: وهذا بعيد عندي كل البعد، ولا أن يمكن أن يقصد هذا المعنى ، ولم يقصد الأستاذ سيد قطب هذا المعنى قط في كتاباته. **وإن كان قاصداً لهذا المعنى فهذا لا أقبله ولا أرضى به وأرفضه جملة وتفصيلا، ويكون رأي الأستاذ سيد قطب مرجوحاً عندي ويعتبر هذا الذي ذهب إليه الأستاذ من أكبر المآخذ عليه.** وأنا أكرر وأستبعد أن يقصد الأستاذ سيد قطب هذا المعنى، بأن يكفّر الناس ويخرجهم من ملة الإسلام ويرميهم في مستنقع الجاهلية الأولى. هذا الذي تبين لي من خلال دراستي التي قمت بها في هذه الرسالة.

ولو كان قاصداً هذا المعنى، فإن أسلوبه ومنهجه الدعوي في كتاباته كلها وخاصة كتابه الأم (**في ظلال القرآن**) الذي درسناه وفيه بيان لمنهج مراعاة أحوال المخاطبين، وأن مسألة التدرج التي ناقشناها في بياننا وبيانه لحكمة نزول القرآن الكريم مفرقا، والانتظار لثمار الدعوة وعدم الاستعجال والمجالسة مع التميز والأخذ والعطاء مع الترفع...كل هذه القضايا والمسائل لأكبر دليل أنه لا يقصد ذلك..وإلا فهذا تناقض صريح لمنهجه وفكره الذي دعا إليه في كيفية التعامل مع المدعوين والمخاطبين، وأنه لو كان قد قصد هذا المفهوم فإن هذا الفهم لم يكن ليتطابق مع الأساليب الدعوية المذكورة في القرآن الكريم في دعوة الكفار التي درسناها والتي هو أشار إليها رحمه الله. وهذا بعيد عنه كل البعد، وأن تفسيره يشهد بخلاف هذه التهمة والافتراء، كما أن الأستاذ سيد قطب أرفع وأعز من أن يجهل معاني المصطلحات أو لا يحسن

استخدامها، كيف ذلك وقد أجمعت الأمة على إمامته في الكتابة والأدب والنقد والبلاغة وحسن البيان.؟! والله أعلم بالصواب.

وهذه الملاحظة لا يحط من قدر الأستاذ سيد قطب شيئاً..فالأستاذ بشر كبقيو البشر يصيب و يخطئ، فنحن لا نقره على خطئه .لقد كان الأستاذ سيد قطب سيدا وقطبا؛ وسيبقى سيداً وقطباً وإماما ورائداً ونجماً في الفكر والدعوة إلى قيام الساعة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزيه خير الجزاء على ما قدمه للأمة الإسلامية من خدمة وتضحية..وأن يسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.. آمين يا رب العالمين.

ثانياً: الملاحظات العامة

وأما الملاحظات العامة التي وجهت إلى الأستاذ سيد قطب رحمه الله، فهي تختلف باختلاف الأشخاص والتخصصات والنيات. فالفقهاء انتقدوه من الجانب الفقهي سواء أكان رأياً له أو كلمة عابرة قالها عن الفقه وربما كان صاحب الكلمة يقصد شيئاً آخرولكن الناس حمّلوا كلامه على محمل آخر، وهذا هو الراجح في هذه المسألة، فإن أغلب الذين وجهوا له اتهامات وانتقادات لم يقرؤوا كلام الأستاذ كله، من أول حرف سطره إلى آخره. فبالتالي يقعون في هذه المنزلقات من الظنون السيئة للأستاذ سيد قطب.

إن ديننا الحنيف يعلمنا التثبت في الأمور، وأن القراءة لرسالة أو كتاب ما لعالم ما قراءة جزئية وانتقائية ثم الحكم عليه بعد هذه القراءة السطحية سلباً أو إيجاباً دون الإحاطة بقراءة جل ما كتبه..أقول إن هذا التصرف لظلم كبير، وإجحاف لصاحب ذلك الكلام..أياً كان منزلته وتخصصه. وهذه القضية مسلّمة بها لدى العلماء، فإنه لا يحكم على مسألة من المسائل إلا بعد الإحاطة والشمول لكل الأدلة الواردة في

المسألة، ثم الحكم عليها. وهكذا الأمر بالنسبة للأشخاص وآرائهم، نتتبع آراءه بدقة متناهية ثم نحكم عليه.

هذا وقد برز في الساحة الإسلامية بعض الأبطال الذين دافعوا ومازالوا يدافعون عن الحق وأهله. ومن هؤلاء: الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ودراساته القيمة عن الأستاذ سيد قطب، مثل:"**سيد قطب الشهيد الحي**"، و"**سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**"، و "**في ظلال القرآن في الميزان – دراسة وتقويم**"، وكذلك للأستاذ محمد توفيق بركات، له كتاب " **سيد قطب خلاصة حياته – منهجه في الحركة والنقد الموجه إليه**" . وكذلك الأستاذ محمد دليم آل دليم في كتابه: " **سيد قطب المفترى عليه**"، وكذلك للأستاذ سالم البهنساوي كتب دافع عن الأستاذ سيد قطب دفاعاً علمياً ومنهجياً، مثل: (**أضواء على معالم في الطريق**)، وكتاب (**الحكم وقضية تكفير المسلم**). وقد أحسن الأستاذ سالم البهنساوي في كتابه (**أضواء على معالم في الطريق**)، عندما ذكر القواعد العلمية الشرعية في كيفية فهم كلام الآخرين، وهؤلاء الذين قاموا باتهامه لم يسلكوا هذا المنهج العلمي الأصولي الفقهي السليم، ومن ثم وقعوا فيما وقعوا فيها. و فيما يلي هذه القواعد:

(سعادة المستشار لدى وزارة الأوقاف الكويتية سالم البهنساوي رحمه الله والأستاذ محمد دليم آل دليم حفظه الله)

1. **عدم اتباع المتشابه وموازين تكفير المسلم،** وقال أن الموضوع إذا ورد فيه عدة آراء وأقوال، فلا يجوز أن نأخذ قولاً واحداً الذي يثير فتنة ونترك بقية الأقوال في المسألة، لأننا بذلك لا نصل إلى الحكم الشرعي الصحيح.[283] وأن الذين يختارون قولاً أو رأياً يتناسب ويتوافق مع اتجاهات جماعة من الجماعات، فهذا العمل من قبيل اتباع المتشابه الذي نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران: 7].
2. **الإحتكام إلى القرآن والسنة،** وقال إن القاعدة الإسلامية تأمرنا عند الخلاف والتنازع في قضية من القضايا الدينية أن نحتكم ونرد هذه المسألة إلى القرآن والسنة لكي نجد حلاً سليماً كما قال تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: 59]. وعلى هذا الضوء يفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: «**سباب المسلم فسوق و قتاله كفر**» بأن نرد ذلك إلى قول الله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾ [الحجرات: 9]، فمن هذا يتضح أن الاقتتال بين المؤمنين ليس كفراً، ومن ثم يفهم الحديث النبوي (**وقتاله كفر**) على أنه الكفر بنعمة الإسلام وليس الكفر المخرج من الملة [284].

---

[283] انظر: البهنساوي،سالم،**أضواء على معالم في الطريق**، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ط1-1985،ص:27.

[284] انظر: المرجع السابق ، ص: 34.

3. **التفرقة بين القضاة والدعاة،** وذكر فيه الأستاذ سالم أن الذين يقرؤون كتب بعض الدعاة الذين كتبوا عن تحكيم شريعة الله في حياتنا، من أمثال مؤلفات الأستاذ سيد قطب كا**لمعالم** و**الظلال**، و**المصطلحات الأربعة** لأبي الأعلى المودودي وغيرهما.. يظنون أن هؤلاء قضاة يصدرون الفتيا، وأن كلامهم يجب أن ينفذ حينما يصدر من هؤلاء مباشرة..وهذا خطأ كبير يقع فيه هؤلاء – أي القراء –. وهؤلاء الدعاة صرّحوا بأنفسهم أنهم لم يقصدوا إصدار أحكام وإنما هي مجرد رأي ذهبوا إليه. وهذا الذي ثبت عن الأستاذ سيد قطب أنه قال: " **أننا دعاة ولسنا قضاة** "[285].

ثم إن الأستاذ سالم البهنساوي ضرب عدة أمثلة على النتائج السلبية التي نتجت بسبب عدم تطبيق تلك القواعد الأصولية على كلام الدعاة من العلماء وغيرهم، وذكر قضية أو تهمة تكفير المسلمين التي نسبت إلى الأستاذ سيد[286]..!!

(الأستاذ المفكر محمد قطب مع شقيقه سيد قطب رحمهما الله)

[285] انظر: المرجع السابق، ص: 36.

[286] رجاء انظر التفاصيل في كتاب: **أضواء على معالم في الطريق**، ص: 39، فما بعد، فإننا لا نستطيع أن ننقل كل ما كتبه الأستاذ نظراً لضيق المساحة في هذه الرسالة، وينظر للأهمية أيضا: **معالم منهج التجديد في الفلسفة الإسلامية**، للأستاذ الدكتور مقداد يالجن، دار عالم الكتب، ط2، 1991، 18 – 39، فإن فيه كلاما نفيسا

ولقد حضرتُ محاضرة علمية وأنا طالب بالجامعة الإسلامية بكلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم – عام 1993 بكلية الملك عبد العزيز في ذالك الوقت وجامعة طيبة الآن والتي تشرفت بالتدريس والتعليم فيها مدة زمنية غير يسيرة لفضيلة الشيخ المفكر محمد قطب رحمه الله – شقيق الأستاذ سيد قطب –، فكان من جملة ما ذكر:

" أن الذين يتقربون إلى الله بسب وشتم أخي وشقيقي سيد قطب في مسائل العقيدة؛ فإنني أتقرب إلى الله بعدم الرد على هؤلاء...". وقال أيضا: " إنني متأكد كاملاً إن شاء الله أنه ليس في كتابات سيد قطب ما يخالف الكتاب والسنة، اللذين قامت عليهما دعوة الإخوان المسلمين، وتأكدي الكامل من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف أفكار وأقوال الشهيد حسن البنا ن مؤسس هذه الجماعة " [287]، وقال أيضا: " " ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول : نحن دعاة ولسنا قضاة، إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام على الناس، ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة لا إله إلا الله ، لأن الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي وهو التحاكم إلى شريعة الله " ، كما سمعته أكثر من مرة يقول : " إن الحكم على الناس يستلزم وجود قرنية قاطعة لا تقبل الشك وهذا أمر ليس في أيدينا ، لذلك نحن لا نتعرض لقضية الحكم على الناس فضلاً عن كوننا دعوة ولسنا دولة ، دعوة مهمتها بيان الحقائق للناس ، لا إصدار الأحكام عليهم" [288].

وأما الحاجة زينب الغزالي رحمها الله فقد سئلت هل كان فكر سيد هو تكفير المجتمع – أي أفراده – قالت: " هذا وهمٌ توهمه بعض تلاميذ سيد، لقد جلست معه عندما سمعت بتلك الشائعة، وقلت له: إن منزلتي عند السيدات

[287] انظر: **سيد قطب بين معارضيه ومخالفيه** دراسة الأستاذ أحمد عبد المجيد جزاه الله خيرا.
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D8%B3

[288] http://www.vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VaZFX1-qqk

المسلمات تجعلهم يحترمنني احتراماً عظيماً، ولكنهم مستعدون أن ينسفوا كل هذا الاحترام، إذا علموا أنني أقول عنهم أو عن أحد من أقاربهم: إنهم كفار، واستغرب نفسه هذا القول، وتبين أن هذا فهم خاطئ لما كتبه، وبين أنه سيوضح هذا في الجزء الثاني من المعالم. إن سيداً لم يكن يكفر الأفراد، بل كان يرى أن المجتمعات ابتعدت عن الإسلام إلى درجة جعلتها تفقد هذه الصفة " [289].

الحاجة زينب الغزالي مع شقيقة الأستاذ سيد قطب حميدة قطب رحمهما الله

[289] المصدر السابق

الأستاذة حميدة قطب شقيقة الأستاذ سيد قطب

الحاجة زينب الغزالي مع شقيقة الأستاذ سيد قطب حميدة قطب ومجموعة من الإخوان المسلمين في المحكمة

وأما المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين – عمر التلمساني رحمه الله فقد أكد قائلا : " ... وتمتاز مؤلفاته – أي سيد- بالنقمة على الظلم في كل مظاهره، والحرص على رفع المعاناة عن كل الطبقات وما أراد الشهيد الأستاذ سيد قطب في يوم من الأيام أن يكفر مسلماً ،..وكثرة ترداده " للمجتمع الجاهلي " لم يقصد بها

تكفير المجتمع، ولكن تشديد النكير على الظلمة والطغاة والمستغلين...وهو أسلوب تعرفه اللغة العربية، والذين يعرفون الشهيد سيد قطب، ودماثة خلقه، وحجم أدبه، وتواضعه ورقة مشاعره يعرفون أنه لا يكفر أحداً .." [290]

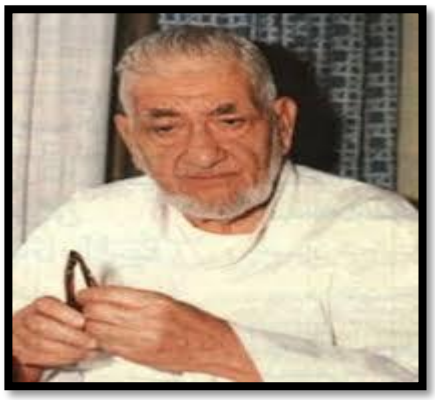

المرشد العام الثالث لإخوان المسلمين الأستاذ عمر تلمساني

وأما الأستاذ الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي فإنه تعرض لمواضيع عديدة في كتابه (**في ظلال القرآن في الميزان**) أثيرت حول بعض آراء الأستاذ سيد قطب، منها تهمة تكفير المسلمين، ونظرة الأستاذ سيد قطب إلى الفقه الإسلامي وغيرها. وحقيقة هذه الدراسة الذي قام بها الأستاذ صلاح الخالدي عن الأستاذ سيد قطب وظلاله والمآخذ التي عليه في ظلاله لجدير بالشكر والثناء والدعاء الخالص من قبل العلماء وطلبة العلم الشرعي. فجزاه الله خير الجزاء على ما قام به من هذا العمل.

ومما ذكر الأستاذ الخالدي أن سبب التهمة الأولى هو سوء الفهم لكلام الأستاذ سيد قطب من ظلاله ومن كتابه المعالم، وقلة البضاعة العلمية والثقافة الشرعية لدى هؤلاء المتهمين، وجهلهم بالضوابط الأصولية في التكفير..[291].

[290] http://vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VaZFX1-qqk

[291] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص: 205 .

رأى الأستاذ أن هناك مجموعتين من الناس خرجتا بنتائج خاطئة من كلام الأستاذ سيد قطب.

الأولى: المجموعة التي بنت وجودها على أن المسلمين اليوم كلهم كفار إلا من انضم إلى هذه الجماعة. وهذه الجماعة ظهرت في مصر في السبعينيات، وعرفت باسم (**جماعة المسلمين**) أو (**جماعة التكفير والهجرة**). هذه الجماعة ادعت أنها تؤمن بفكرة وكلام الأستاذ سيد قطب، وراحت تبحث في كتاب المعالم وفي الظلال عبارات موهمة وتحملها ما لا تتحمل. ومن أبرز الذين قاموا برد أفكار هذه الجماعة هو الأستاذ سالم البهنساوي جزاه الله خيراً في كتابه (**الحكم وقضية تكفير المسلم**).

الثانية: هي التي اتهمت سيد قطب في عقيدته وفكره فنسبت إليه أنه يكفر المسلمين. هذه الجماعة تولى كبرها المهندس السيد ((ع. أبو عزة)) الذي كتب عدة مقالات في مجلة الشهاب اللبنانية، مقرراً فيها أن الأستاذ سيد قطب يقول أن الناس في الأقطار الإسلامية جاهليون كفار خارجون عن الإسلام، وإن صاموا وصلّوا وحجّوا البيت الحرام..!!

ثم إن الأستاذ الخالدي أورد أمثلة على هذا الموضوع، ناقلاً كلام الأستاذ سيد قطب في مختلف المسائل، وأن هناك عبارات قد يفهم منه التكفير في بادئ الأمر، ولكن في حقيقة الأمر ليس كذلك عندما ندرس دراسة عميقة لكلام الأستاذ سيد قطب ونقارنه بغيره من العلماء، فعندئذ يظهر خطأه من صوابه..[292].

وقد رأيت الإنصاف عند الأستاذين (سالم البهنساوي وصلاح عبد الفتاح الخالدي) في تناول الملاحظات والمآخذ التي على الظلال وصاحب الظلال[293].

ومن الدراسات القيمة في الدفاع عن فكر وعقيدة الأستاذ سيد قطب؛ دراسة أحد تلاميذ الأستاذ سيد قطب من ليبيا؛ الأستاذ أحمد عبد المجيد بعنوان: **سيد قطب بين معارضيه ومنتقديه**، والتي نشرتها الموسوعة الإخوانية على الشبكة العنكبوتية الإنترنت. هذه الدراسة في غاية الأهمية لم أعثر عليها من قبل، ولكنني الحمد لله مؤخرا وقفت عليها.

(من تلاميذ الأستاذ سيد قطب: الأستاذ أحمد عبد المجيد الليبي)

[292] انظر المرجع السابق، ص: 206-207 وما بعد ذلك.

[293] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **في ظلال القرآن في الميزان**، ص: 278-304، ذكر فيه عشرين ملاحظة على الظلال.وانظر كذلك: **أضواء على معالم في الطريق**، جميع الكتاب.

فقد ذكر الأستاذ أحمد عبد المجيد أن من الذين اتهموا الأستاذ سيد قطب الدكتور في عقيدته وإيمانه الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في كتابه: **أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره**، وكان قد جهزه للطباعة، ولكنه أراد من فضيلة الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله أن يقرأ الكتاب ويطلع على الملاحظات التي سجلها على سيد قطب، فما كان من الشيخ بكر أبي زيد رحمه الله إلا أن يبدي غضبه واستياءه من الكاتب والكتاب وأبى أن يكتب كلمة ثناء عليه، بل كتب رسالة قوية مزلزلة بمثابة الصواعق المرسلة على الدكتور ربيع بن هادي المدخلي.

(الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ود. أحمد الموصللي من حاملي لواء الطعن والتشكيك في فكر الأستاذ سيد قطب...، غفر الله لهما!!!)

وهنا أود أن أقتبس من دراسة الأستاذ أحمد عبد المجيد الكلام والذي كتبه الشيخ الدكتور بكر أبو زيد في رده عليه حتى نكون أمناء في التوثيق والبحث العلمي:

" فضيلة الأخ الشيخ : ربيع بن هادي مدخلي الموقر.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد ...فأشير إلي رغبتكم قراءة الكتاب المرفق " **أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره.** "

هل من ملاحظات عليه ؟ ثم هذه الملاحظات هل تقضي علي المشروع ، فيطوي ولا يروي؟ أم هي مما يمكن تعديلها، فيترشح الكتاب بعد للطبع والنشر؟ ويكون ذخيرة لكم في الآخرة، بصيرة لمن شاء من عباده في الدنيا. !

لهذا أبدي ما يلي:

1- نظرت في أول صفحة منه " فهرس الموضوعات " فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب - رحمه الله تعالى - **أصول الكفر ، والإلحاد والزندقة ، القول بوحدة الوجود ، القول بخلق القرآن ، يجوز لغير الله أن يُشرع ، غلوه في تعطيل صفات الله تعالي ، ولا يقبل الأحاديث المتواترة ، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها ، يُكفر المجتمعات..** إلي آخر العناوين ، التي تقشعر منها جلود المؤمنين. !!

وأسفت علي أحوال علماء المسلمين في الأقطار، الذين لم ينبهوا علي هذه الموبقات! وكيف بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس وعامتهم يستفيدون منها، حتى أنت في بعض ما كتبت! عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع، فوجدت الخبر يكذبه الخبر ... ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي إلي الوقيعة في سيد رحمه الله تعالى.

وأما القارئ الذي عنده قدر يسير من البصيرة ، فإنه إذا قرأ الموضوع داخل الكتاب، سيجد عنده ردة فعل قوية نحو ما كتبت، وعودة الحنين إلي كتب سيد -

رحمه الله تعالي – وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم ، مواطن الإثم والنجاح..وإن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حسناته إلي من يعتقد بغضه وعداوته. !

2- نظرت، فوجدت هذا الكتاب يفتقد" **أصول البحث العلمي** " الحيدة العلمية ، منهج النقد ، أمانة النقل والعلم، عدم هضم الحق. !

3-أما أدب الحوار، وسمو الأسلوب، ورصانة العرض، فلا تمت إلي الكتاب بهاجس !! وإليك التدليل.

أولاً : رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد - رحمه الله تعالى – من طبعات سابقة مثل " **الظلال**" و "**العدالة الاجتماعية.** "

مع علمكم أن لهم طبعات معدلة لاحقة! والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية تسليط النقد – إذا كان – على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب، لأن ما فيها من تعديل ينسخُ ما في سابقتها!

وهذا غير خافٍ – إنشاء الله تعالى – علي معلوماتكم الأولية ...

ثانياً : لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا الكتاب قولكم : "**سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع**" !! فهرعت إليها قبل كل شيء، فرأيت الكلام بمجموعة نقلاً واحداً لسطور معدودة من كتاب " **العدالة الاجتماعية** " وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي. !!

ولنفرض أن به عبارة موهمة أو مطلقة فكيف نحولها إلي مؤاخذة مكفرة ؟ تنسف ما بني عليه سيد - رحمه الله تعالى – حياته ، ووظف له قلمه، من الدعوة إلي توحيد الله تعالي في " **الحكم والتشريع** " ورفض سن القوانين الوضعية، والوقوف في وجود الفعلة لذلك !! إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء ، ولا أراك – إن شاء الله تعالي – إلا في أوبة العدل والإنصاف. !!

ثالثا : ومن العناوين الاستفزازية قولكم : " **قول سيد قطب بوحدة الوجود**" إن سيداً – رحمه الله تعالي – قال كلاماً متشابهاً، حلق فيه بالأسلوب، في تفسير سورتي الحديد والإخلاص، وقد اعتمد عليه بنسبة القول بوحدة إله ! وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة، من رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود... لهذا أرجو المبادرة إلي شطب هذا التكفير الضمني لسيد - رحمه الله تعالى – وإني مشفق عليكم. !..

رابعا : وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح : إنك تحت هذه العناوين " مخالفته في تفسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغة " و" عدم وضوح الربوبية والإلوهية عن سيد.. " **أقول :**

أيها المحب الحبيب – لقد نسفت بلا تثبت، جميع ما قرره سيد - رحمه الله تعالى – من معالم التوحيد ومقتضياته ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة!

فجميع ما ذكرتم يلغيه واحدة، وهي: إن توحيد الله في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد ! وسيد - رحمه الله تعالى – ركز علي هذا كثيراً ، لما رأى من هذه الجرأة الفاجرة علي إلغاء شرع الله من القضاء وغيرهُ وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها، ولاشك أن هذه جرأة عظيمة، ما عهدتها الأمة الإسلامية في مشوارها الطويل، قبل عام 1432هـ.

خامساً : ومن عناوين الفهرس : " **قول سيد بخلق القرآن ، وأن كلام الله عبارة عن الإرادة. ! "** ولما رجعت إلي الصفحات المذكورة ، لم أجد حرفاً واحداً ، يصرح فيه سيد - رحمه الله تعالى – بهذا اللفظ: القرآن مخلوق! كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات؟ إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب، كقوله : ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها – أي الحروف المقطعة – مثل هذا الكتاب ، لأنه من صنع الله ،لا من صنع الناس "! وهي عبارة لاشك في خطئها **! لكن :** هل نحكم

من خلالها أن سيد يقول بهذه المقولة الكفرية " **خلق القرآن** " ؟ اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك **!!** ...

– ثم بين الأستاذ الدكتور بكر أبو زيد ست سمات –

1: مسودة هذا الكتاب تقع في (161) صفحة بقلم اليد وهي بخطوط مختلفة ! ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد !! إلا أن يكون اختلف خطكم ، أو اختلط علي !! أم أنه عُهد بكتب سيد قطب - رحمه الله تعالي – لعدد من الطلاب ، فاستخرج كل طالب ما بدا له ، تحت إشرافكم أو بإملائكم ؟؟؟ لهذا فلا أتحقق من نسبته إليكم **!!**...

2: مع اختلاط الخطوط، إلا أن الكتاب من أوله إلي آخره يجري علي وتيرة واحدة ، **وهي :** أنه بنفس متوترة ، وتهيج مستمر ، ووثبة تضغط علي النص ، حتى يتولد منه أخطاء الكبار ، وتجعل محل الاحتمال ومشتبه الكلام محل قطع، لا يقبل الجدال ... وهذا نكث لمنهج النقد : الحيدة العلمية. **!!**

3: **من حيث الصياغة :** إن قارنا بينه وبين أسلوب سيد – رحمه الله تعالي – فهو في نزول ، وسيد قد سما ! وإن اعتبرناه من جانبكم الكريم، فهو أسلوب "**إعدادي** " لا يناسب إبرازه من طالب علمٍ حاز العالمية العالية .. لابد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي، والقدرة علي البلاغة والبيان، وحسن العرض ...وإلا فليُكسَر القلم. **!!**

4: لقد طغى أسلوب التهيج والفزع العلمي للنقد! ولهذا افتقد الرد أدب الحوار. **!!**

5: في الكتاب من أوله إلي آخره تهجم، وضيق عطن، وتشنج في العبارات، فلماذا هذا ؟.

6: هذا الكتاب ينشط الحزبية الجديدة، التي أنشأت في نفوس الشبيبة جنوح الفكر، بالتحريم تارة ، وأن هذا بدعة، أو ذلك مبتدع، وهذا ضلال، وذاك ضال .. ولا بينة كافية للإثبات. **!!**

هذه سمات ست، تمتع بها هذا الكتاب، فكان غير ممتع **!!** هذا ما بدا لي ، حسب رغبتكم **...** وأعتذر من تأخر الجواب ، لأنني من ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل، وإن تداولها الناس **!!** لكن هول ما ذكرتم، دفعني إلي قراءات متعددة في عامة كتبه ، فوجدت في كتبه خيراً كثيراً وإيماناً مشرقاً، وحقاً أبلجاً ، وتشريحاً فاضحاً لمخططات العداء للإسلام! على عثرات في سياقاته، واسترسال بعباراته !...والرجل كان أدبياً نقادة ، ثم اتجه إلي خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم ، والسنة المشرفة ، وسخر قلمه ووقته ودمه في سبيلها ، فشرق بها طغاة عصره**!!**

وأصر علي موقفه في سبيل الله تعالى، وكشف عن سالفته ... وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار **! وقال كلمته الإيمانية المشهورة :** إن أصبعاً أرفعه للشهادة ، لن أكتب كلمة تضارها أو كلمة نحو ذلك**!**

فالواجب علي الجميع الدعاء له بالمغفرة ! والاستفادة من علمه! وبيان ما تحققنا خطأه فيه! وإن خطأه لا يوجب حرماتنا من علمه، ولا هجر كتبه! واعتبر – رعاك الله – حاله بحال أسلاف مضوا ، أمثال أبي إسماعيل الهروى والجيلاني ، كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله تعالي – ما لديها من الطوام ! لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة**..** وانظر " **منازل السائرين** " للهروى – رحمه الله تعالي – ترى عجائب لا يمكن قبولها ! ومع ذلك فابن القيم – رحمه الله تعالي – يعتذر عنه أشد الاعتذار، ولا يجرمه فيها، وذلك في شرحه "**مدارج السالكين** " ! وقد بسطت في كتاب " **تصنيف الناس بين الظن واليقين** " ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك**!**

وفي الختام : فإني أنصح فضيلة الأخ في الله، بالعدول عن طبع هذا الكتاب **"أضواء إسلامية "... وإنه لا يجوز نشره ، ولا طبعه ، لما فيه من التحامل الشديد، والتدريب القوى لشباب الأمة علي الوقيعة في العلماء وتشذيبهم، والحط من أقدارهم، والانصراف عن فضائلهم !!** وامح لي – بارك الله فيك – إن كنت قسوت في العبارة، فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد، وشفقتي عليكم، ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه ، جري القلم بما تقدم**!!** سدد الله خطى الجميع،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [294]

أخوكم

بكر بن عبد الله أبو زيد 1414/1/20 هـ

أقول: رحم الله الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رحمة واسعة وجعلنا من أمثاله من المنصفين المخلصين والشهود العدول عند حكمنا للآخرين وفي دفاعنا عن القرآن وأهله. إنها كلمات وسطور نيرات، مشرقات طيبات مباركات، شهاداتُ ثقاتٍ على ثقات، لقد صدق فيه وفي غيرهم الذين شهدوا بالحق قول الله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾، [البقرة: 282]

[294] انظر يتصرف يسير: أحمد عبد المجيد : **سيد قطب بين معارضيه ومنتقديه** في الموسوعة الإخوانية على الشبكة: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title

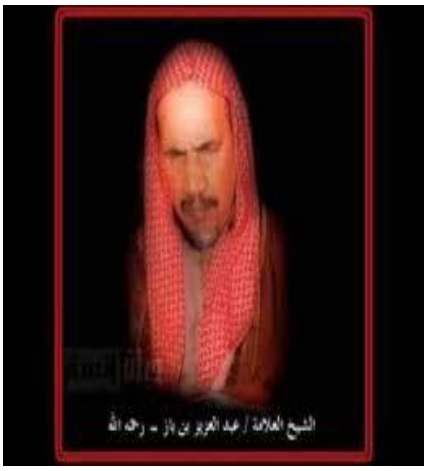

(الشيخ الداعية الدكتور بكر أبو زيد رحمه الله تعالى مع الإمام العلامة الشيخ بن باز صاحب الشفاعة الحسنة للأستاذ سيد قطب لدى القاتل جمال عبد الناصر)

ولما سئل سماحة الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله عن الإمام حسن البنا وسيد قطب – رحمهما الله تعالى: [بعض الشباب يبدعون الشيخ سيد قطب وينهون عن قراءة كتبه ويقولون أيضاً نفس الكلام عن حسن البنا ويقولون عن بعض العلماء أنهم خوارج... وهم طلبة حتى الآن. أرجو الإجابة إزالة للريب لنا ولغيرنا حتى لا يعم هذا الشيء..]

الجواب : الحمد لله وحده ...، وبعد؛

لا يجوز التبديع والتفسيق للمسلمين لقول النبي صلي الله عليه وسلم : "**من قال لأخيه يا عدو الله وليس كذلك حار عليه** " ، وفي الحديث : " **أن من كفر مسلماً فقد باء بها أحدهما**" ، وفي الحديث : " **أن رجلا مر برجل وهو يعمل ذنباً فقال والله لا يغفر الله لك ، فقال من ذا الذي يتألى علي أني لا أغفر لفلان ، إني غفرت له وأحبطت عملك** " .

ثم أقول إن سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين ومن أهل الدعوة وقد نفع الله بهما وهدي بدعوتهما خلقاً كثيراً ولهما جهود لا تنكر، ولأجل ذلك شفع الشيخ عبد العزيز بن باز في سيد قطب عندما قرر عليه القتل وتلطف في الشفاعة فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال – عليه من الله ما يستحق – ولما قتل كل منهما أطلق علي كل واحد أنه شهيد لأنه قتل ظلماً، وشهد بذلك الخاص والعام ونشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار ثم تلقي العلماء كتبهما، ونفع الله بهما ولم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عامًا...[295].

وفي سؤال آخر سئل الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله عن الإمام حسن البنا والشيخ بكر أبو زيد والأستاذ سيد قطب وغيرهم، فأجاب رحمه الله:

" القطبية فهذه كلمة مبتدعة منسوبة إلى سيد قطب و حسن البنا – رحمهما الله– وقد كان كل منهما من الدعاة إلى الله، ولهم من المقامات في الصبر والتحمل ما ليس لغيرهم، وقد صبر كل منهما على القتل؛ حيث قتلا ظلمًا ولم يتنازل كل منهما عما يدعو إليه، بل أصر كل منهما على التصريح بتكفير المشركين والقبوريين والاشتراكيين والبعثيين والقانونيين، ودعوا إلى الله تعالى، وهدى الله بهما خلقًا كثيرًا، والذين اعترضوا عليهما وكفروهما قد كانوا قبل عشر سنوات يترحمون عليهما، ويذكرون عنهما مقامات مشرفة، ويدعون لهما ويثنون على ما قام به كل منهما من الجهاد والصبر والتحمل والدعوة إلى الله والصبر على الأذى فيه حتى وصل إلى السجن والتعذيب ثم الحكم بالإعدام دون أن يتنازلا عن ما كانا عليه. وفي الوقت المتأخر ظهر من بعض الناس السب والعيب وتتبع الأخطاء؛ حتى جعلوهما ضالين مضلين كافرين خارجين من الدين، فنتعجب كيف تجدد هذا الفكر بعد عشرات السنين؛ فلذلك

[295] انظر الموسوعة الإخوانية مقالة الأستاذ أحمد عبد المجيد: **سيد قطب بين معارضيه و مؤيديه**
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title

نقول: إن الواجب على المسلم أن يعترف بالفضل لأهله، وأن ينبه على الأخطاء والهفوات، وألا يجحد للمحسنين إحسانهم، ولا للعلماء فضلهم ونفعهم، فإن لهؤلاء العلماء الذين هم الإخوان المسلمون مقامات شريفة يعجز من بعدهم عن الوصول إليها، وإن كان لهم أخطاء اجتهادية يعذرون عليها، فالواجب أن ينبه على أخطائهم وألا تطوى حسناتهم ومآثرهم، ونحيل القارئ إلى الكتاب الذي صنف بعنوان: **(الإخوان المسلمون صنعوا التاريخ)**، ونقول: إن المنصف يعترف بالخير لأهله، ولا يجحد المعروف، وأما الأعداء فإنهم يظهرون السيئات وينسون المحاسن والآثار.. [296].

رحم الله الشيخ عبد الله جبرين وحفظ الله الداعية الدكتور سلمان العودة

[296] انظر نص الفتوى على موقع الشيخ عبد الله جبرين رحمه الله:
http://www.ibn-jebreen.com/fatwa/vmasal-4356-.html

فضيلة الإمام العلامة الشيخ بن باز – صاحب الشفاعة التاريخية للأستاذ سيد قطب لدى الظالم جمال عبد الناصر – مجاورا لجلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية رحمها الله.

ورأيي بعد البحث والدراسة في فكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى، فقد ذكرت شيئاً في ملاحظاتي الخاصة عليه وأضيف هنا وأقول:

1. **إن الأستاذ سيد قطب بشر مثلنا**، يصيب ويخطىء، وأنه ليس معصوماً كما هو حال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، بل وحتى بعض الأنبياء والرسل أخطأوا في بعض الأمور الدنيوية والاجتماعية، أما الأمور والقضايا التشريعية فالوحي كان يصوبهم ويصحح مسارهم.
2. **إن الأستاذ سيد قطب رحمه الله** وإن كان قد تطرق إلى قضية الصحابة عثمان ومعاوية ضي الله عنهما في كتابه "**العدالة الاجتماعية**"، فالصواب في هذه المسألة كما اتفق عليها جمهور أهل العلم من السلف والخلف والمشهود لهم بالصلاح والتقوى والعلم: **هو أننا قد كفانا الله أيدينا عن الخوض في ودمائهم؛ فمن باب أولى أن نكف ألستنا عنهم وعدم الخوض في شؤونهم وأحوالهم والمشاكل التي حدثت فيما بينهم، رضي الله عنهم أجمعين**...وما كان ينبغي للأستاذ سيد قطب أن يخوض في هذا الموضوع الخطير والحساس لأننا لم نشهد تلك الأحداث ولم نكن موجودين حين وقعت، فالمسألة منطقيا فيها شيء من الخطورة لعدم توفر الأخبار الصحيحة والحقيقية 100 % – وإن كان لنا كباحثين ودارسين وعلماء الشريعة والفكر الإسلامي يحق ويجوز التأمل في الأحداث والوقائع التي حدثت في زمن الصحابة رضوان الله عليهم وتحليلها ودراستها وغربلتها لمعرفة الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي أدت وساهمت في تطور الأحداث الاجتماعية والسياسية والدينية،

ومعرفة مواقفهم وكيفية تفاعلهم وتجاوبهم مع نزول الآيات القرآنية التي كانت تصحح مسارهم السلوكي والفكري والأخلاقي والعقدي، ومن ثم النظر واستخلاص النتائج والدروس والعبور فيما آلت إليه الأمور والظروف لاحقا، حتى نتجنب الأخطاء ومواطن الخلل ولا نعيدها مرة أخرى، **لأن التاريخ أيا كان نوعه ينبغي أن يقرأ بمنهجية جديدة ألا وهي منهجية استكشاف واستخلاص الدروس والعبر والأحكام من الأحداث التي خلت، فلهم ما كسبوا ولنا ما كسبنا أو سنكسبه** كما علمنا القرآن الكريم في كيفية التعامل مع تاريخ الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١]. وقال تعالى:﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آلعمران: ١٣٧]، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

إلا أنه يمكن أن يُوَفَّق في هذه القضية بأن نقول: أن كتابه هذا كتبه في بدايات كتاباته الإسلامية، حيث بضاعته وثقافته الإسلامية لم تسعفه أكثر من ذلك ، وأنه في هذه الفترة كان منعزلاً عن جماعة الإخوان المسلمين، وكان قبل سفره إلى أمريكا كما ذكرت ذلك في حديثي عن انضمامه إلى الإخوان المسلمين في الفصل الأول من الرسالة.

أقول يمكن التوفيق بين هذا وذاك، بأن نقول أن كتابه (**معالم في الطريق**) يعتبر من آخر ما كتب وذهب إليه من الآراء. حيث أنه مدح جميع الصحابة رضوان الله عليهم دون استثناء أحد منهم عند ما قال في فصل بعنوان (**جيل قرآني فريد**):

"هنالك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل أرض وفي كل زمان، وأن يقفوا أمامها طويلاً. ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها. لقد خرَّجت هذه الدعوة جيلاً من الناس – جيل الصحابة رضوان الله عليهم – جيلاً مميزاً في تاريخ الإسلام كله وفي تاريخ البشرية جميعه ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى.."[297].

فهذا الكلام عن الصحابة هنا محكم، وأن كلامه في العدالة الاجتماعية متشابه، فيحمل المتشابه على المحكم فنعمل بالمحكم ونترك المتشابه،كما هو معروف في القواعد العلمية في علم أصول الفقه.

3. **هذه الملاحظات التي لاحظتها على الأستاذ سيد قطب رحمه الله،** إنني أؤكد مرة أخرى في ختام هذه الدراسة بأنني لم أرى ولم ألاحظ شيئا حقيقيا جذريا يمس أو يطعن في مبادئ وأركان الإسلام أو الإيمان أو القرآن أو الصحابة أو التابعين، هذا ما أدين الله به في حق هذا المفكر العملاق والداعية الفقيه والمفسر المجدد الكبير والكاتب والأديب الماهر الناقد الذي سخر كلمه وطاقته ودفع حياته ثمنا ودفاعا عن القرآن والسنة النبوية وتاريخ المسلمين ومصالحهم وبيان خطورة الأعداء والمستعمرين

[297] قطب، سيد، **معالم في الطريق**، ص: 14.

والعلمانيين والصهاينة المجرمين الذين يتنافسون ويتداعون على ثروات وخيرات المسلمين كما يتداعى الأكلة على قصعتها. لقد رأيته رحمه الله سلفي المنهج في تفسيره في الاتباع والاستدلال والاستشهاد بكلام السلف من العلماء والمفسرين من أمثال الإمام بن كثير والإمام القرطبي وغيرهم[298] في المسائل العقدية والدينية .فرحمه الله وإيانا، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته وغفر الله لنا وله.

4. وقبل الخاتمة أود أن أشيد وأن أسجل في هذا الكتاب التاريخي والشهادة التاريخية في حق الأستاذ سيد قطب رحمه الله نتائج لدراسة علمية في مرحلة الدكتوراه لأحد الباحثين الفضلاء لكي نكون في الأجر نحن وإياه سواء إن شاء الله. ملخص هذه الدراسة نشرت في موقع مركز التفسير في الرياض، وفيما يلي نص التقرير بإيجاز:

" قبل بضعة أشهر تم مناقشة رسالة الدكتوراه – **منهج سيد قطب في العقيدة** – التي تقدم بها الطالب/ ماجد شبالة، والمدرس (المحاضر) بجامعة إب، إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة صنعاء..، ونظرا لأهمية هذا الموضوع، فقد أحببت طرح بعض معالم الرسالة، بمقتطفات من المقدمة والخاتمة، علما أن الرسالة – حاليا – تحت الطبع..أما الخاتمة فقد أورد فيها الباحث عددا من النتائج أنقل هنا بعضها، كما أوردها الباحث نصا، حيث قال ضمن الخاتمة:

فيما يتعلق بمنهجه في تقرير العقيدة:

[298] وبحول الله تعالى قريبا ستصدر دراسة أخرى عن سلفية المنهج الذي اتبعه الأستاذ سيد قطب في تفسيره للقرآن.

أ- كان سيد قطب موافقاً لما عليه أهل السنة في الاعتماد على مصادر تلقي تقرير العقيدة ، والمتمثلة في الكتاب والسنة والفطرة والعقل، ومخالفته لمنهج الفلاسفة وعلماء الكلام في تقرير العقيدة..، ب- فيما يتعلق بموقفه من العقل وفطرية المعرفة يقرر ما عليه أهل السنة وينتقد المخالفين، وكذا فيما يتعلق بقضية تطور العقيدة ومقارنة الأديان، حيث يرى سيد بطلان نظرية تطور العقيدة وبطلان منهج علماء مقارنة الأديان الغربيين ومن تأثر بهم في هذا الباب ومخالفتهم لنمهج القرآن الكريم.

2- اهتم سيد قطب رحمه الله كثيراً ببيان أهمية العقيدة الإسلامية وخصائصها ومميزاتها، وتقرير منهج القرآن في عرضها والدعوة إليها.

3- فيما يتعلق بموقف سيد قطب رحمه الله من المخالفين عقدياً نجد أنه يقرر ما جاء في القرآن والسنة حول الموقف من أهل الكتاب والمشركين والوثنيين والملاحدة عموماً والمتمثل في اعتقاد كفرهم ووجوب بغضهم والتميز عنهم، كما عمل على فضح أهدافهم ومخططاتهم ضد الإسلام وحذر من المذاهب والنظريات الإلحادية والمادية كالشيوعية والوجودية والداروينية والعلمانية والقومية وغيرها، وبين فسادها وضلالها.

ب – المخالفون لمنهج السلف من المتكلمين والفلاسفة والصوفية وأهل الأهواء "العصرانيين" وغيرهم ، بيَّن سيد قطب المأخذ عليهم ونقد ما عندهم من أخطاء في باب العقيدة.

4– فيما يتعلق بمنهجه في باب مسائل الإيمان: أ – يقرر سيد قطب ما عليه أهل السنة والجماعة وعلاقته بالعمل، وكذا العلاقة بين الإيمان والإسلام ، وزيادة الإيمان ونقصانه، وكذا حكم مرتكب الكبيرة. ب – فيما يتعلق بقضية التكفير وما ثار حولها من جدل تبيَّن لنا من خلال جمع النصوص المتعلقة بهذه القضية أن سيد قطب يفرق بين الحكم على الأنظمة والأوضاع وبين الحكم على الأفراد ، وأن الذين اعتمدوا على بعض النصوص دون بعضها الآخر، أو على فقرات مجتزأة من سياقها، أو اغفلوا الضوابط التي ذُكرت في سياق بعض النصوص فهموا كلامه على غير ما أراد.

5–فيما يتعلق بمنهجه في باب التوحيد: أ – يوافق سيد قطب ما عليه أهل السنة والجماعة في حقيقة التوحيد وشموله للألوهية والربوبية والأسماء والصفات..، .ب –في باب توحيد الربوبية يقرر سيد منهج القرآن في الاستدلال على الربوبية وينتقد المناهج المخالفة في تقرير وجود الله ووحدانيته.كما انتقد نظرية قِدم العالم ، وكذا وحدة الوجود والحلول والإتحاد. فيما يتعلق بالقدر يقرر ما عليه أهل السنة في مسائل القدر...، ج– في باب توحيد الأسماء والصفات : يثبت الأسماء الحسنى بمعانيها التي دلت عليها، ويثبت الصفات الإلهية إجمالاً ويرد على النفاة والمؤولين وإن وقع في بعض الأحيان في التأويل باعترافه نفسه وتراجعه عن التأويل.

4– في باب توحيد الألوهية اهتم سيد قطب كثيراً ببيان منهج القرآن الكريم في تقرير توحيد الألوهية حيث بيَّن أن للألوهية ثلاثة مجالات: **أ–مجال الاعتقاد وهو معنى لا إله إلا الله. ب– مجال العبادة والشعائر. ج– مجال الحاكمية والتشريع.**

5- في باب نواقض التوحيد والإيمان ذكر سيد – رحمه الله- النواقض المتمثلة بالشرك وأنواعه والكفر وأنواعه والنفاق، وهو في ذلك يقرر ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة، مع اهتمامه كثيراً ببيان شرك الحاكمية وما تفرع عنه باعتباره أبرز أنواع الكفر في هذا العصر، وعنه ينتج ما سواه.

6- فيما يتعلق بمنهجه في باب الملائكة والجن والشياطين يقرر ما عليه السلف من وجودهم وصفاتهم وأعمالهم ويرد على المخالفين في هذا الباب.

7- فيما يتعلق بالأنبياء والرسل يقرر أيضاً ما عليه السلف في هذا الباب من حقيقة النبوة وصفات الأنبياء ووظائفهم وعصمتهم وغير ذلك، ويرد على المخالفين في هذا الباب...،

8- فيما يتعلق بنبوة محمدصلى الله عليه وسلم يقرر سيد أهمية بعثته صلى الله عليه وسلم وحاجة العالم إليها وأثرها على البشرية، وكذا دلائل نبوته وصفاته وخصائصه ومعجزاته وبيناته، حيث يرى أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم وما سواه من الخوارق فإنما كان إكراماً أو تثبيتاً له، ولم يكن خارقة على سبيل التحدي بها.

9- فيما يتعلق بالصحابة – رضوان الله عليهم – تحدث سيد قطب عن عظمة جيل الصحابة، وبين مميزات هذا الجيل الفريد وخصائصه والواجب نحوهم. أما كلامه حول بعض الصحابة فقد تبَّين لنا أنه كان قبل التزامه أو في بداية تحوله نحو الإسلام، وأنه عدل ما جاء في كتابه" **العدالة الاجتماعية**" في الطبعة المنقحة قبل موته بسنتين، بالإضافة إلى أن في كتبه الأخيرة ما ينقضه.

10- فيما يتعلق بالخلافة يقرر سيد قطب أهمية الخلافة الصالحة ويستعرض خصائص نظام الحكم في الإسلام، وكذا مكانة الحاكم المسلم وحقوقه وواجباته، ونظام الشورى وما يتعلق به، ونظرته للأنظمة المعاصرة ووسائل التغيير،حيث يقرر

أهمية بناء القاعدة الإسلامية – أي قاعدة التربية والتعليم والتثقيف والتوعية كما بينا ذلك في هذه الدراسة – في المجتمع كأساس للتغيير.

11- فيما يتعلق بالمعاد واليوم الآخر يبين سيد قطب – رحمه الله – أهمية اليوم الآخر وأثره في الحياة، كما تناول مقدمات اليوم الآخر من التوبة والموت وحياة البرزخ وأشراط الساعة وكذا أحداث القيامة وما فيها حتى الاستقرار في الجنة أو النار، وله بعض الآراء التي خالف فيها القول الراجح عند أهل السنة والجماعة في هذا الباب مثل: رأيه في خروج يأجوج ومأجوج، والميزان.

والخلاصة : نستطيع القول بأن سيد قطب – رحمه الله – كان إجمالاً في باب العقيدة موافقاً لما عند أهل السنة والجماعة مخالفاً للفرق المخالفة لهم ..." [299]

[299] http://vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VkWQx9IrKM9 بتصرف يسير

المطلب الثاني: الخاتمة وتوصيات الباحث

ولقد توصلت بحمد الله تعالى إلى ختام هذه الرسالة بعد جهد جهيد وعمل متواصل منذ اللحظة التي كتبتها قبل خمسة عشر عاما إلى يومنا هذا، وأحمد ربي حمد الشاكرين المخلصين أن منّ علي بنعمة الصحة والعافية أثناء كتابة هذه الرسالة ورزقني الصبر وطول البال والنفس في البحث والمتابعة وبارك في وقتي، حتى أتممتها في وقتها المناسب، بل في فترة وجيزة معقولة، وبالرغم أني أخرتها عن القراء والدعاة وطلبة العلم الشرعي؛ غير أني أرجو بأني قد وفقت إلى إضافة فوائد علمية قيمة.

هذا، ويحسن في هذا المقام – بعد أن تجولنا في عالم الدعوة ومسالكها ورحابها الطاهرة مع الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وعشنا في ظلالها واستمتعنا بمائها العذب وهوائها الطلق الصافي، واستعلت أرواحنا وأفكارنا على مادية هذه الحياة الدنيا وتهافتها وانحطاطها – أن أورد أهم النتائج التي استطعت أن أقف عليها أثناء الدراسة والبحث. ومن هذه النتائج والفوائد:

1) لقد كشفت الدراسة عن عصر الأستاذ سيد قطب وصورتها السياسية وتكالب القوى الصهيونية والصليبية على الإسلام والمسلمين، حيث الاستعمار والحروب.
2) كما كشفت الدراسة عن الحالة الدينية التي كانت حافلة بالاضطرابات والفتن والصراعات المذهبية بين الشيوعية والإلحادية.
3) التعرف على شخصية الأستاذ سيد قطب ومنهجه في التفسير الدعوي في إطار بيئته.. وقفنا على شخصية علمية من الطراز الفريد كان نموذجاً حياً من أعلام الدعوة. ولعل من أهم الأسباب التي جعلت سيداً ينجح في دعوته أيما نجاح، وأن يحظى تفسيره بهذا الحظ الوافر، أن الأستاذ سيد

قطب عاش في عصر المشاكل والتحديات الحضارية الغربية والأمريكية مع كونه أديباً، وذا خبرة بعلم الاجتماع مع حساسية مرهفة، مما جعلته يعيش قضيته ويتألم لآلام الأمة، ويكون دقيقاً في تحليلاته واجتهاداته.

4) أثبتت هذه الدراسة من خلال النظرة المنهجية المتجردة..أن الأستاذ سيد قطب رحمه الله تطرق إلى مجال الدعوة بمنهج علمي قرآني دقيق ومتكامل، وأن هذا المنهج في فهمه لآيات الدعوة وافق قواعد الشرع والأصول واللغة.

5) برزت شخصية الأستاذ سيد قطب كإمام في الدعوة من خلال مواقفه العلمية والشخصية أمام الطواغيت، فلم يكن حاطب ليل أو يقف موقف الناظر من بعيد دون الوغول والنزول إلى ساحة الدعوة..كما يفعله الكثيرون.

6) ورصد البحث موقف الأستاذ سيد قطب من الأنظمة والأوضاع الحالية،حيث لم يتساهل فيها، وإنما كان يجهر بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم.

7) كشف البحث كذلك عن وحدة المنهج الذي تبناه الأستاذ سيد قطب والإمام البنا في فهمها للدعوة إلى الله وفلسفتها.

8) وقف الأستاذ سيد قطب في منهجه على قمة المذاهب والفرق العصرية والهدامة في ذلك العصر..ومن رآه عَلِم بمقدار ما عنده من علم بأحوال العالم..فعني الأستاذ سيد قطب في تفسيره عناية فائقة بقضية الحاكمية والألوهية.

9) في الجانب الدعوي أبرز الأستاذ سيد قطب تبحره وعمق فكره ورزانة عقله في معالجة دقائق المسائل في الدعوة التي يترتب عليها فهم النص

القرآني وتوجيه معناه..حيث ربط الأستاذ سيد قطب حالات الجاهلية الأولى بالحالات المماثلة لها اليوم. وكان مبدعاً في دقة المقارنة التي كان يجري بين العصرين..وبرز في هذا الميدان إماماً وعلاّمة يناقش صلب المسائل الدينية مستدلاً لآرائه من آيات الذكر الحكيم.

10) سجل الأستاذ سيد قطب في تفسيره دعوته إلى تفسير ومنهج حركي الذي لم يسبق إليه من قبل، وأسهم الأستاذ سيد قطب من خلال تفسيره إلى إبراز شخصيات السورة وملامح الدعوة في المرحلة المكية، وأهمية ذلك في الخطوات الدعوية، بأن نبدأ أولاً دعوة الناس إلى إصلاح الأساس الذي هو العقيدة على حقيقة الألوهية والعبودية والربوبية،وأن كل دعوة سواها ستكون فاشلة ولا يغني عن الحق شيئاً.

11) أجلى البحث كذلك عن فهم الأستاذ سيد قطب في مجال الدعوة في بعض الأمور الدعوية على خلاف فهم الآخرين..مثل: مفهوم الألوهية وحقيقة الحاكمية والجاهلية والشرك والكفر وغيرها.

12) كما أثبت البحث على طائفة من الآراء والمبادئ الدعوية الذي ذهب إليها الأستاذ سيد قطب، سواء ما تعلق منها بشخص الداعية والمكونات الفكرية والروحية والسلوكية أو ما تعلق منها بقضية الدعوة مثل التدرج، ومراعاة أحوال المخاطبين وأساليب الدعوة وغيرها.

13) تناول البحث تقويم الأستاذ سيد قطب للمجتمع الذي عاشه، وأبرز مكانته كمفسر وداع مما فاق أقرانه ومعاصريه، وكشف عن منزلته من خلال نظرة أقرانه، ومن خلال آراء العلماء الذين أرخوا له.

14) أثبتت الدراسة بأن الأستاذ سيد قطب لا يكفر الناس حتى وإن أطلق عليهم مصطلحات مثل : الجاهلية، المجتمع الجاهلي...الخ، ولم يأمر أحدا

من الناس أن يكفر أحدا ...وأن الذين اتهموه بخلاف ما أثبتت هذه الدراسة فهؤلاء قوم لم يفهموا أسلوبه الرفيع الراقي في التعبير ولم يستقرؤوا أراءه أفكاره استقراء شاملا، فحبطت أقوالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعان و حاشا لأستاذ أديب عالم مفسر ناقد أن يعبث بالمصطلحات أو لا يدرك معانيها أو يسئ توظيفها.

15) رسمت الدراسة الخريطة البيانية والتوضيحة لاتباع معالم الدعوة إلى الله تعالى من خلال تفسير سورة الأنعام، فعلى الدعاة وطلبة العلم الشرعي السير وفق هذه المعالم وعدم الميل والانحراف عن هذه الخريطة.

16) أجلى البحث عن مواقف بعض الحاقدين والحاسدين لفكر ومنهج الأستاذ سيد قطب الدعوي والذي كتب الله لهذا المنهج وصاحبه القبول في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وصدق فيهم قول القائل:" لكل جسد حسد، فالكريم يخفيه واللئيم يبديه.

17) أثبتت الدراسة براءة فكر ومنهج الأستاذ سيد قطب ومدرسة الإمام حسن البنا – مدرسة الإخوان المسلمين - بأنهم لم يكونوا وليسوا من دعاة العنف أو التكفير أو الدعوات الانقلابية أو الثورات.

18) لقد أكدت الدراسة بأن التربية الإسلامية والتعليم والتثقيف للمجتمع المسلم هو المنطلق لتحقيق أو إقامة أي نظام إسلامي نموذجي. هذا هة السبيل الوحيد لا ثانية لها، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

19) وأخيراً أوصي نفسي وإخواني الآخرين من الدعاة أن يقوموا بمزيد من البحث والدراسة عن هذا العَالِم وأن يبيّنوا للناس جوانب أخرى من حياته وفكره مما تجدر الدراسة عنه، فإنه حقا يستحق ذلك، ولأن الحاجة إليها

ماسة جداً. كما أوصي الأعضاء القائمين على الجامعات والكليات والمدارس بأن يخلدوا اسم هذا النجم القرآني والتفسيري وعمله، وأن يكون تفسيره أو مختارات من تفسيره، كمناهج دراسية نموذجية في كيفية تفسير القرآن الكريم تفسيرا علميا معاصرا يراعى فيه الجانب الاجتماعي والدعوي والأخلاقي، ويكون هذا التفسير مقررا عليهم في مختلف مراحل الدراسة، حتى تنشط الصحوة الإسلامية وتنفض غبارها وتستيقظ من سباتها من جديد، وما ذلك على الله بعزيز، إنه تعالى أكرم مسئول وخير مأمول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

انتهيت بحمد الله وتوفيقه وبعد جهد جهيد من مراجعة هذه الرسالة وتنقيحها وتهذيبها وإضافة ما تطلب إضافتها يوم

22 من شهر نوفمبر لعام 2015،

الموافق 9 صفر 1437 هـ، الدوحة – قطر

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

1- **الأساس في التفسير**، حوى، سعيد، ط1-1985، دار السلام للطباعة والنشر.

2- **الإسلام و العقل**، مغنية، محمد جواد، 1984، دار الجواد – لبنان.

3- **احياء علوم الدين**، الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، المتوفى 505 هجرية، تحقيق أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، ط1-دار الحديث – القاهرة.

4- **إسلامية المعرفة ،المبادئ العامة**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986.

5- **أزمة العقل المسلم**، أبو سليمان ،عبد الحميد، ط2-1992، دار العالمية للكتاب الإسلامي.

6- **أسلوب الدعوة في القرآن**، فضل الله، محمد حسين، ط4-1982، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

7- **أصول الدعوة**، زيدان، عبد الكريم، ط3- دار عمر بن الخطاب للنشر والتوزيع الاسكندرية.

8- **أصول الدعوة الإسلامية**، علي، محمد جريشة، الناشر: مكتبة دار الوفاء للنشر و التوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

9- **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن**، بيومي مصلح سيد، ط4-دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.

10- **أضواء على معالم في الطريق**، البهنساوي، سالم، ط1-1985، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع –الكويت.

11- **التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي**، الحفناوي، محمد إبراهيم، ط2-1987، دار الوفاء، المنصورة.

12- **التفسير المنير في العقيدة و الشريعة والمنهج**، الزحيلي، وهبة، ط1-1991- دار الفكر المعاصر، بيروت –لبنان.
13- حسين،محمود، **مراحل التطور الفكري عنمد الإمام سيد قطب**، ط1، دار الجبهة للنشر والتوزيع.
14- **تذكرة الحفاظ**، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، المتوفى 748 هجرية، من الطبقة الحادية عشرة إلى الطبقة الرابعة عشرة، صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة العثمانية، دار احياء التراث العربي، بلا تاريخ.
15- **تذكرة الدعاة**، الخولي ،البهي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط2-1983، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.
16- **تفسير المنار** للإمام رضا، محمد رشيد، ط3-1367 هجري.
17- **تفسير الطبري**، المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، 224-310 هجرية، حققه و خرج أحاديثه الشيخ :محمود محمد شاكر، وراجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، بلا تاريخ.
18- **تفسير الفخر الرازي**، المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب للإمام، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ط3-دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
19- **تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي**، دار أخبار اليوم، بلا تاريخ.
20- **تفسير القرآن للشيخ الإمام سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام** الدمشقي الشافعي، 578-660 هجرية، اختصار النكت للماوردي، 364-450 هجرية، قدم وحقق وعلق عليه د /عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الوهيبي، ط1-1991، دار ابن حزم –بيروت.
21- **تفسير المراغي**، تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ: المراغي، مصطفى أحمد، ط11-1974، دار الفكر.

22- **تفسير في ظلال القرآن**، بقلم سيد قطب، ط –11 ،1985، دار الشروق، القاهرة.

23- **تفسير فتح القدير الجامع بين الرواية و الدراية**، في علم التقسير، الشوكاني محمد بن علي بن محمد، المتوفى يصنعاء 1250 هجرية، حقق وخرج أحاديثه د/عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، ط1-1994.

24- **تفسير القرآن العظيم**، للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقي، المتوفى 774هجرية، صُحِّح بإشراف فضيلة الشيخ خليل الميس، مدير أزهر لبنان ط2-دار القلم ، بيروت –لبنان.

25- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.

26- **حول تشكيل العقل المسلم**، خليل، عماد الدين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

27- **خصائص التصور الإسلامي**، قطب، سيد، ط8 -1983، دار الشروق، بيروت.

28- **خلافة الإنسان بين الوحي و العقل**، النجار، عبد المجيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

29- **الدعوة إلى الإسلام، مفاهيم و منهاج وواجبات**، حسني، أدهم جرار، ط 1-1984، دار الضياء للنشر و التوزيع.

30- **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، بن الحبيب، محمد بن سيدي، ط2، الناشر عبد الله بابا الشنقيطي.

31- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور وهو مختصر تفسير ترجمان القرآن،** للإمام السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة 911 هجرية ، دار الكتب العلمية –بيروت.

32- **الدعوات الإسلامية،** البنا، جمال، شقيق الأستاذ .ط1-1991، دار الفكر الإسلامي، القاهرة.

33- **دراسات إسلامية،** قطب، سيد، ط9-1993، دار الشروق، بيروت.

34- **رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،** السلمان، محمد بن عبد الله، ط1-1988، مكتبة المعلا الكويت.

35- **روائع البيان في علوم القرآن،** صابر، حسن محمد أبو سليمان، ط1-1988، المكتب الإسلامي، بيروت.

36- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني،** للعلامة الآلوسى، المتوفى 1270هجرية، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود، ط4-1985، دار احياء التراث العربي، بيروت –لبنان.

37- **الرؤية الإسلامية لمصادر المعرفة،** جنزرلي، رياض صالح، ط4-1994، دار البشائر الإسلامية.

38- **رسالة من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز في الدعوة،** ط1-1413هجرية، دار الوطن للنشر.

39- **سيد قطب الأستاذ الحي،** الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2-1985، مكتبة الأقصى، عمان –الأردن.

40- **سيد قطب المفترى عليه،** القحطاني، محمد بن دليم آل دليم، ط1-1413 هجرية دار الطيبة –الرياض.

41- **سيد قطب سيرة ذاتية،** عبد الفتاح، علي، ط1-1996-شركة الربيعان للنشر و التوزيع، الكويت.

42- **سيد قطب، خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه**؛ بركات، محمد توفيق، بلا تاريخ.

43- **سيد قطب، حياته و أدبه**، عبد الباقي، محمد حسين، ط1-1986، دار الوفاء للطباعة و النشر، المنصورة.

44- **سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي**، اعتنى به و رقمه و وضع فهارسه: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، ط3-1988، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان .

45- **صحيح أبي عبد الله البخاري**، بشرح الكرماني، ط2-1981، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان .

46- **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار احياء التراث العربي، ط1-1987 يطلب من الديان، القاهرة، شارع الهرم .

47- **صحيح سنن بن ماجة**، تأليف محمد ناصر الدين الألباني بتكليف من مكتبة التربية العربي لدول الخليج-الرياض، أشرف على طباعه والتعليق عليه وفهرسته: زهير شاويش ،ط3-1988، المكتب الإسلامي –بيروت.

48- **صحيح سنن أبي داود باختصار السند**، صحح أحاديثه ناصر الدين الألباني بتكايف من مكتبة التربية العربي لدول الخليج-الرياض، ط1-1989، توزيع المكتب الإسلامي في بيروت.

49- **ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة**، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة ط4-1993، دار القلم –دمشق.

50- **الظاهرة القرآنية**، بن نبي، مالك، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز و محمود محمد شاكر، مكتبة الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4-1987.

51- **العدالة الاجتماعية**، قطب، سيد، الناشر :دار الإخوان للصحافة والطباعة، الناشر:مطبعة دار الكتاب العربي، 1952.

52- **في ظلال القرآن–في الميزان– دراسة و تقويم**- عبد الفتاح صلاح الخالدي، ط 1-1986، دار المنارة للنشر و التوزيع.

53- **في ظلال القرآن – رؤية استشراقية**، تأليف أوليفيه كاريه، ترجمة محمد رضا عجاج، ط1-1993، الزهراء للإعلام العربي .

54- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، بن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم الحراني، بلا تاريخ .

55- **الفكر الإسلامي المعاصر، دراسات وشخصيات**، سيد قطب، بحث مقارن لمبادئ الأصوليين والإصلاحيين، الموصللي، د.أحمد صلاح الدين، دار خضر للطباعة والنشر، ط1-1990، بيروت.

56- **القدوة، مبادئ ونماذج**، صالح بن عبد الله بن حميد، ط1-1993، دار الوطن، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض .

57- **الأعلام، قاموس التراجم**، الزركلي، خير الدين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط7 ، 1987.

58- **القرآن الكريم وبالهامش زبدة التفسير من فتح القدير**، الأشقر، محمد سليمان عبد الله ، ط1-1985، وزارة الأوقاف الكويتية.

59- **لماذا أعدموني**، قطب، سيد،كتاب الشرق الأوسط، الناشر الشركة السعودية للأبحاث و التسويق.

60- **مذكرات الدعوة والداعية**، البنا، حسن، ط (دون)1990، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة مصر.

61- **المستقبل لهذا الدين**، قطب، سيد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1988، مطبعة الفيصل .

62- **المسند للإمام أحمد بن حنبل**، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، ط2-1949، دار المعارف للطباعة والنشر.

63- **المهذب من إحياء علوم الدين**، الشامي، صالح أحمد، ط1-1993، دار القلم الدار الشامية بيروت.

64- **مجموعة رسائل الإمام البنا**، دار الشهاب، بلا تاريخ.

65- **مشاهد القيامة في القرآن**، قطب، سيد، ط1-1947.

66- **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ط2-1994-دمشق دار القلم.

67- **معالم في الطريق**، قطب، سيد، 1980 - دار الشروق بيروت.

68- **معالم منهج التجديد في الفلسفة الإسلامية**، الدكتور مقداد يالجن، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط2، 1991، الرياض

69- **مع الله – دراسة في الدعوة والدعاة**، الغزالي، محمد، مكتبة أخبار اليوم الإسلامية ، بلا تاريخ.

70- **مقومات التصور الإسلامي**، قطب، سيد، ط 8، دار الشروق، 1983، بيروت.

71- **مدخل إلى التفسير وعلومه**، زرزور، محمد عدنان، ط1-1995، دار القلم دمشق.

72- **مفتاح كنوز في ظلال القرآن**، (فهارس في ظلال القرآن)، محمد يوسف عباس، دار الطيبة للنشر و التوزيع، ط1، 1987.

73- **مباحث في علوم القرآن**، القطان، مناع، ط5-1981، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة .

74- **مناهج المفسرين**، للمؤلفين: مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان، ط1-1980 دار المعرفة.

75- **منهاج الداعية**، أبو زيد، أحمد، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي السنة 12، ربيع الأول 1414، العدد: 135.

76- **منهج سيد قطب في ظلال القرآن، رسالة الدكتوراه**، أسماء بنت عمر حسن فدعق، جامعة أم القرى، (**مجلدان**)، 1416 هـ

77- **مجلة: الدعوة**، العدد، 82، شوال 1419 هجرية.

78- **مجموعة الرسائل للإمام البنا**، دار الشهاب، بلا تاريخ.

79- **مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني**، طبع بأمر صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم فهد بن عبد العزيز آل سعود، ط1- 1389 هجرية.

80- **النبأ العظيم ،نظرات جديدة في القرآن**، دراز، محمد عبد الله، ط2-1970، دار القلم، دمشق.

81- **نحو مجتمع إسلامي**، قطب، سيد، ط8-1988، دار الشروق.

82- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

83- **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، رسالة ماجستير، القحطاني، محمد بن سعيد بن سالم، ط1-1993، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

84- **هذا الدين**، قطب، سيد، بلا تاريخ.

83- Imam Husain Rashid, ***Quranology, the practical solutions to the Worlds Problems and Crisis***, Ta-Ha Publishers LTD. London, 1987.

84- Dr: Abdul Kader Maten, ***Ethics in Islam***: 1988.

85- Shaikh Muhammad As-Saleh AL-Uthaimin, ***The Muslims Belief*** Translated by: Dr: Maneh Hammad Al – Johani. Cooperation Office of Invocation and Virtye in Diriyah -Saudi Arabia.

86- Ali Muhsin, ***Let the Bible Speak***: Islamic Da'wah & Guidance Centre, Dammam. Saudi Arabia.
87- Emad El Din Shahin, ***Muhammad Rashid Rida and the West***, International Institute of Islamic Thought, Herdon –Virginia – U.S.A, First edition: 1993.

88- http://vb.tafsir.net/tafsir18267/#.VaZFX1-qqk

89- http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=أحمد_ عبد_ المجيد-

90- http://uqu.edu.sa/page/ar/67820

91- http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=32629

92- http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/5757

93- http://www.drhafezi.net